LEE CHILD

INTRODUCING

JACK REACHER

IN

KILLING FLOOR

رواية

"أمتع سلسلة روايات
وشخصية روائية مستمرة"
ستيفن كينغ

لي تشايلد

طابق مخصص للقتل

ترجمة: خالد أمين

دار دوّن

ضفائر
t.me/twinkling4

لي تشايلد

طابق مخصص للقتل

ترجمة

خالد أمين

رواية

Lee Child

Killing Floor

First published in Great Britain in 1998 by Bantam Press an imprint of Transworld Publishers Bantam edition published 1999 Bantam edition reissued 2010

Copyright © Lee Child 1997

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضّاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

قالوا عن هذه الرواية

" بطل حقيقي لعصرنا هذا، جاك ريتشر هو سوبرمان العصر، مزيج من أبطال أفلام حركة مثل بروس، ويليز، وميل جيبسون "

جريدة "الأخبار الإيرلندية"

" جاك ريتشر هو فتى أحلام كل فتاة ذكية "

جريدة "نيويورك تايمز"

" أحد أعظم الأبطال غير التقليديين في السلاسل الروائية "

جريدة "الإندبيندينت"

" روبن هود هذا العصر "

" the sun" جريدة

" جاك ريتشر هو بطل صُلب لن تنساه أبدًا "

جيفري ديفر

قبل أن تقرأ

تلك الرواية عبارة عن رحلة من الغموض تنتهي بنهاية صادمة ستبقى عالقة بخيالك لفترة طويلة بعد أن تنتهي من القراءة، لي تشايلد كاتب عبقري له أسلوب رائع يجعلك عاجز عن ترك الرواية من بين يديك. وهذه الرواية مزيج رائع ما بين الغموض والحركة، كأنك تشاهد فيلمًا سينمائيًا ممتعًا يبقيك على حافة مقعدك طيلة الوقت.

تعتبر مدرسة لي تشايلد في الأدب امتدادًا لما بدأته أغاثا كريستي، وأرثر كونان دويل من قبل، روايات شيقة مكتوبة بأسلوب معاصر جدًا وكلاسيكي في الآن ذاته، وتلك معادلة صعبة لكنه حققها. وقبل أن نبدأ الأحداث الغريبة التي ستقع في بلدة ريفية غامضة دعوني أعرفكم بشخصية بطلنا «جاك ريتشر» والذي سنعيش معه في الصفحات التالية مغامرة ممتعة ومثيرة للغاية.

جاك ريتشر، رحالة ومتنقل، بطل من نوع خاص، ضابط شرطة متقاعد، بعد تقاعده المبكر تحول لرحالة يطوف البلدان كلها، يعشق الحرية ويبحث عن تحيقق العدالة بطريقته الخاصة، قد يعتبر البعض أن «جاك ريتشر» هو حلم الجميع بالحرية الكاملة دون أعباء، أو ديون، أو مخاوف، أو رغبة في القبول الاجتماعي، وهذا هو مصدر قوته!

المترجم

الفصل الأول

تم القبض عليَّ وأنا أتناول الطعام في مطعم «إينو» في تمام الثانية عشرة، كنت أتناول البيض وأحتسي القهوة، أجلس مرهقًا ومبللًا بعد مسيرة طويلة بالخارج وسط الأمطار الغزيرة، الحقيقة أني سرت من الطريق السريع، ثم دخلت البلدة وتجولت حتى وصلت لهذا المطعم الذي كان صغير الحجم، أنيقًا ولامعًا، شديد النظافة، جدرانه مصممة على شاكلة سيارة فيراري حمراء اللون، وبابه يقع في المنتصف، وفي هذا المطعم جلست أنا جوار النافذة، وعيناي تطالع جريدة أخبار نسيها أحدهم، العنوان الرئيسي كان يتحدث عن أخبار الرئيس الذي لم أصوت له، لم أهتمَّ كثيرًا وعدت بعيني لأطالع المطعم وأرتشف القهوة، في حين توقف المطر بالخارج.

لم يعد سوى قطرات خافتة كل حين وآخر، ثم رأيت أضواء سيارة الشرطة تقترب، الضوء الأحمر والأزرق المعروفان، ثم انفتح الباب ودخل اثنان من رجال الشرطة، ورأيت اثنين آخرين يترجلان من سيارة ثانية ويتبعونهما للمطعم، أول اثنين حملا مسدسين «الساقية الدوارة»، والاثنان الآخران حملا بنادقهما بين أيديهما، جلست مكاني أراقبهم، وأنا أعلم جَيِّدًا أنهم قادمون من أجلي لسبب بسيط، لم يكن هناك في المطعم سوى الطباخ ونادلتين، ورجلين مسنين، وأنا، الذي لم يمضِ على وجودي في البلدة أكثر من نصف ساعة، بينما الآخرون

من طاقم العمل والمسنين قد قضوا كل حياتهم هنا، هم من قاطني البلدة ولو كان الشرطي سيأتي إليهم بسبب مشكلة فلسوف يفعل هذا آسفًا وبطريقة أكثر احترامًا؛ لأنه يعرفهم ويتبادل التحية معهم كل يوم، وقد يغمغم لهم أن يأتوا معه لقسم الشرطة، وعلى هذا فلقد كنت واثقًا أنهم قادمون من أجل الغريب في البلدة، وهذا يفسر البنادق والمسدسات، قضمت من البيضة المسلوقة، وطويت الجريدة ووضعتها في جيب معطفي، ثم أنهيت قدح القهوة ووضعت يدي على المنضدة أمامي.

وكما نصت قواعد كتيب التعليمات تصرف رجال الشرطة الريفيون، فبقي أحدهم قرب الباب ليسد مكان الهروب رافعًا مسدسه نحوي، بينما اقترب مني الآخر ذو البندقية، تصرف منطقي على كل حال، بإمكان الواقف عند الباب التصويب وإطلاق النار بدقة من مكانه، بينما البندقية ستحتاج لقرب المسافة، في حين لو تم الأمر بالعكس فبإمكان أي حركة مفاجئة مني أن تجعله يخطئ تصويب المسدس ليصيب النادلة أو الرجل المسن، هم يفعلون كل شيء بشكل صحيح، حتى الآن، كما أن صغر حجم المطعم كان يلعب دورًا لصالحهم، أنا حرفيًّا محاصر، حركت يدي على المنضدة أمامي فصاح الشرطي: لا تتحرك.

صوته كان هادرًا وعاليًا في محاولة منه لإخافتي، كما ينص كتيب التعليمات أيضًا، استخدم صوتًا عاليًا

وحدق بعينيك، وكن مخيفًا كي يلين الهدف، رفعت كلتا يدي لأعلى، اقترب مني الشرطي ذو البندقية، بينما تحرك الواقف قبالة الباب للأمام قليلًا، وواصل ذو البندقية الاقتراب، هذا هو الخطأ الأول، بإمكاني - لو أردت- القفز والاستيلاء على سلاحه، لربما فجرت وجهه بها لتستقر شظايا الرصاص في السقف، أو أُفقده الوعي بضربة من كوعي، يجب عليه عدم الاقتراب لتلك الدرجة، عدل الشرطي ذو المسدس من زاويته لأُصبح على مرأى منه ويتجنب إصابة زميله بأي شكل، ظللت جالسًا مكاني، بينما واصل الشرطي ذو البندقية الصياح والتهديد.

- انبطح أرضًا.

وقفت ببطء وأنا منحنٍ قبل أن أرقد فوق ركبتي، والشرطي يضع الأصفاد في معصمي، لم أكن لأستلقي على الأرض، ليس من أجل هؤلاء الريفيين، ولا حتى لو أحضروا معهم كتيبة الشرطة بأكملها، الرجل ذو المسدس كان يحمل رتبة رقيب، هادئ وواثق بنفسه، ثبت الشرطي الآخر حركتي وهو يغلق الأصفاد، وخرج فريق الشرطة الاحتياطي من الباب الخلفي والمطبخ، وتجمهروا حولي، ورأيت أحدهم يشير برأسه للرقيب بعدما فتشوني يعني أني لا أمتلك سلاحًا.

تحرك الرقيب للأمام، كان رياضي الجسد وأبيض الْبَشَرَة، عمره يقارب عمري، وبطاقة الشرطة المعلقة

على صدره حملت اسم: بايكر، نظر إليَّ وقال: أنت رهن الاعتقال، والتهمة جريمة قتل، لديك الحق في التزام الصمت، أي شيء ستقوله سوف يستخدم ضدك كأدلة، لديك حق في توكيل محامٍ، لو لم تستطع فعل هذا ستوكل الولاية محاميًا للدفاع عنك دون تكلفة، هل تفهم تلك الحقوق؟

كان يتحدث دون حاجة لقراءة قوانين «ميراندا» الخاصة بحقوق المعتقلين، كان يحفظها عن ظهر قلب، ويقولها بطريقة توضح أنه يعرف أهميتها، ويدرك معناها جِدًّا، لم أرد عليه فكرر هو السؤال: هل تفهم تلك الحقوق؟

التزمت الصمت؛ لأن الخبرة علمتني أن هذا هو الحل الأمثل، قد تقول شيئًا وأنت مقبوض عليك فيساء فهمه، أو سماعه، أو تفسيره، قد يتسبب بإدانتك، أو بقتلك، ورغم أن الشرطي سيخبرك أن الصمت من حقك لكنه سيجن غضبًا لو التزمت أنت به، وهكذا تم اعتقالي من أجل جريمة قتل، ولم أقل أنا شيئًا.

- هل تفهم حقوقك؟ هل تتحدث الإنجليزية؟

كان هادئًا، وحافظ على هذا الهدوء بعدما ظللت أنا صامتًا ومتجاهلًا سؤاله، وبدا أنه يشعر أن لحظة الخطر قد مرت، سيأخذني للمخفر، وحينئذ سأصبح مشكلة شخص آخر، تلفت حوله وقال: حسنًا سجلوا تلك الملاحظة، هو لم يقل شيئًا، ثم تابع لرفاقه: هيا بنا.

قادوني حتى باب المطعم، وخرجنا في شاكلة طابور، أنا في المنتصف وأمامي بايكر وخلفي الشرطي ذو البندقية، والذي حملت بطاقته اسم: ستيفينسون، كان متوسط الطول في حالة بدنية جيدة، وخلفنا سار فريق الاحتياط والدعم، بعد وهلة كنت أجلس وحدي في السيارة بالمقعد الخلفي، وهناك حاجز زجاجي منيعٍ يفصلني عن المقدمة، مد بايكر يده بعدما تبادل حديثًا خافتًا مع ستيفينسون وأدار مقبض الباب قبل أن يجلس في مقعد السائق وجواره جلس ستيفينسون، أدار بايكر المحرك والمقود وقاد السيارة، وتبعتنا سيارة فريق الدعم، أدرت رأسي ونظرت من خلف زجاج النافذة، لأرض جورجيا، وتلك البلدة الريفية ذات المساحات الصحراوية والحقول، هل يمتلك القوم منازلهم هنا؟ أم يأجرونها وهناك شركة عملاقة تمتلك البلدة بأكملها؟ رحلة القيادة لمخفر الشرطة لم تستغرق وقتًا، ورأيت أمامي مبنًى صغيرًا يحمل اسم: قسم الشرطة، وجواره مبنى رجال الإطفاء، كل من البنايتين يقعان في شمال البلدة، وهناك تمثال أمامهما، مصمم بشكل هندسي جذاب، لمحت كنسية في نهاية الشارع، التفت ستيفينسون وحدق بي بينما السيارة تقترب من المخفر، ورأيت باقي المكتوب فوق اللافتة: قسم شرطة بلدة مارجرايف، وفكرت أنا: هل يجب أن أقلق؟ لقد تم القبض عَلَيَّ في بلدة أنا غريب فيها، بلدة لم أرها من قبل؛ من أجل جريمة قتل لا أعرف عنها شيئًا، لكني كنت أعرف شيئين، أنهم لن يستطيعوا إثبات شيء، وأنا

لم أقتل أحدًا.. ليس في بلدتهم على أية حال، وليس منذ زمن طويل...

***

الفصل الثاني

ركن بايكر السيارة وترجل منها، تبعه ستيفينسون، وكذا فعل فريق الدعم، كانوا فريقًا جَيِّدًا يتحركون بسلاسة وتفاهم، أخرجوني من السيارة بعدما صوب ستيفينسون البندقية تجاهي، وهو يقول بصوت يكاد يكون همسًا: تحرك.

أحاطوا بي من كل صوب والبندقية ملتصقة بكتفي، وسرنا لنعبر الباب وندخل المخفر، كان هناك شرطي أنيق يجلس خلف مكتب الاستقبال، وتوقعت أن يقول مبتسمًا: مرحبًا بك يا سيدي، كيف يتسنى لي مساعدتك؟

لكنه لم يقل شيئًا، اكتفى بالنظر إليَّ فحسب، خلفه جلست امرأة ذات شعر أسود تعمل على حاسب آلي ماثل أمامها، ثم رفعت رأسها ونظرت إليَّ، وكذا فعل ستيفينسون، وبايكر، وشرطي الاستقبال، تنهدت ونظرت إليهم جميعًا.

قادوني بعدها لليسار وسبقني بايكر بالدخول لغرفة، ودفعني ستيفينسون إليها، كانت غرفة استجواب، بلا نوافذ، وهناك منضدة بيضاء وثلاثة مقاعد في المنتصف، وكاميرا، الجو كان باردًا في الغرفة، وأنا لا أزال مبللًا من الأمطار.

وقفت أمام المنضدة بينما قام بايكر بتفتيشي مرة أخرى

بعناية تلك المرة متفقدًا كل جيوبي، ثم أخرج متعلقاتي ووضعها على المنضدة، حزمة من النقود، بعض العملات، تذاكر سفر، والجريدة إياها، تفحصها بايكر ثم تركها، ونظر للساعة المستقرة على معصمي، لم يكن مهتمًّا بأيٍّ من تلك الأشياء، وضع المتعلقات في حقيبة يحملها في المعتاد من لديهم متعلقات لا تكفي جيوبهم وأنا لست من هذا النوع، «اجلس» قالها بايكر بصوت واثق، ورحلوا من الغرفة بعدها..

توقعت أن يتركوني وحدي أنتظر لساعة أو اثنتين لأن العزلة تفت من عزم السجين وتجعله يتحدث لكنهم لم يفعلوا هذا، ربما هذا كان خطأً ثانيًا، وعدم اتباع لكتيب التعليمات، عاد بايكر للغرفة حاملًا كوبًا من القهوة وجلس أمامي، وأشار للفتاة ذات الشعر الأسود والزي الرسمي التي رأيتها بالخارج أمام الحاسب، أتت هي للغرفة وأغلقت الباب خلفها.. نظرت بطريقة متعاطفة معتذرة كممرضة في مستشفى، كانت جذابة، عينان جميلتان وشعر أسود، انحنت لتلتقط لي صورة «فيش وتشبيه» فابتسمت لها وهي تفعل هذا، التقطت لي صورة أخرى من جانب وجهي، ابتسمت لي ابتسامة من طراز «اعلم أن الأمر غير سار لكنه ضروري»، مثلما تفعل الممرضة في المستشفى، مددت إبهامي بعدها لأبصم وأعطيها بصماتي، لم تسمح الأصفاد بجعل تلك العملية سهلة، ولم يعرض بايكر إزالتها، لكني تمكنت من فعلها في نهاية الأمر، بعدما انتهيت

أعطتني ذات الشعر الأسود منديلًا لأمسح أصابعي، فنظرت لأصابع يدها الرقيقة، لم تكن ترتدي خاتم زفاف، الحبر كان غريب الملمس، إنه نوع جديد لم أتبينه، أخذت المرأة الكاميرا، كانت امرأة ولكنها تبدو كفتاة يافعة، وفي صمت دون أن يتحدث فتح بايكر الباب وخرجت هي، ثم انحنى بايكر على المنضدة ونظر باتجاهي.

- رئيسي قادم بعد قليل، ستتحدث معه، لدينا جريمة قتل هنا، ويجب توضيح بعض الأمور.

لم أرد عليه، كما قلت الحديث لن يفيدني في شيء، رغم أن الشرطي يتصرف بشكل متحضر إلى تلك اللحظة، قررت أن أختبره، فمددت يدي الاثنتين تجاهه بطلب صامت أن يكف قيودي، تلك الأغلال المعدنية الثقيلة، ظل رابضًا مكانه للحظة، ثم أخرج مفاتحيه وفك الأصفاد، ونظر إليَّ بعدها، ثم إلى كتفي وذراعي، متوقعًا أن يراني أفرك كتفي بيدي وهز جسدي مسترخيًا لكنه لم يجد ما توقعه، ورغم أني لم أرد أن أنشئ صداقة مع هذا الرجل لكني تحدثت قائلًا: حسنًا، لنقابل رئيسك.

كانت تلك المرة الأولى التي أنطق بها بشيء في هذا اليوم منذ أن طلبت الإفطار في المطعم، بدا الارتياح على وجه بايكر، وتحرك مشيرًا إليَّ أن أتبعه، سيتيفنسون كان يجلس بالخارج، دون البندقية، فريق الدعم لم يعد موجودًا، وضع بايكر يده على ذراعي بحرص وقاد المسيرة، إلى مكتب في نهاية الممر حيث جلس المأمور.

المكتب كان ضخمًا، بُني اللون، من طراز هندسي كلاسيكي، ممتلئًا بالصور والتذكارات العسكرية وأشياء تخص أكاديمية الشرطة، وفي المنتصف جلس رجل بدين، نظر إليَّ بينما بايكر يقودني إليه، نظر إليَّ بوجه خالٍ من أي تعبير، وهو يحاول أن يفهم ماهيتي، نظر بحدة وتركيز، ثم ملأ رئتيه ونفخ صدره قائلًا بصوت جهوري متحشرج: اجلس في هذا المقعد وأغلق فمك القذر.

لقد بدا الرجل البدين كمفاجأة غير سارة، لقد كان وغدًا حقيقيًّا، عكس كل ما رأيته من معاملة حتى الآن، بايكر وفريقه كانوا احترافيين، وذوي كفاءة وفاعلية، المرأة التي أخذت بصماتي كانت لبقة، ولكن هذا الوغد البدين كان مضيعة للمساحة التي يحتلها، يجلس في مكتبه يتصبب عرقًا وبشعر رمادي ناحل، لم يبدُ أنه ذو أي كفاءة.. صوت تنفسه عالٍ؛ بسبب مشكلة في رئته، والعرق المتصبب ناجم عن ضغط الدم، هذا الرجل لا ينتمي لهذا المكان.. كنت أنظر إليه عندما قال: اسمي موريسون، أنا رئيس قسم الشرطة في مارجرايف، وأنت وغد قاتل، لقد أتيت وتطفلت في بلدتي الآمنة، ولكنك أخطأت عندما أتيت في ملكية السيد كلاينر، ملكيته الخاصة أيها الوغد؛ ولذا سوف تقدم اعترافًا كاملًا لرئيس المحققين الخاص بهذا القسم..

نظر إليَّ بعدها محاولًا فهم ماهيتي مرة أخرى، ثم صاح: بعد أن تعترف ستذهب للسجن ومن هناك إلى الكرسي

الكهربائي، ولسوف أشاهد إعدامك بنفسي، بعدها سأتبول على قبرك..

ثم أشاح بوجهه مردفًا: كنت سأتعامل معك بنفسي لكني مشغول.

ثم عقد حاجبيه فجأة وعلت الحيرة المتسائلة وجهه قبل أن يصيح: لقد رأيتك من قبل أليس كذلك؟ ها؟ لقد رأيتك من قبل!

ثم التفت صوب بايكر وستيفينسون وصاح: لقد رأيت هذا الوغد من قبل، ذكروني أين ومتى؟

لا رد، أغلق الباب في وجهنا، وظللت أنا مع الشرطيين بانتظار رئيس المحققين الذي وصل بعد وهلة، كان أسود الْبَشَرَة، فارع القامة، واثقًا بنفسه يرتدي حُلَّة أنيقة، أشار لستيفينسون وبايكر، فأحضراني إليه ورحلا بعدما أغلقا الباب من خلفهما، جلس هو قبالتي، وأخرج مسجل صوت من درج مكتبه، وضع الشريط وجعل المسجل في وضع الاستعداد، ثم ضغط زر البدء، وصدر صوت خافت من المسجل معلنًا أنه يعمل وكأنه يقول: سأسجل لك للأبد.

شبك رئيس المحققين بيديه بتلك الطريقة التي يجيدها فارعي القامة وقال: حسنًا، لدينا الكثير من الأسئلة أليس كذلك؟

لم تكن لكنة جنوبية في صوته، هذا ليس رجلًا ريفيًّا،

ويمتلك صوتًا عميقًا، الحقيقة أنه يبدو كمصرفي من بوسطن باستثناء لونه الأسود طبعًا.

أردف رئيس المحققين: اسمي فينلاي، رتبتي مقدم، وأنا رئيس المحققين في هذا القسم، لقد أعلموني أنهم أخبروك بحقوقك، لكنك لم تجبهم بأنك تفهمها أو لا، وقبل أن نواصل الحديث علينا الانتهاء من تلك النقطة.

بعدما تحدث شعرت أنه مثل طلاب هارفرد أكثر من كونه مصرفيًّا من بوسطن..

- أنا أفهم حقوقي.

أومأ برأسه.

- هذا جيد، وأين محاميك؟

- أنا لست بحاجة لمحامٍ.

- أنت متهم بجريمة قتل، أنت بحاجة لمحامٍ بارع، سنوفر لك واحدًا، دون تكلفة.

- كلا، أنا لست بحاجة لمحامٍ.

حدق بي فينلاي من فوق أصابعه لوهلة، ثم قال: حسنًا، لكن سيتوجب عليك التوقيع هنا بأني نصحتك بتوكيل محامٍ، أو نوفر لك واحدًا وأنك رفضت.

- حسنًا.

أعطاني استمارة من درج مكتبه، ونظر في ساعته، ثم

أعطاني قلمًا وتراجع بظهره في مكتبه للخلف، وقعت وأعطيته الاستمارة، طالعها بعينيه ثم قال: أنا لا أستطيع قراءة هذا الخط، لذا ومن أجل السجل الرسمي دعني أسألك عن اسمك، وتاريخ ميلادك، وعنوانك..

عاد الصمت مرة أخرى واكتفيت بالنظر إليه، هو رجل عنيد، في الخامسة والأربعين أو قرابة هذه السن، أنت لا تعمل كرئيس محققين في مقاطعة جورجيا، لو أنت في منتصف العقد الرابع وأسود وعنيد، لا توجد حتى احتمالية لهذا، تنهدت في صمت ثم فتحت فمي وقلت: اسمي جاك ريتشر، لا عنوان.

كتب ما أخبرته به، وأعطيته تاريخ مولدي.

- حسنًا يا مستر ريتشر، لَدَيَّ أسئلة عدة، لقد تفحصت مقتنياتك الشخصية، أنت لم تحمل بطاقة هُوِيَّة، ولا رخصة قيادة، ولا كروت ائتمان أو دفع، والآن تقول إنك لا تمتلك عنوانًا، والآن أنا أسأل نفسي من هو هذا الرجل؟

لم ينتظر أي رد مني وتابع: من هو الرجل حليق الرأس؟

نظرت للساعة الكبيرة المعلقة على الحائط ولم أرد، منتظر تحرك عقرب الساعة، وأتاني صوت فينلاي: أخبرني ما الذي حدث؟

ظللت مطبق الفم، أنا لا أمتلك أي فكرة عما حدث، لا فكرة على الإطلاق، شيء ما حدث لشخص ما، ولكن لا علاقة لي بالأمر..

- ما هو «بلورياس»؟

نظر إليَّ وهززت كتفي ثم قلت: شعار الولايات المتحدة الأمريكية، تلك كلمة لاتينية تعني «واحد من بين الكثيرين»، كناية عن التميز، تم استخدامها عام ١٧٧٦ في ثاني اجتماع خاص بـ«الكونجرس» أليس كذلك؟

حدق بي بحدة، وواصلت أنا النظر إليه، خمنت أنه من نوعية الرجال الذين قد يعطوني بعض المعلومات..

فسألته: ما الذي يحدث هنا؟

رأيته يفكر بصمت أيخبرني أم لا. ثم قال: أنت تعلم ما الذي يحدث هنا، جريمة قتل، بتفاصيل صادمة، لقد وجدنا الضحية صباح هذا اليوم في مخزن كلاينر، شمال الطريق بالقرب من مدخل الطريق السريع، والشهود رأوا رجلًا يرحل من المخزن قرابة الثامنة صباحًا، وصفوه بأنه رجل طويل للغاية، وأبيض اللون، يرتدي معطفًا أسودَ، دون حقيبة أو قبعة..

فكرت بعدما انتهى من الكلام، أنا رجل طويل، وأبيض، أرتدي معطفًا، ولا أمتلك حقيبة ولا قبعة، وكنت أسير لمدة أربع ساعات هذا الصباح في الطريق المذكور، سألته: ما مدى طول طريق البلدة؟ من الطرق السريعة إلى هنا؟

- أربعة عشر ميلًا.

- حسنًا، أنا سرت من الطريق السريع للبلدة، أربعة عشر ميلًا، وربما رآني أغلب السكان، هذا لا يعني أني ارتكبت جريمة.

رأيت الفضول يتزايد بعينيه، سألته: هل اختصاصكم القانوني يشمل الطريق السريع؟

- نعم، لا توجد مشاكل بخصوص السلطة القضائية في تلك القطعة، والمخزن تابع لسلطتي، لا شك في هذا..

نظر إليَّ منتظرًا فأومأت برأسي ليردف هو: كلاينر بنى المكان منذ خمسة أعوام، هل سمعت عنه؟

هززت رأسي نفيًا.

- هل كان يجب أن أسمع عنه؟ أنا لم آتِ هنا من قبل.

- هو رجل مُهِمٌّ في الأرجاء، أهم رجل في البلدة، رجل أعمال هو، وتجارته تدفع الضرائب والرواتب للجميع هنا، هو يجني الكثير من الربح للبلدة، دون إحداث مشاكل أو فوضى، ونحن نعتني به، لكن الآن تحدث جريمة قتل في مخزنه، أنا بحاجة لتفسيرٍ منك.

تراجعت في مقعدي، فينلاي يقوم بوظيفته لكنه يهدر وقتي، قلت له: حسنًا يا فينلاي، سأُدلي بإفادة، أصف بها كل تفصيلة قمت بها منذ أن دخلت بلدتك الصغيرة، حتى تم اعتقالي في المطعم، ولو استطعت فهم أي شيء من إفادتي عن جريمتك سأعطيك ميدالية؛ لأني تجولت

وسرت لأربع ساعات في الأربعة عشر ميلًا اللعينة دون أن أرتكب أي شيء.

تلك كانت أطول خطبة قمت بها منذ ستة أشهر، ورأيت الصراع الداخلي يلوح في عيني فينلاي، إحساسه يقول له: إني لست القاتل، لكن الشهود وحقيقة أني جالس أمامه تدفعه بالاتجاه الآخر، كدت أضيف: «أنت تهدر وقتك معي، بينما القاتل يمرح بالخارج» لأتغذى على حيرته، لكنه سبقني واندفع بالاتجاه الخاطئ قائلًا: لا إفادات، سوف أسأل وأنت ستجيب؛ إذن اسمك جاك ريتشر، بلا بطاقة، ولا عنوان، هل أنت فاقد الأهلية؟

تنهدت، اليوم هو الجمعة، والساعة المعلقة على الحائط تخبرني أن نصف اليوم قد مر، وفينلاي لن يستسلم، سأقضي العطلة الأسبوعية كلها في زنزانة، وفي الأغلب سيطلقون سراحي يوم الاثنين.

- أنا لست فاقدَ الأهلية، أنا متشرد، هنالك فارق كبير بين الاثنين.

- لا تتذاكَ يا ريتشر، أنت واقع في مأزق كبير، أشياء سيئة حدثت هنا، شاهدنا رآك تترك مسرح الجريمة، أنت غريب في البلدة بلا بطاقة، ولا عذر للتواجد، لا تتذاكَ معي..

كان لا يزال يؤدي وظيفته، ويهدر وقتي..

قلت له: أنا لم أترك مسرح جريمة، لقد كنت أسير في

الطريق اللعين، هناك فارق بين الأمرين، الذين يرحلون من مسرح جريمة يهربون ويختبئون، لا يسيرون في الطريق العام ببطء، ما الخطأ في المشي قُدُمًا؟ القوم يسيرون في الطرق طيلة الوقت أليس كذلك؟

انحنى فينلاي للأمام وهز رأسه.

- كلا، لم يَسِر أحد لتلك المسافة منذ اختراع السيارات، ولماذا لا تمتلك عنوانًا؟ من أين أنت؟ أجبني ودعنا ننتهِ من هذا الأمر!

- حسنًا يا فينلاي لننتهِ من الأمر، أنا لا أمتلك عنوانًا لأني لا أقطن بمكان معين، ربما يومًا ما اعتدت فعل هذا ولكن ليس الآن، وربما يومًا ما سأفعل هذا مجددًا، وعندما أفعل هذا -لو فعلته- سأرسل لك بطاقة معايدة، بإمكانك أن تسجل عنواني اللعين حينئذ، بما أنك مهتم للغاية به..

- من أين أنت؟ وما هو آخر عنوان لك؟

قالها بوجه صُلب محافظًا على ثباته الانفعالي..

- ما الذي تقصده بمِنْ أين أنا؟

شفتاه متزمتتان، لقد بدأت أستفزه، لكنه حافظ على صبره، وقال بقليل من السخرية: دعني أعيد السؤال طالما أنت لا تفهمه، أين وُلدت؟ أو أين كنت تحيا أغلب حياتك؟ سأعطيك مثالًا، أنا وُلدت في بوسطن، وتعلمت

ودرست هناك، وعملت كشرطي هناك لعشرين عامًا؛ ولذا لو كنت مكانك سأُجيب - وأعتقد أنك ستتفق معي- إني من بوسطن.

لقد كنت محقًّا، طالب هارفارد، يكاد ينفد صبره.. قلت: حسنًا، أنت سألت وأنا سأُجيب لكن دعني أخبرك بشيء، أنا لست رجلك، وعندما يأتي يوم الاثنين ستتأكد من هذا؛ لذا اصنع لنفسك معروفًا، ولا تكفَّ عن البحث عن القاتل..

قاوم فينلاي ابتسامة كادت تعتلي وجهه، وقال: شكرًا للنصيحة، واهتمامك بوظيفتي.

- على الرحب والسعة.

- أجبني.

- حسنًا، طبقًا لمعاييرك فأنا قادم من اللامكان، أو من مكان يدعى الجيش، لقد وُلدت في قاعدة عسكرية بجنوب برلين، والدي كان جنديًّا «مارين»، ووالدتي مدنية فرنسية، وقد التقيا في هولاند وتزوجا في كوريا.

أومأ فينلاي برأسه وكتب ملاحظة وأكملت: أنا كنت صبيًّا تابعًا للجيش، قضيت طفولتي بكل أنحائه، أرني قائمة بأسماء القواعد العسكرية الأمريكية حول العالم، وسأقول لك لقد عشت بها كلها، ذهبت للمدرسة في عدة بلاد حول العالم، وخضت أربعة أعوام في « ويست بوينت» (1)

- أكمل.

قالها فينلاي، نظرت للساعة على الحائط وأردفت: تخرجت وعملت في الجيش، في الشرطة العسكرية، خدمت وتنقلت مرة أخرى بين القواعد العسكرية، وبعدها يا فينلاي، بعد ستة وثلاثين عامًا من الحياة في الجيش، فجأة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد هناك حاجة لضباط مثلي، وتم تسريح الكثيرين وأنا منهم، وهكذا أنا ضابط جيش متقاعد في السادسة والثلاثين يتم دعوته بـ «فاقد للأهلية» من قبل بعض الأوغاد المدنيين الذين لن يتحملوا البقاء لخمس دقائق في العالم الذي أتيت منه.

ظل هادئًا، ولم يبدُ منبهرًا، وغمغم: أكمل.

هززت كتفي.

- والآن أنا أستمتع بوقتي فحسب، ربما في النهاية سأجد شيئًا لأفعله، ربما لن أفعل هذا، أنا أستكشف فحسب، لا أعلم إن كنت سوف أستقر في مكانٍ ما أم لا، لكني لا أرغب في هذا الآن..

أومأ برأسه وكتب ملاحظات إضافية، ثم سأل: متى تم تسريحك من الجيش؟

- في إبريل، منذ ستة أشهر.

- هل عملت بأي وظيفة في تلك الفترة؟

- أنت تمزح.

- متى آخر مرة عملت فيها؟

- إبريل، منذ ستة أشهر، في الجيش.

- حسنًا.

لم أجد شيئًا آخر لأقوله له، ورفع فينلاي عينيه باتجاهي..

- من أين تجني أموالك؟ وما هي آخر رتبة لك؟

- رائد، وهم يعطونك مبلغًا تعويضيًا عندما يسرحونك، لا يزال معي أغلبه، أحاول أن أجعله يبقى.

- دعنا نتحدث عن آخر أربع وعشرين ساعة.

تنهدت وقلت: استقللت حافلة «جريهاوند»، وترجلت منها في الطريق العام عند الثامنة صباحًا، سرت للبلدة، وصلت للمطعم، وطلبت الإفطار، وكنت آكل عندما تم اعتقالي..

- هل لديك عمل هنا؟

- كلا، أنا عاطل، لا يوجد لَدَيَّ عمل في أي مكان.

دون هذا في ملاحظاته

- من أين استقللت الحافلة؟

- تامبا، رحلت في منتصف ليل البارحة.

- تامبا في فلوريدا؟

- نعم.

فتح درجًا آخر في مكتبه، وأخرج جدول مواعيد «جرايهاوند» وتفحص مواعيد الحافلات، كان رجلًا دقيقًا للغاية..

- تلك حافلة سفر سريع دون توقف، هي لا تتوقف هنا في الثامنة صباحًا.

- لقد طلبت من السائق أن يتوقف، قال لي إنه يجب عليه ألا يفعل هذا، لكنه توقف وبعدها ترجلت أنا من الحافلة.

- هل أتيت هنا من قبل؟

هززت رأسي نفيًا

- هل لديك عائلة؟

- أخ، في واشنطن يعمل كشرطي في إدارة مكافحة المخدرات.

- هل لديك أصدقاء في جورجيا؟

- كلا.

كتب فينلاي كل هذا، وساد صمت طويل بعدها، كنت أعلم جَيِّدًا سؤاله التالي:

- إذن لماذا؟ لماذا تترجل من الحافلة وتسير لأربعة عشر ميلًا في الأمطار وأنت لا تمتلك أي سبب لفعل هذا؟

هذا كان السؤال الأهم، وقد طرحه فينلاي بقوة كما سيفعل المدعي العام، وأنا لم أمتلك أي إجابة حقيقية..

- ما الذي أستطيع قوله؟ لقد كان قرارًا عشوائيًّا، كنت بحاجة للذهاب لمكان لأني مرهق.

- لكن لماذا هنا؟

- لا أعلم، رجل يجلس جواري كان يحمل خريطة ورأيت اسم البلدة عليها، أنا متنقل، مستكشف، لقد كان قرارًا لحظيًّا..

- هذا هُراء، المرء لا يختار اسم بلد بطريقة عشوائية من الخارطة، لا بد أنك امتلكت سببًا حقيقيًّا.

أومأت برأس في صمت، ثم قلت: جئت هنا بحثًا عن بلايك الأعمى.

- ومن هو بلايك الأعمى؟

رأيت كل الاحتمالات تطوف بذهن فينلاي، هل بلايك الأعمى صديق لي؟ متآمر؟ دائن؟ مدين؟ زميل؟ أم ضحيتي التالية؟

- بلايك الأعمى هو لاعب جيتار، تُوفي منذ ستين عامًا، ربما تم قتله، أخي كان يستمع إليه، وقال لي مرة إن بلايك قُتل هنا في مارجرايف، وأخبرني أنه -أخي- أتى هنا عدة مرات؛ من أجل بعض الأعمال التي تخص وظيفته؛ لذا فكرت أن آتي لمارجرايف وأتفقد قصة بلايك

الأعمى.

لم يبدُ هناك أي تعبير على وجه فينلاي، لا بد أن السبب بدا له واهيًا، كان سيبدو واهيًا لي أيضًا لو كنت مكانه.

- أنت أتيت هنا بحثًا عن لاعب جيتار مات منذ ستين عامًا، لماذا؟ هل تلعب الجيتار؟

- كلا.

جلس فينلاي يفكر قليلًا، ثم سأل: هل معك تذكرة الحافلة؟

- أعتقد أنها ستكون بين مقتنياتي التي أخذتموها.

تذكرت بايكر، وستيفينسون، وهم يأخذان المقتنيات كأدلة..

- هل سيتذكرك السائق لو رآك؟

- في الأغلب، لقد كان توقفًا غير مخطط له، وأنا طلبت منه.

شعرت لوهلة أني عدت لوظيفتي، وكدت أقارب القضايا مع فينلاي الذي سألني: لماذا لا تريد أن تعمل؟

حاولت أن أفسر له: لأني عملت لثلاثة عشر عامًا، وهذا لم يحقق لي شيئًا، لقد جربت طريقتهم اللعينة، والآن سأجرب طريقتي.

- هل حدثت معك مشكلة في الجيش لم تخبرني بها؟

- ليس أكثر مما حدث معك في بوسطن.

بدت عليه الدهشة.

- ما الذي تعنيه؟

- أنت عملت لعشرين عامًا في بوسطن، هذا ما أخبرتني به، وفجأة تعمل هنا في تلك البلدة الريفية، بدل من التقاعد، وأخذ المعاش، والحياة المرفهة والصيد، ما الذي حدث لك؟

- هذا شأني الخاص يا مستر ريتشر، والآن أجب سؤالي.

- اسأل الجيش.

- سوف أفعل هذا، هل تم تسريحك بشكل شرفي؟

- هل كانوا سيعطونني المبلغ التعويضي لو لم يكن هناك تسريح شرفي؟

- ولماذا يجب أن أصدق أنهم أعطوك أي مال؟ أنت تحيا كفاقد أهلية، تسريح شرفي أم لا؟

- شرفي.

- وكيف جعلك هذا تشعر؟

فكرت لوهلة في سؤاله، هززت كتفي.

- لم يجعلني أشعر بشيء، جعلني أشعر أني كنت في الجيش، والآن أنا لم أعد في الجيش.

- هل كنت قانطًا، حانقًا؟ مخيبَ الآمال؟

- كلا، هل كان يجب عَلَيَّ الشعور بهذا؟

- إذن لم تكن هناك مشاكل؟

قالها بطريقة أنه لا بد أن يكون هناك مشكلة..

فكرت أن أجيبه، لكني لم أمتلك إجابة، لقد قضيت حياتي كلها في الخدمة العسكرية، والآن أنا حر، شعور الحرية كان رائعًا، كأن حياتي كلها كانت صداعًا خافتًا والآن أنا تخلصت من الألم في رأسي، نوعية الألم الذي لا يلاحظه المرء إلا بعدما يختفي، مشكلتي الوحيدة كانت إيجاد عمل أو جني المال، وكيف أفعل هذا دون التخلي عن تلك الحرية؟ أنا لم أجنِ أي مال خلال الأشهر الستة الأخيرة، تلك هي مشكلتي، لكني لم أكن لأخبر فينلاي بها، سيراها كدافع للجريمة، سيفكر أن فاقد الأهلية قرر قتل الناس من أجل أموالهم، في المخازن..

- لقد كان التأقلم مع الحياة المدنية مشكلة لأني ولدت داخل قاعدة عسكرية.

فكر فينلاي في إجابتي وهز رأسه

- هل تخصصت؟ أثناء خدمتك؟

- واجبات عامة، هذا هو النظام، كنت مسؤولًا عن الأمن لخمسة أعوام وبعدها توليت شيئًا آخرَ.

دعه يسألني.. انتظرت في صمت..

- وما هو هذا الشيء؟

- جرائم القتل.

انحنى فينلاي للخلف، زفر بقوة، وشبك أصابعه مرة أخرى، نظر إليَّ، زفر مرة أخرى، ثم مال للأمام وأشار لي بإصبعه.

- حسنًا، سوف أتفقد أقوالك، لدينا بصماتك، لو أن كلامك صحيح ستطابق ملفك العسكري، وسنتفقد تذكرة الحافلة، ونجد السائق، والركاب، لو كان ما تقوله صحيحًا سنعلم عما قريب، ولو اتضح أنك صادق، فربما يخرجك كلامك من مأزقك الحالي، لو اتفق معك التوقيت وحجة الغياب، تلك التفاصيل لا تزال غير واضحة، فقط اعلم أني رجل حريص، ومتشكك، والأمور لا تبدو في صالحك حتى تلك اللحظة، متنقل، متشرد، بلا عنوان ولا تاريخ، قصتك قد تكون محض هُراء، ربما أنت هارب من العدالة، ربما أنت تقتل الناس في ولايات مختلفة، أنا لا أعلم بعد، ولن أستطيع إعطاءك حسن النية، ستظل في الحبس لحين اتضاح الأمور.

كان هذا ما توقعته بالضبط وما كنت سأقوله لو كنت مكانه، اكتفيت بهز رأسي ردًّا على كلامه.. ثم أضفت: أنت رجل حريص بالتأكيد.

نظر إليَّ لبرهة

- لو أنا مخطئ يا ريتشر سوف أبتاع لك وجبة غداء يوم الاثنين في مطعم إينو لأعوضك عما حدث.

- أنا لا أبحث عن صديق هنا.

تنهد فينلاي وهز كتفيه.. وأطفأ جهاز التسجيل، أخرج الشريط ووضعه في وريقة بعدما كتب عليه اسمي في الأغلب، ثم ضغط زرًا ما واستدعى بايكر، الجو لا يزال باردًا لكني نشفت من آثار الأمطار، طرق بايكر الباب ودخل، أخبره فينلاي أن يصطحبني للزنزانة، ثم أومأ برأسه اتجاهي، إيماءة من طراز: تذكر، أنا أؤدي وظيفتي فحسب.

أومأت له برأسي، إيماءة من قبيل: بينما أنت تؤدي وظيفتك، هناك قاتل حر وطليق بالخارج..

***

كانت هناك ثلاث زنازين في مخفر الشرطة، بحواجز معدنية، كل زنزانة منفصلة عن الأخرى، كلها فارغة، بلا أثاث أو فُرُش، فقط مقعد طويل، سألت بايكر: لا شيء للنوم عليه؟

- كلا، عندما يأتي الصباح سيتم نقلك للسجن الخاص بالولاية، حافلة نقل المساجين ستصل السادسة صباحًا، وستعود بك الحافلة هنا يوم الاثنين.

فتح باب الزنزانة، ودخلت أنا بهدوء، أحكم غلق الباب

ورحل دون كلام، طويت معطفي على شكل وسادة بعدما أخرجت الجريدة منه واستلقيت برأسي فوقه، الآن أنا محنق بحق، أنا ذاهب للسجن في نهاية الأسبوع، حقيقة أني لم أمتلك خُططًا أفضل، لكني أعلم بشؤون السجون المدنية وما يحدث بها، مين حين لآخر ينتهي المطاف ببعض الهاربين من الجيش في تلك السجون، ويتم إخطار الشرطة العسكرية التي تذهب لتجلبهم، وقد رأيت تلك السجون من قبل إبان فعل هذا، وفكرة الذهاب إليها كنزيل لم تجعلني أرقص من الحماسة، أغمضت عيني واستمعت للأصوات القادمة من المخفر، حديث خافت، صوت أصابع تعبث فوق لوحة مفاتيح بآلية وروتينية، فتحت عيني وحاولت قراءة الجريدة، التي كانت ممتلئة بالهُراء عن الرئيس وحملته الانتخابية، ووعوده بتخفيض الميزانية، ومكافحة المخدرات والإرهاب والمهاجرين غير الشرعيين، كل تلك الوعود أصابتني بمزيد من الغضب، وضعتُ الجريدة جانبًا وعدتُ لإغماض عيني، واستمعتُ لبعض الموسيقى في عقلي طلبًا للهدوء.

استمعت لأغنية «عاصفة الدخان» النسخة الخاصة بفرقة «ذئب يعوي» الغنائية، وبدأت أسترسل في أفكاري، متذكرًا الحافلة، وأعوام الجيش، وغفوتُ في نهاية الأغنية التي تدور بذهني.

استيقظت مع صوت مفاتيح بايكر وهو يفتح الباب، صوتها -المفاتيح- كان مثل أجراس الجنازة، دخل بايكر

وفينلاي يقف خلفه، ظللت مكاني أرضًا، ووجه فينلاي سؤالًا آخرَ.

- أين كنت في منتصف ليل البارحة؟

- أستقل الحافلة من «تامبا».

- لدينا شاهد جديد يؤكد أنه رآك بالبارحة تطوف حول المخزن، عند منتصف الليل.

- هذا هُراء يا فينلاي، مستحيل، من هو هذا الشاهد اللعين؟

- الشاهد هو رئيس قسم الشرطة، ماريسون، لقد كان متأكدًا أنه رآك من قبل، والآن لقد تذكر أين رآك..

***

الفصل الثالث

عادوا بي لغرفة الاستجواب مرة أخرى، وخرج بايكر في حين جلس فينلاي أمامي وهو يخرج جهاز التسجيل، وقال بنبرة آمرة: كل ما فعلته خلال آخر أربع وعشرين ساعة بالتفصيل.

سمعت حديثًا حماسيًّا لرجال الشرطة بالخارج، القضية ازدادت إثارة بالنسبة لهم، وبدا الانتصار على وجوههم وفي صوتهم وأنا أميز تلك العلامات جَيِّدًا لأني مررت بها بنفسي فيما سبق، قلت: أنا كنت في مقاطعة «تامبا» بالبارحة، واستقللت الحافلة عند منتصف الليل، الشهود بإمكانهم إثبات هذا، وفي الصباح عند الثامنة ترجلت من الحافلة، لو كان ماريسون يعتقد أنه رآني عند المخزن فهو مخطئ، لقد كنت على بعد أربعمائة ميل في هذا التوقيت، لا يوجد لَدَيَّ شيء آخر لأضيفه، اذهب وتفقد أقوالي.

حدق فينلاي بي، ثم أشار لبايكر الذي دخل، وكأنه يعرف دوره، أمسك بملف وقرأ منه: الضحية غير معلومة الْهُوِيَّة، لا حافظة ولا بطاقة هُوِيَّة، لا علامات مميزة، ذَكَرٌ أبيض، ربما في العقد الرابع، طويل للغاية، حليق الرأس، وجدنا جسده في الثامنة صباحًا، ملقى على الأرض قبالة سياج المخزن، بالقرب من البوابة الرئيسية، البصمات لم تُسفر عن شيء، لم نجد مطابقة لها في قاعدة البيانات.

- من هو القتيل يا ريتشر؟

سألني فينلاي، ونظر بايكر بترقب منتظر أي ردة فعل.. لكنه لم يحصل على شيء، ظللت جالسًا في صمت، وبدأت أنظر للساعة القديمة، نظر بايكر للملف وقال: الضحية تلقت رصاصتين في الرأس، هذا هو سبب الوفاة، عيار صغير، قادم من كاتم للصوت؛ لأن مخارج الرصاص أتلفت وجه الضحية، والأمطار قد غسلت آثار الرصاص والبارود، كلتا الرصاصتين خرجتا من خلف رأسه، لم نجد أغلفة الرصاصتين.

- أين المسدس يا ريتشر؟

نظرت إليه وغيرت من تعبير وجهي دون أن أنطق بحرف.

واصل بايكر: الضحية تُوفيت ما بين الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة ليلًا، وتم اكتشافها من قبل عامل في الثامنة، العامل نفسه الذي رآك ترحل من المخزن، واتصل ليبلغ عن الأمر بعدها.

- من كان القتيل يا ريتشر؟

واصل فينلاي أسئلته، تجاهلته ونظرت لبايكر.. وسألت الأخير: لماذا حددتم موعد مقتل الضحية بأنه قبل الواحدة صباحًا؟

- الأمطار الغزيرة بدأت في الواحدة، والتربة أسفل الجثة كانت غير مبللة، والخبير الطبي صرح أنه قتل عند منتصف الليل.

ابتسمت لهم، موعد القتل سيبرأني، لَدَيَّ حجة غياب قوية.

- أخبرنا عما حدث.

قالها فينلاي بهدوء

- أنت أخبرني لأني لم أكن هنا، لقد كنتُ في تامبا..

انحنى بايكر ممسكًا بالملف وصاح: ما حدث هو أنك فقدت عقلك وقتلت الرجل.

هززت رأسي

- أنا لم أكن في المخزن مع حلول منتصف الليل، لقد كنت في الحافلة المتحركة من تامبا، لا يوجد فقدان رجاحة عقل في شيء كهذا.

لم يأتِ أي من الشرطيين بردة فعل، ثم واصل بايكر بثقة: أنت أطلقت عليه الرصاص وقتلته، الرصاصة الأولى هي التي قتلته، ثم لسبب ما أطلقت عليه الرصاص مرة أخرى، ثم فقدت عقلك وظللت تركل الجثة، لأنك كنت في حالة جنونية بالفعل، ثم استعدت رباطة جأشك وخبأت الجثة أليس كذلك؟

ظللت هادئًا وأنا أتساءل: هناك إصابات بعد الموت في الجثة؟

- نعم، إصابات عنيفة للغاية، كأن هناك شاحنة مرت

فوق جسد القتيل، كل عظامه مهشمة، والطبيب قال إن هذا حدث بعد موته، أنت رجل مخبول يا ريتشر لفعلك شيئًا كهذا..

وسأل فينلاي للمرة الثالثة: من كان القتيل يا ريتشر؟

نظرت إليه فحسب، كلام بايكر كان صحيحًا، الأمر غريب للغاية، جريمة قتل عنيفة، وضرب للجثة بعد القتل، لقد مررت ببعض القضايا كتلك، ولم أحب أن أرى شيئًا كهذا مرة ثانية، لكن وصفهم للأمر لم يكن منطقيًّا، لماذا سيفعل أحدهم شيئًا كهذا؟

تابع فينلاي استجوابه

- كيف قابلت القتيل؟

ظللت صامتًا

- ما الذي يعنيه «بليوريبياس»؟

هززت كتفي

- من كان القتيل يا ريتشر؟

- أنا لم أكن هناك، أنا لا أعرف شيئًا.

- أعطني رقم هاتفك.

نظرت إليه كأنه مخبول وقلت: أنا لا أمتلك هاتفًا، ألم تسمع ما قلته لك؟ أنا لا أحيا في مكان محدد.

- لم أقصد هاتفًا أرضيًّا، أقصد هاتفك الخلوي.

- لماذا تفترض أني أمتلك واحدًا؟ على أية حال، أنا لا أمتلك هاتفًا خلويًّا.

هنا انتابتني لمحة من الخوف، هم يعتقدون أني قاتل أجير، مرتزقة، ينفذ مهامه للعصابات، وينتقل من بلدة لأخرى ليقتل ويمثل بجثث ضحاياه، كعادته انحنى فينلاي للأمام وهو يفكر، وقدم لي ورقة في يده، مكتوبًا عليها: بليوريبياس، وأسفل تلك الكلمة استقر رقم هاتف، نظرت إليه، وإلى والورقة، للكلمة المكتوبة والرقم، تجنبت اللمس، لا أريد ترك بصماتي عليها..

- هل هذا رقم هاتفك؟

- أنا لا أمتلك هاتفًا، ولم أكن هنا بالبارحة، وأنت تضيع وقتك بينما القاتل حر طليق.

- تعاون معي يا ريتشر أنا أعلم أن هذا رقم هاتفك، يتم تشغيله من أطلانطا، تم ابتياعه وتفعيله هناك.

نظرت للورقة وسألته: أين وجدتها؟

- في حذاء الضحية، في حذاء الرجل الذي قمت أنت بقتله، كانت مخبأة.

جلست صامتًا والقلق ينتابني، شعرت كأني الطفل الذي سيسقط في البئر في رواية أحدهم، مثل أليس في بلاد العجائب، هل سقطت هي الأخرى في بئر أم أنها ذهبت للبلدة الخاطئة؟

أنا في صحبة شرطيين ذوي خبرة وكفاءة، في قسم شرطة يعمل باحترافية لو تجاهلت وجود ماريسون كرئيس للمنظومة، وهم مقتنعون بأني القاتل كحقيقة، كأن الجميع مصممون أن الأرض مسطحة وأنا الوحيد الذي أعرف أنها مستديرة لكن لا سبيل لإقناعهم.

هززت رأسي نافضًا تلك الأفكار، ثم قلت لفينلاي: دعني أخبرك بشيئين، الشيء الأول، لقد تم إطلاق الرصاص على الضحية من مسافة قريبة في رأسه رصاصة أردته قتيلًا على الفور، ورصاصة ثانية للتأكد من موته، وأغلفة الرصاصتين غير موجودتين، ما الذي يخبرك به هذا؟

نظر إليَّ فينلاي دون أن يفتح فمه، المتهم الرئيسي في جريمة قتل يناقش معه القضية كزميل عمل، كالمحقق المسؤول لا يجب عليه السماح بأمر كهذا، ورغم أنه ظل ثابت الجنان، فقد بدا لي أن هناك صراعًا يدور في عقله كمجموعة قطط داخل حقيبة، فتح فمه وقال: أخبرني.

- هذا كان إعدامًا، ليس بسرقة أو شجار تحول لشيء أكبر، هذا كان إعدامًا باردًا ومخططًا له دون ترك أي أدلة، هذا قاتل ذكي، يمتلك كشافًا سلطه على تربة المخزن ليلًا ليبحث ويأخذ أغلفة الرصاصتين.

- تابع.

- رصاصة في الجبهة اليسرى على الرأس من مسافة قريبة

قد تعني أن الضحية كان في سيارته، والقاتل يتحدث من خلال النافذة، يرفع السلاح و»بانج»، ثم ينحني صوب الرجل الراقد ويطلق الرصاصة الثانية ويأخذ الأغلفة ويرحل بعدها.

- يرحل؟ وماذا عن ضرب الجثة بعد قتلها؟ أنت تقترح وجود قاتل ثانٍ؟

هززت رأسي وأجبته: ثلاثة قتلة، هذا أمر واضح.

- لماذا ثلاثة؟

- كيف ذهب الضحية للمخزن؟ قاد سيارة أليس كذلك؟ لأنها مسافة سير طويلة؛ إذن أين تلك السيارة الآن؟ والقاتل لم يذهب سيرًا كذلك؛ إذن لنفترض أن هناك اثنين من القتلة، أحدهما يقود السيارة والآخر جواره، وهذا يفسر اختفاء السيارتين بعد انتهاء القتل..

- ولكن؟

- ولكن الأدلة تشير إلى وجود ثلاثة، فكر من الأمر بزاوية نفسية، لقد تم استخدام كاتم للصوت، ورصاصة أخرى للتأكد من الموت، هذا ليس أسلوب رجل سيفقد أعصابه ويركل جثة رجل ميت ليهشم عظامه، ليس الرجل نفسه الذي خبأ الجثة وأخذ السيارة، أنت تنظر لثلاثة أشياء منفصلة هنا، هناك قاتل ثالث وهو الذي فقد أعصابه.

أخذ فينلاي نفسًا عميقًا وهو ينظر إليَّ قبل أن يغمغم: ربما كان هناك اثنان، بإمكانهما أن ينظفا وراءهما بعد أن ينتهيا.

- مستحيل، لم يكن لينتظر أو ينتظروا بعد فقدان الثالث لأعصابه، سيقلقون من الضوضاء والشهود، سيصيبهم الحرج، أنت تبحث عن ثلاثة قتلة.

فكر فينلاي بعناية قبل أن يقول: وبعد؟

- أنت أخبرني، أي واحد من الثلاثة هو أنا، القاتل، المخبول الذي فقد أعصابه، أم السائق الذي خبأ الجثة؟

تبادل فينلاي نظرة مع بايكر ولم يرد، فكررت: أي واحد منهم سأكون؟ سأقود السيارة مع رفاقي، وننهي العملية، ليرحلوا هم وأبقى أنا لتناول الإفطار، هذا هُراء يا فينلاي.

لم يأتني برد، كان يفكر بصمت..

- أنا لا أمتلك رفاقًا ولا سيارة؛ لذا نظريتك هي أن الضحية ذهب هناك سيرًا وكذا فعلت أنا، لأطلق عليه النار بحرص وعناية كمحترف، وأخذ أغلفة رصاصاتي، وآخذ حافظته ومقتنيات جيوبه، لكني سوف أنسى تفتيش حذائه، وبعدها أتخلص من كاتم الصوت والمسدس والكشاف والهاتف الخلوي والأغلفة، والحافظة، قبل أن أغير شخصيتي بالكامل من محترف لمخبول، وأركل الجثة في غضب غير متناهٍ، وأحاول تخبئة الجثة بطريقة غبية، وأنتظر ثماني ساعات في المطر قبل أن

أذهب لمطعم البلدة التي ارتكبت بها الجريمة لأتناول طعام الإفطار، هذا أفضل سيناريو ستفكر به وهو ممتلئ بالهُراء والتناقض، لماذا سأنتظر ثماني ساعات في الأمطار؟ لأبتعد في الثامنة صباحًا وسط ضوء النهار عن مسرح الجريمة..

نظر إليَّ لفترة طويلة قبل أن يقول: لا أعلم.

لم يكن من السهل على رجل مثل فينلاي الاعتراف بأمر كهذا، إلا لو كان محتارًا بشدة ويصارع نفسه، كان يعلم أن كلامي صحيح، لكن على الناحية الأخرى هناك إفادة ماريسون رئيس الشرطة نفسه، وكونه شاهد عيان ضدي، لم يكن فينلاي ليذهب لمديره ويخبرة أنه كاذب وأحمق، ولم يكن ليطارد أي أحد بعد أن قدم له مديره مشتبهًا به مثاليًّا، بإمكانه تفقد حجة غيابي، لن يتفقده أحد لفعل هذا، والمدعي العام سيطلب منه هذا على أية حال، لكن عليه الانتظار ليوم الاثنين، وهو قانط لإهدار اثنتين وسبعين ساعة، كما أنه يستطيع التنبؤ بالمشكلة الأهم، سيضطر لإخبار ماريسون بأني لم أكن موجودًا حقًّا بعد أن يتفقد حجة الغياب والحافلة والسائق، كان يتنفس بصعوبة وقوة وأنا أتأمل وجهه محاولًا استنباط ما يدور بذهنه، قلت له: أنت تفقدت رقم الهاتف واتضح أنه خلوي؟

- نعم، عن طريق رمز الهاتف.

- حسنًا، لكنك لم تحصل على اسم صاحب الرقم؛ لأن

شركات الهاتف تمتلك حق خصوصية العملاء؟

- نعم، سأحتاج لإذن نيابة، وأمر تفتيش، رخصة قانونية كاملة..

- وأنت بحاجة لمعرفة صاحب الرقم.

- هل لديك طريقة لفعل هذا دون مذكرة تفتيش؟

- ربما، لماذا لا تتصل بالرقم وترى من الذي سيجيب؟!

بدا عليهما الإحراج وهم صامتان لأنهم لم يفكرا في هذا من قبل، وتجنب كل منهما النظر للآخر، أطرق بايكر برأسه للملف قبل أن يحمله ويخرج متمتمًا بشيء ما تاركًا فينلاي وحده بعدما استأذنه وأشار له الأول أن يرحل، أغلق بايكر الباب خلفه، فتح فينلاي فاه ليقول شيئًا ثم أطبق شفتيه وعاد للصمت، كان يحاول الحفاظ على ماء وجهه، تنحنح وغمغم: هذا رقم هاتف خلوي، لو اتصلت به لن يتسنى لي معرفة لمن يخص ولا موقعه.

- اسمعني يا فينلاي، أنا غير مهتم بهُوِيَّة صاحب الهاتف، أفهمتني؟ غير مهتم، كل ما يهمني هو أنه ليس هاتفي؛ لذا اتصل به، وعندما يجيبك كائن ما ستعرف أنه لا يخصني.

طرق فينلاي بأصابعه على المكتب وظل صامتًا..

- أنت تعرف كيف تتم تلك الأمور، اتصل وأخبرهم بقصة وهمية عن عطل فني، أو فاتورة غير مدفوعة، وحاول أن تتأكد من اسم العميل والعنوان أو شيء من

هذا القبيل، افعلها، من المفترض أنك محقق بالله عليك..

التقط الورقة ونظر للرقم وأخرج هاتفه ليجري الاتصال ووضع المكالمة على وضعية تكبير الصوت، رن الهاتف واستمر في الرنين قبل أن يرد أحدهم قائلًا: بول هوبل، كيف أستطيع مساعدتك؟

المتحدث كان يمتلك لكنة أهل الجنوب، ويتحدث بثقة وآلية كشخص اعتاد الحديث بغزارة عبر الهواتف الخلوية.

- مساء الخير يا مستر هوبل، معك شركة الهاتف، قسم الدعم الفني، لدينا تقرير بخصوص مشكلة في رقمك.

كان فينلاي يتحدث ببطء وهو ينظر للمكتب ويكتب اسم «بول هوبل»..

- خطأ؟ مشكلة؟ أنا لم أتصل بكم ولم أقدم شكوى، لا توجد مشاكل في رقمي.

- المشكلة ليست عندما تجري أنت مكالمة خارجية، العطل يخص المكالمات الواردة، بعضها لا يصل إليك، أنا أجري استشعار لشبكتك الآن ونحن نتحدث وهي ضعيفة للغاية.

- لكني أسمعك بشكل واضح.

- مرحبًا؟ مستر هوبل؟ صوتك غير واضح؟ مرحبًا؟ سيكون من الأفضل معرفة موقعك الجيوغرافي لهاتفك يا سيدي، لقياس التردد وقوة الشبكة.

- أنا في المنزل.

- حسنًا، هل بإمكانك تأكيد عنوانك يا مستر هوبل.

قالها فينلاي وهو يمسك بالقلم استعدادًا للكتابة في الورقة..

- ألا تمتلك عنواني؟ أنتم ترسلون إليَّ فاتورة إلى عنواني شهريًّا.

قالها الرجل بنبرة تحدٍّ، كرجل على وشك بدء الشجار مع آخر، نظر إليَّ فينلاي بحيرة وابتسمت أنا له فقطب جبينه..

- أنا من قسم الدعم الفني.

قال فينلاي بالنبرة نفسها المتحدية، لقد أصبحوا رجلين يتحديان بعضهما في المسائل التقنية الآن وأردف فينلاي: بيانات العملاء تخص قسمًا آخر، بإمكاني الوصول لتلك المعلومات، لكن هذا سوف يستغرق بعض الوقت، أنت تعرف ماهية سير تلك الأمور يا سيدي، وعلينا الاستمرار في الحديث لقياس تردد الشبكة، كما تعلم؛ ولذا، لو أنك تحفظ قصيدة شعر مفضلة بإمكانك إخباري بها لزج الوقت، فربما يمكنك تأكيد العنوان.

صدر صوت ضحكة سريعة من المدعو هوبل قبل أن يقول: حسنًا حسنًا، اختبار، اختبار، اختبار، هذا بول هوبل، يتحدث من منزله، عقار ٢٥ في منطقة «بيكمان»

أكرر، أكرر، صفر، اثنان، خمسة، بيكمان، في بلدة مارجرايف، م ا ر ج ر ا ي ف، في ولاية جورجيا، الولايات المتحدة الأمريكية، والآن أخبرني هل الإشارة بخير؟

لم يرد فينلاي، واعتلى قلق شديد وجهه

- هل أنت معي؟

- نعم يا سيد هوبل أنا هنا، لا أستطيع إيجاد أي مشكلة في الشبكة، لقد كان إنذارًا كاذبًا، شكرًا لوقتك.

- حسنًا، العفو.

أنهى فينلاي المكالمة ونظر للسقف مغمغمًا بشيء لم أسمعه قاله لنفسه، ثم قال: تبًّا، وهنا في ماجرايف، من هو بول هوبل اللعين هذا؟

- أنت لا تعرفه.

- أنا لم أقضِ سوى ستة أشهر في البلدة.

قالها فينلاي بعد أن انتبه لوجودي وأنه أطلق العنان لأفكاره..

ضغط زر الاستدعاء وطلب بايكر، الذي دخل المكتب بعد دقائق فسأله فينلاي: هل سمعت عن رجل يدعى هوبل؟ بول هوبل؟ يحيا هنا في البلدة، في شارع بيكمان.

- بول هوبل؟ بالتأكيد أعرفه، هو يقطن هنا كما قلت،

لقد كان دومًا من سكان مارجرايف، رجل عائلة، وستيفينسون أيضًا يعرفه، هما صِهْرَان على ما أعتقد، وتربطهما صداقة، هوبل يعمل في المصرف محاسبًا أو مختص ماليات، شيئًا ما يتعلق بعمل المصرفيين، لكنها وظيفة مهمة، ويسافر كثيرًا لأطلانطا، أنا أراه كل حين وآخر.

نظر إليه فينلاي قبل أن يقول: بول هوبل هو صاحب الرقم على الورقة.

- يا له من أمر لا يصدق، بول هوبل، وهنا في مارجرايف.

التفت فينلاي باتجاهي

- أفترض طبعًا أنك ستقول إنك لم تسمع عنه من قبل.

نظرت إليه وقلت: لم أسمع عنه من قبل.

تفحصني بعينيه ليتبين هل أكذب أم لا، ثم التفت لبايكر قائلًا: اذهب وأحضر هوبل إلى هنا، عقار ٢٥ في منطقة بايكر، الله وحده يعلم علاقته بما يحدث هنا، ولكن علينا الحديث معه.

- كن رفيقًا معه، هو رجل محترم..

أومأ فينلاي برأسه لبايكر..

نظر بايكر إليَّ بينما فينلاي يوقف جهاز التسيجل مغلقًا الباب بقوة.

تنهد بايكر وأخرجني من المكتب بعدما فتح الباب ليعود بي للزنزانة، دخلت بعد أن فك أصفادي المعدنية، ووضعها على حزامه، ثم تراجع للخلف وأغلق باب الزنزانة، ورحل ليحضر هوبل..

- انتظر يا بايكر.

استدار ناظرًا إليَّ بنظرة تخلو من الوُد

- أريد تناول الطعام والقهوة.

- ستأكل في السجن، ستصل الحافلة في تمام السادسة صباحًا.

عاودت الاستلقاء فوق معطفي، متخيلًا فينلاي يسأل بول هوبل عن علاقته بما يحدث، وسبب تواجد رقمه على الورقة، الجو يزداد برودة، ولم أستطع معاودة النوم، حاولت تصفح الجريدة لكن كل ما فكرت به هو رجل يطلق الرصاص على رأس أحدهم، بينما زميله يضرب الجثة ويركلها بجنون، ويهشم كل عظامها، تلك هي نوعية الأشياء التي لا أحاول التفكير بها وتذكرها من حياتي ووظيفتي السابقة، سعيت للتفكير بشيء آخر.

***

الفصل الرابع

استلقيت في ركن الزنزانة أستمع لأغنية «بوبي بلاند» في ذهني، أغنية قديمة ومفضلة إليَّ، البشر يصرفون آلاف الدولارات على الكاسيت والسماعات، إنها لصناعة مُهِمَّة جِدًّا، ولكن أفضل جهاز استماع للأغاني بالنسبة إليَّ كان مجانيًّا، وهو عقلي، ظللت أستمع للأغنية، اسمها «بعيدًا بعيدًا في نهاية الطريق»، وقد بدا أنها تناسب المزاج الحالي، شعرت بالاسترخاء قبل أن تنطفئ الأغنية في عقلي عندما رأيت رئيس الشرطة البدين، ماريسون.

رأيته من على بعد ما اكتشفت أني لو انحنيت في الزنزانة للأمام سأتمكن من رؤية قسم الشرطة كله، مضينا لغرفة الاستجواب التي كانت خالية، وتحمل روح التحقيق الجاري، والمرأة ذات الشعر الأسود التي أخذت بصماتي، وتعمل الآن على حاسبها الآلي الموصل بمكتبها الصغير، وردهة الاستقبال، وأخيرًا مكتب ماريسون، كان الأخير يتجه إليه بخطوات واثقة، ماريسون الذي كذب بشأن رؤيتي في المخزن، ربما اختلط عليه الأمر ورأي أحدًا يشبهني لكني لا أعتقد هذا، دخل الوغد البدين مكتبه، أغمضت عيني محاولًا الشعور بالاسترخاء مرة أخرى، وعندما فتحتهما وجدت أمامي ذات الشعر الأسود، كانت عائدة من حيث تقع آلة صنع القهوة، سألتني: هل أُحضر لك قدحًا من القهوة؟

- بالتأكيد، سيكون هذا عظيم، سوداء بلا سكر، أو كريمة.

وضعت قدحها جانبًا وذهبت للآلة، وصبت لي كوبًا كاملًا، وعادت لتعطيني إياه، كانت جذابة، وفاتنة، تقترب من الثلاثين، لم تكن فارعة القامة ولكن وصفها بمتوسطة الطول سيكون أمرًا غير عادل كذلك، قمحية اللون، عندما أخذت بصماتي وصورتي كان يعتليٍ وجهها تعبير من الرسمية، هذا التعبير لم يكن متواجدًا الآن؛ لأن إحضار القهوة إليَّ ليس جزءًا من عملها، وبالتأكيد سيكون ضد أوامر ماريسون، إحضارها القهوة إليَّ جعلني أستلطفها.

انحنت وأعطتني الكوب، كانت تبدو أجمل من على قرب، ورائحتها عطرة للغاية، في البدء كانت تذكرني بالممرضات في المستشفى، لكني شعرت أنها تختلف الآن، لا أعلم كيف، أخذت منها الكوب بانتشاء، لقد كنت ظمآنَ كما أني أهيم حُبًّا بالقهوة، أعطني الفرصة ولسوف أشرب القهوة السوداء مثلما يشرب مدمن الكحوليات الفودكا، رشفت من الكوب، القهوة كانت جيدة، رفعت الكوب كأني أحييها وقلت: شكرًا لك.

- على الرحب والسعة.

قالتها مبتسمة، ليس بفمها فحسب، ولكن بعينيها أيضًا، عيناها كانت مثل ضوء الشمس الدافيء في يوم مثلج،

سألتها فجأة: إذن أنتِ تعتقدين أني بريء؟

التقطت كوبها حيث تركته، وهمست: ألا تعتقد أني أُحضر القهوة للمذنبين؟

- لا أعتقد أنك حتى تتحدثين للمذنبين.

- أنا أعلم أنك لم ترتكب ما يتهمونك به.

- كيف؟ لأن عيني بهما براءة؟

ضحكت هي قائلة: كلا أيها الأحمق، لأننا لم نتلقَّ اتصالًا من واشنطن بعد.

ضحكتها كانت جميلة، أردت تبين اسمها المعلق في البطاقة المعلقة على قميصها، لكني خشيت أن تعتقد أني أتفحص جسدها، تذكرت مدى جاذبيتها وهي تلتقط صورتي، فنظرت للبطاقة ، اسمها روسكو، ولها قوامُ رائع، رشفت من القهوة مجددًا، بينما تلفتت حولها لتتأكد من عدم وجود أحد قبل أن تقترب من القضبان قائلة: لقد أرسلت بصماتك لواشنطن عن طريق الفاكس، هذا كان منذ ثلاث ساعات ولم نتلقَّ ردًّا، لو كنت مجرمًا خطيرًا ضمن قائمة المطلوبين لكنا تلقينا ردًّا فوريًّا لأن نظام المكتب الفيدرالي لا يسمح للهاربين بأن يظلوا طلقاء، يسعى لهذا على أية حال، والنظام يعمل بشكل آلي وتلقائي؛ ولذا معنى مرور ثلاث ساعات أنك لا تمتلك - على الأقل- سجلًا إجراميًّا.

لمحت الرقيب في مكتب الاستقبال ينظر إليها بعدم رضا لحديثها معي، ستضطر هي للرحيل الآن، أنهيت القهوة وأعطيتها الكوب من خلال القضبان.

- إذن بصماتي لم تظهر أني أمتلك أي سجل إجرامي؟

- نعم، كما أنك لا تطابق مواصفات القاتل.

- حقًّا؟

- حقًّا، ثم ابتسمت هي مضيفة: أنت تمتلك عينين لطيفتين، بهما براءة.

وغمزت لي قبل أن تستدير راحلة، ورمت الأكواب البلاستيكية في سلة المهملات، قبل أن تجلس أمام مكتبها والحاسب الآلي، لم أعد أرى سوى شعرها ومؤخرة رأسها، فكرت في حقيقة أن لي ستة أشهر أتجول في البلاد جعلتني مثل الأبطال في أفلام رعاة البقر القديمة، الغريب الذي ينتقل من بلدة لأخرى، وأدركت أن الرحالة والمتجولين من أمثالي يعتمدون بشكل كبير على لطف الغرباء، ليس من أجل غرض محدد أو مادي، ولكن للتأثير النفسي، التفت برأسي ونظرت حيث تجلس روسكو وابتسمت، أنا حقًّا أستلطفها.

عدت للاسترسال في أفكاري، ترى هل يقطن بول هوبل بعيدًا عن هنا؟ كم من الوقت سوف يستغرق بايكر ليصل إليه؟ لقد قال الأخير إن هوبل رجل عائلة، مصرفي يعمل في أطلانطا، وهذا يعني أنه سيمتلك منزلًا

فاخرًا من طابقين بالقرب من البلدة، ومن المدارس وأصدقاء أطفاله، حيث المتاجر والنادي من أجل زوجته، وسيكون هناك طريق مختصر ليقوده للطريق السريعة ومنه إلى أطلانطا، ربما يمتلك مسبحًا وأشجارًا خضراء جميلة تحيط بمنزله، هنا رأيت فاينلاي يتحرك صوب الباب، وبايكر يدخل وبصحبته رجل طويل فاتح لون الْبَشَرَة، في الثلاثينيات، شعر ناعم ومصفف للخلف، بلون ذهبي، ملابس أنيقة، كان يبدو كصورة على غلاف مجلة إعلانية عن الطالب المثالي، يرتدي نظارة مستديرة، وله فك مربع، أسنان بيضاء، رأيتها كلها عندما ابتسم للرقيب في مكتب الاستقبال.

كان يرتدي قميصًا صيفيًّا، وسروالًا من قماش، كلاهما أبيض اللون، لم أتبين قدميه لكني راهنت نفسي أنه سيرتدي حذاءً قماشيًّا دون جوارب، كان يبدو متأهبًا وقلقًا، وضع يديه في البداية فوق حافة مكتب الاستقبال، ثم أدارهما ووضعهما في جيبيه، لمحت ساعة ذهبية باهظة الثمن على ساعده، خمنت أن سلوكه الطبيعي سيكون التعامل كرجل ثري ودود، لكنه كان مشتتًا، لا أعلم بالضبط ما الذي قاله له بايكر في تلك اللحظة وهو يقف معه ولا ما أخبره به فينلاي، وكم من المعلومات أفصح له، في الأغلب لا شيء، هم محترفون إلى تلك اللحظة، وعليه فإن هوبل لا يعلم سبب وجوده حتى الآن، لكنه يعلم شيئًا ما، لقد كنت شرطيًّا لثلاثة عشر عامًا، وبإمكاني تبين قلق

شخص يحمل سرًّا من على بعد أميال، وهوبل كان يخفي سرًّا.

ظللت منحنيًا على قضبان الزنزانة أراقب ما يحدث، ذهب هوبل ليدخل غرفة الاستجواب ورأيت قدميه داخل حذاء قماشي دون جوارب، دخل فينلاي الغرفة وبايكر معه، ثم خرج الأخير وأغلق الباب تاركًا كلًّا من فينلاي وهوبل في غرفة الاستجواب، لقد كنت أتوقع خروج بايكر، بما أنه يعرف هوبل، وبينهما صديق مشترك وهو الشرطي الآخر، ستيفينسون، وكنت أعلم أن فينلاي محترف ولن يسمح بتواجد بايكر لهذا السبب، سار بايكر وحيدًا متجهًا لمكتبه.. ناديته: باايكر، غير من اتجاهه وقدم إليَّ ليقف حيث وقفتْ روسكو منذ قليل، ونظر لي في صمت متسائلًا..

أنا أريد الذهاب لدورة المياه، ولا تخبرني أن الحافلة ستصل في السادسة صباحًا وعليَّ الانتظار للذهاب للسجن.

ابتسم، بقليل من المقت، لكنه ابتسم، رأيت سنة ذهبية وسط أسنانه، صاح بشيء ما لشرطي الاستقبال، ثم أخرج مفاتحيه وأخرجني من الزنزانة، وذهب معي لدورة المياه.

هم يعلمون أني لست القاتل، لم يتصرفوا معي بنفس الحرص السابق، كان بإمكاني ضرب بايكر وأخذ سلاحه دون عناء، وإطلاق الرصاص على شرطي الاستقبال قبل

أن أهرب من المخفر، والتوجه لأطلانطا بعد سرقة أقرب سيارة، لا مشكلة على الإطلاق، لم أفعل أيًّا من هذا ودخلت الحمام لأقضي حاجتي.

أغلقت الباب خلفي وسمعت بايكر يقول: لا توصده.

لقد كانوا يستهينون بي لحدٍّ لا يوصف، لقد أخبرتهم أني كنت شرطيًّا عسكريًّا، ربما صدقوني وربما لا، ربما لم يعنِ لهم الأمر شيئًا، رغم أنه يجب أن يعني شيئًا لهم، الشرطي العسكري يتعامل مع فئة مختلفة من المجرمين، جنود وضباط جيش مدربين ومسلحين ولديهم قدرة على القتل وخبرة به؛ ولذا يتوجب على الشرطي العسكري أن يكون أكثر كفاءة وتدريبًا وقوة، لو كانوا يعتقدوا حقًّا أني القاتل، لاصطحبني فريق كامل منهم لدورة المياه والبنادق تحيط بي من كل صوب.

عدنا بعدها للزنزانة، وجلست بعدما ذهب بايكر لمكتبه، مرت عشرون دقيقة دون أن يحدث شيء، فينلاي في مكتبه مع بول هوبل، روسكو تجلس مكانها وكذلك بايكر، ثم سمعت جَلَبَة مفاجئة وصياحًا من المكتب المغلق، قبل أن يصيح فينلاي مناديًا بايكر عبر جهاز الاستدعاء، صوته متوتر، ذهب بايكر للمكتب وطرق مسرعًا قبل أن يدخل، رأيت روسكو تنضم إليهم، وماريسون يخرج ثم يعاود الدخول، هناك أخبار مُهِمَّة وعاجلة، لمحت ستيفينسون يتحدث بانفعال مع شرطي الاستقبال، والأخير يضع يده على ذراع ستيفينسون مهدئًا، ثم خرجوا جميعًا، ماريسون،

فينلاي، وبايكر ممسكًا هوبل من كتفه، الطريقة نفسها التي أمسكني بها، ثم عاد ماريسون المتصبب عرقًا وفينلاي للمكتب الكبير، بينما قاد بايكر هوبل ناحيتي، بدا لي الأخير كشخص آخر الآن، شاحب الوجه، ممتعضًا ومرتجفًا، بدا أصغر حجمًا، وهناك ألم في عينيه، وأدخله بايكر الزنزانة المجاورة لي، خرجت روسكو وعادت لمكتبها، وأطلت برأسها لتنظر لهوبل، كذلك فعلوا جميعًا، لقد كانوا يشاهدون رجلًا وهو ينهار، سمعت أصوات حديث عالية من المكتب، ثم انفتح الباب مرة أخرى، وخرج ستيفينسون تلك المرة، وهو غاضب للغاية، ومعه ماريسون، أتى بايكر لزنزانتي دون حديث وفتحها، وأخرجني متجهًا بي للمكتب حيث فينلاي، ومسجل الصوت، والهواء البارد، بدا الضيق والانزعاج على وجه فينلاي الذي قال لي بعدما جلست: لدينا معضلة حقيقية يا مستر ريشتر، معضلة حقيقية..

صمت بعدها، ونظرت أنا للساعة، أمامي نصف ساعة فقط قبل أن تصل الحافلة التي ستنقلني للسجن، الوقت ليس في صالحي، رفع فينلاي رأسه وواصل حديثه: لقد أحضرنا هوبل إلى هنا، ربما أنت رأيته، مصرفي أنيق وشاب من أطلانطا، يرتدي حلة بآلاف الدولارات، وساعة «روليكس»، في البدء اعتقدت أنه منزعج فحسب، وفور أن بدأت الحديث تعرف هو على صوتي واتهمني بالخداع والاحتيال وهو محق في هذا في ادعائي بأني من

شركة الهاتف خلال مكالمتي معه..

عاد بعدها لصمته، وهو يصارع ضميره المهني، أيخبرني أم لا..

- هيا يا فينلاي، لَدَيَّ أقل من نصف ساعة هنا.

- حسنًا، لقد كان منزعجًا وقلقًا ومتزمتًا في بادئ الأمر، سألته إن كان يعرف، جاك ريتشر، جندي سابق، أجابني بالنفي، قال إنه لم يسمع عنك من قبل وقد صدقته، بدأ يسترخي، ولسان حاله: كل هذا بسبب رجل يدعى جاك ريتشر، كأنه أدرك أن الأمر لا يخصه، كان لديه ما يخفيه، وقد كان سعيدًا أن الأمر لا يتعلق بما يخفيه، وأصبح هادئًا ولطيفًا..

- أكمل.

- سألته بعدها إن كان يعرف رجلًا حليق الرأس بمواصفات القتيل، وسألته عن بليوريبياس، وأخبرته بشأن مقتل الرجل الطويل، لأجده ينهار دون سابق إنذار.

- أكمل، لَدَيَّ خمس وعشرون دقيقة الآن لحين وصول حافلة النقل.

- ظل صامتًا دون أن يتفوه بحرف، يرتجف ويهلع، في حالة صدمة رهيبة، وشحب وجهه لدرجة أني اعتقدت أنه سيصاب بنوبة قلبية، ظل يفتح ويغلقه كسمكة خارج الماء، لكنه لم ينبس بحرف، وهكذا أخبرته بشأن ضرب

الجثة، وأننا نعرف بشأن تخبئة الجثة، ظل يتلفت حوله وأنا أتحدث، ولاحظت أنه يفكر بشكل محموم كأنه سيفقد عقله، محاولًا أن يقرر ما الذي سيفعله، ومسجل الصوت يعمل ويحتفظ بكل شيء، أربعون دقيقة كاملة من الصمت.

توقف فينلاي عن الكلام مرة ثانية، تلك المرة من أجل التأثير الدرامي، ثم قال: وبعدها اعترف !!.. لقد قال إنه فعلها، إنه هو من قتل الرجل، أطلق عليه الرصاص، لقد اعترف بكل شيء واعترافه مسجل هنا على جهاز التسجيل، سألته إن كان يريد محاميًا، لكنه رفض وظل يكرر أنه هو من قتل الرجل؛ لذا تلوت عليه حقوقه، ثم سألته فجأة عن اسم القتيل، قلت له: من قتلت؟ فأجابني: الرجل الطويل حليق الرأس، فسألته عن كيفية القتل، ليخبرني أنه أطلق عليه الرصاص في رأسه، متى؟ كان هذا هو سؤالي التالي، وإجابته: عند منتصف الليل، وعندما سألته عمن ضرب الجثة، واسم القتيل، ومعنى كلمة «بليوريبياس» لم يجبني، واعتلى الرعب وجهه مرة أخرى، وعندما أخبرته أني لا أعتقد أنه قتل أي أحد ظل يصرخ ويكرر أنا اعترفت، أنا اعترفت، أنا قتلته.. ثم صمت بعدها ولم يقل شيئًا منذ ذلك الحين.

رأيت عدم التصديق في عيني فينلاي، هو لا يعتقد أن هوبل هو القاتل، ولم أعتقد أنا ذلك أيضًا، درجة التوتر التي كان بها هوبل تقول بوضوح إنه لا يمتلك الثبات

الانفعالي ليطلق الرصاص من فوهة مسدس مزود بكاتم صوت، ويخفي جثة، ويلتقط أغلفة الرصاص، من يفعل هذا ينتمي لطبقة مختلفة من القوم، يمتلكون رباطة جأش وقدرة على القتل، هوبل قد يقتل أحدهم وهو يدافع عن نفسه، سيرتعد ويهرب بعدها ولن يطلق رصاصة ثانية للتأكد من موت مهاجمه، كلا هوبل ليس القاتل، ليس هذا الرجل المتوتر المرتعش الذي رأيته في ردهة الاستقبال، على أية حال اعترافه بالقتل يُخلي ساحتي، قلت هذا مبتسمًا لفينلاي الذي هز رأسه نفيًا وقال: كلا لن أطلق سراحك أنا لا أصدق هوبل.. كما أنك أقنعتني بوجود ثلاثة قتلة، أيهم هوبل إذن؟ أتعلم شيئًا؟ هو ولا واحد منهم، هو ليس مخبولًا، وليس قاتلًا، الرجال من أمثال هوبل لا يستطيعون إطلاق الرصاص في لعبة قتال زائفة..

أومأت برأسي وشعرت أني زميل فينلاي في التحقيق الآن..

- ولكن عَلَيَّ الزج به في السجن لأنه اعترف.

ثم نظر إليَّ كأنه يريد أن يقول شيئًا لكنه متردد فقلت له مشجعًا: أكمل.

- هو لم يكن هناك عند منتصف الليل، أتحدث عن هوبل، لقد كان في حفلة ما، احتفال عائلي بمرور ذكرى ثانوية، مع زوجته، شهود عدة رأوه يدخل الحفلة ويخرج

منها، كما أن أصهاره أوصلوه بسبب الأمطار.. أتعلم من صهره الذي أوصله في الثانية صباحًا لمنزله؟ ستيفينسون.

***

الفصل الخامس

- أنا آسف يا ريتشر.

قالها فينلاي وهو يتراجع في مقعده بتحضر آسفًا لرجل يمتلك خبرة ويعلم أنه سيرسلني للسجن من أجل شيء لم أفعله.

- أنت آسف؟ أنت سترسل رجلين للسجن بسبب جريمة لم يرتكبها أحدهما، وأنت آسف؟

تنهد فينلاي بتعاسة قبل أن يرد: هذا ما يريده ماريسون وهو الرئيس هنا.

- أنت تمزح، ماريسون وغد، وأنت تعلم ذلك، وغد كاذب.

- ما يقوله ماريسون هو أن هناك مؤامرة، ربما لم يفعلها هوبل بنفسه، لكنه دفع لك من أجل قتل الرجل، وربما هوبل خائف منك لذا اعترف، نظرية ماريسون أنك كنت ستذهب لمنزل هوبل كي تحصل على أموالك نظير قتلك للرجل مجهول الْهُوِيَّة، ومن وجهة نظره هذا يفسر سبب تواجد هوبل بالمنزل اليوم، وانتظارك لثماني ساعات..

بدأ القلق يتزايد بداخلي، ماريسون يثبت أنه خطر بحق، ونظريته منطقية، لن يبرئ ساحتي سوى حجة الغياب عندما يتحقق منها فينلاي، هذا لو تحقق منها.

- ولذا أنا آسف يا ريتشر، لكنك ستبقى أنت وهوبل في السجن ليوم الاثنين، وأنا سأتحقق من حجة غيابك قبل الاثنين، سأطلب من روسكو، إنها تلك الشرطية الجميلة بالخارج، هي بارعة وتجيد عملها، لو أن كلامك صحيح ستتأكد هي من حجة غيابك ولسوف تكون حرًّا يوم الاثنين.

كنت أحدق به، والغضب بادٍ على وجهي..

- هذا ليس كافيًا يا فينلاي، أنت تعلم أني لم أرتكب شيئًا، أنت تخاف من هذا الوغد البدين فحسب، أنا ذاهب للسجن لأنك جبان، وتهاب مديرك.

تقبل كلامي دون انفعال، وإن لمحت شحوب وجهه، ثم قال: سأقول لك شيئين، سأعتني بأمر ماريسون يوم الاثنين، وأنا لست بجبان، أنت لا تعرفني.

نظرت للساعة، السادسة، موعد وصول الحافلة..

- أنا أعرف أكثر مما تظن يا فينلاي، أنت خريج هارفارد، مُطلّق، وقد أقلعت عن التدخين في شهر إبريل.

نظر إليَّ فينلاي دون أن يعتلي وجهه أي تعبير، في اللحظة نفسها تعالت طرقات على الباب، ثم دخل بايكر معلنًا وصول الحافلة، وأنه سينقلني إليها الآن، فغمغم فينلاي: سأحضره بنفسي، رحل بايكر، وأدار فينلاي رأسه باتجاهي قائلًا بنبرة فضولية: كيف عرفت تلك الأشياء عني؟

- لم يكن من الصعب استنباطها، أنت رجل ذكي، لكنك أسود، وفي شبابك في تلك الحقبة لم تكن جامعة هارفارد لتأخذ الكثير من السود، إلا لو كانوا متفوقين دراسيًّا جِدًّا، وحاصلين على منحة، وأنت ذكي لكنك لست بعالم ذرة؛ ولذا تخميني أنك درست في جامعة بوسطن في البداية، ومنها إلى هارفارد، أنت تتحدث نكريجي هارفارد، وفي الأغلب أنت حاصل على دكتوراه في علم الجريمة، أليس كذلك؟

- نعم، حقيقي..

- وأنت أخبرتني قبل ذلك أنك حصلت على تلك الوظيفة منذ ستة أشهر، في إبريل، وأنك أكملت عشرين عامًا شرطيًّا، وهذا يؤهلك للمعاش، لكنك أتيت هنا وحدك دون امرأة؛ لأنك لو أتيت بصحبة زوجة لكانت صرفت هي معاشك على مسكن وملابس جديدة من أجلك، وأنت لا ترتدي ملابس جديدة، أعتقد أن زوجتك كانت تكره حُلَّتك القديمة تلك، وكونك لا تزال ترتدي تلك الحُلَّة فهذا يعني أن زوجتك تركتك؛ لذا أنت مُطَلِّق..

أومأ فينلاي برأسه مؤكدًا كلامي فتابعت: ومن السهل تخمين أمر إقلاعك عن التدخين، كلما توترت تذهب يداك بتلقائية لتتفقد جيبك كأنك على وشك التقاط لُفافة تبغ، مثل أي رجل أقلع عن التدخين، وبما أنك انتقلت لبلدة

مارجرايف في إبريل؛ من أجل حياة ووظيفة جديدة بعد الطلاق، فهذا في الأغلب التوقيت الذي قررت فيه الإقلاع عن التدخين.

ظل يتأملني قبل أن يقول: جيد جِدًّا يا ريتشر، استنباط بديهي يا عزيزي واطسون(2).

- لم لا تستخدم قدراتك التحليلية تلك في تخمين هُوِيَّة القاتل يا ريتشر.. ها؟

- أنا لا أهتم بمن قتل من في المخزن في بلدتك تلك، تلك مشكلتك أنت، كما أن هذا سؤال خاطئ؛ لمعرفة القاتل عليك تهديد هُوِيَّة القتيل..

- وهل لديك طريقة لتحديد هُوِيَّة القتيل أيها المتذاكي؟ بلا حافظة، ولا هُوِيَّة، ولا وجه.. ولا شيء ناجم عن بصماته، وهوبل رفض الكشف عن هويته.

- أجرِ فحص البصمات مرة أخرى، أنا لا أمزح، اطلب من روسكو فعل هذا.

- لماذا؟

- لأن هناك شيئًا خاطئًا.

- وما هو؟

- فقط أجرِ فحص البصمات مرة أخرى.

نظر إليَّ بمقت ولم يرد، ثم أخرجني من المكتب، لم يكن

هناك أحد في المخفر سوى بايكر، وبول هوبل في زنزانته، روسكو قد رحلت، بايكر كان يقف يمضي بعض الأوراق مع رجل تبين لي لاحقًا أنه سائق الحافلة، الأخيرة كانت ضخمة وتقبع خارج الباب، أشبه بحافلات نقل طلاب المدارس، وقد كتب عليها «مؤسسة جورجيا الإصلاحية»، وضع فينلاي يده على كتفي وقادني لبايكر، الذي وضع ثلاثة ملفات برتقالية اللون في يده جانبًا، وذهب بدوره ليفتح زنزانة هوبل الذي كان شاحبًا وممتقع الوجه، أخرجه بايكر من الزنزانة، فقلت من موضعي: خذ ساعته الروليكس، الذهبية، يا بايكر، سيسرقونها منه في السجن، أومأ بايكر رأسه بتفهم لما أعنيه، هو يعلم أن أمثال هوبل سيفقدون الكثير من الأشياء في السجن، مد بايكر ليفك الساعة عن معصم هوبل لكنها أبت الانزلاق إثر الأصفاد؛ نفخ بايكر وزفر وهو يحرر الساعة حتى أخذها من هوبل ذي العينين الحائرتين أخيرًا، ووضع بايكر الساعة فوق أقرب منضدة حيث وضعت صديقتي روسكو قدح القهوة الخاص بها، «هيا بنا يا رجال» قالها بايكر لي أنا وهوبل.

انعكست أشعة الشمس المشرقة على وجهي ووجه هوبل، كلانا مقيد بالآخر، وقبل أن نعتلي الحافلة توقف هوبل، وتلفت حوله بخوف، ربما كان خائفًا من أن يراه جيرانه، لمحت الكنيسة مرة أخرى قبل أن أدخل الحافلة، أغلق السائق أبوابها وجلست أنا وهوبل متجاورين

في مقعدين اختارهما السائق، لم يكن هناك ركاب سوانا، انحنى السائق وربط الأصفاد في إطار معدني أمامنا، شدها ليتأكد من فعاليتها، لم يكن يريد أن يسوق الحافلة وهناك سجناء طليقون بها بالتأكيد، انحنى هوبل صوب النافذة فجرني معه، وقف السائق ونظر لنا، ثم جرب الأصفاد مرة أخرى، لم ألمْهُ، تلك وظيفته على كل حال، ذهب بعدها جلس في المقدمة قبل أن يدير المحرك، لم يكن هناك مكيف هواء، وكل النوافذ مغلقة، شممت رائحة الوقود، وتحركت الحافلة، لم يكن هناك أحد يلوح لنا بالوداع مبتسمًا، اتجهت الحافلة شمالًا، تاركة مخفر الشرطة في الخلفية، ومرت جوار مطعم «إينو» ورأيت غبارًا مصبغًا باللون الأحمر مع أشعة الشمس متطايرًا من إطارات الحافلة الداهمة للأرض الترابية، فأدركت أننا انعطفنا للطريق السريع، المؤدي للسجن بلا ريب، هوبل كان يتأرجح يمينًا ويسارًا جواري دون أن يقول شيئًا مع انعطافات الحافلة المهتزة، بدا لي كأن طاقة الحياة قد تم استنزافها منه، ذراعه اليسرى مرفوعة لأعلى بسبب الأصفاد، واليمنى مسترخية، كنا نمر جوار صف من الأشجار الآن، ورأيت مجموعة من المباني، بدت لي كمصانع كيميائية، ربما كانت مختبرات نووية، لم أعلم، كانت مكونة من الرخام والمعدن والزجاج، أدركت أن هذا هو السجن، هوبل كان ينظر أرضًا، لم أنكزه لينظر لما أراه، إنها ليست المملكة السحرية في نهاية المطاف.

أبطأتِ الحافلة من سرعتها وهي تمر جوار سياج كهربائي، شديد الارتفاع، رفع هوبل رأسه أخيرًا ونظر أمامه عندما بدأت الحافلة في التوقف، كنا نقف أمام بوابة الدخول، والسائق ينتظر شرطي البوابة ليفتحها، سمعت هوبل يئن في ألم، أشار الشرطي بيده وتحدث عبر جهاز اللاسلكي، ثم ضغط زرًّا في كابينته لتنفتح البوابة ببطء، أدار السائق المحرك مرة أخرى، وتحركت الحافلة بنا لتدخل سجن وإصلاحية ولاية جورجيا، الذي يقع على مشارف بلدة مارجرايف، قاد السائق الحافلة لمئة ميل من حيث السياج الكهربائي، ثم أوقف المحرك، ووقف في صمت متجهًا إلينا حاملًا المفاتيح، وقال مبتسمًا فجأة: هيا يا فتيان، لقد حان وقت الاحتفال.

أخرجنا السائق من الحافلة بعدما فك الأغلال المعدنية التي كانت تشبك الأصفاد، ذهب بنا لبوابة أخرى صغيرة تخص المبنى وانفتح بابها ليخرج حارس، كان يسير بثقة ولا مبالاة وهو يأكل شطيرة نقانق، وقد كونت الصلصة شاربًا على شفته، بالداخل كان هناك حارس آخر في الزي الرسمي مثل الأول، لكنه لم يكن يأكل شيئًا، قال لنا ببرود: اجلسوا.

جلست أنا وهوبل، وأغلق الحارس ذو الشطيرة الباب، ثم ذهب ليقف مع زميله، ونفخ أوداجه قائلًا: إليكم الأمر الآن، كلاكما، ريتشر وهوبل، من مارجرايف، لم تُدانا بأي جريمة بعد، أنتما في حفظ النظام القضائي دون كفالة

لحين عرضكما على الادعاء العام، هل سمعتما ما قلته؟ لم تُدانا بأي جريمة، وهذا شيء مهم، سيعفيكما من الكثير من الهُراء هنا، لن ترتديا الزي الرسمي الخاص بالمساجين، لن تمرا بالإجراءات المعتادة، هل فهمتما؟ سنعتني بكما هنا..

- هذا صحيح.

قالها الحارس الآخر وهو يلوك شطيرة النقانق..

ثم أردف: الحقيقة أنكما لو كنتما مدانين بجريمة لكنا أذقناكما الجحيم بشتى أنواعه، وألبسناكما ما أردنا، ولكنا عاملناكما مثل الحيوانات، وألقينا بكما لبعض المساجين الخطرين، وجلسنا نشاهد في استمتاع ومرح ما الذي سيفعلونه بكما.

- هذا صحيح.

قالها الحارس الأول وابتسم مكملًا: ما نقوله لكما يا فتيان: إننا لن نصعب الأمور عليكما هنا؛ ولذا لا تصعباها على أنفسكما، تلك الإصلاحية اللعينة لا تمتلك البال الرائق لهذا، والحاكم سرح الكثير من الحراس لخفض التكلفة، ومع خفض التكلفة تقل جودة الخدمة، علينا سد العجز، وأنتما لن تقفا في طريق سد العجز أليس كذلك؟ ولذا ليكون كلامي واضحًا، أنا لا أريد رؤية وجوهكما ثانية لحين يوم الاثنين، لا تسببا المتاعب، ولن نفعل لكما شيئًا، هل تفهمانني؟ أنت يا هوبل؟ أتفهمني؟

أومأ هوبل برأسه مسرعًا دون أن ينطق بحرف، فسأل

الحارس متابعًا: وأنت؟ ريتشر؟ أتفهمني؟

- بالتأكيد.

قلتها ببطء، لقد فهمت، هذا الرجل يعاني من نقص حراس؛ بسبب الميزانية والعجز، بينما أصدقاؤه عاطلون لأنهم سرحوهم، مثلما حدث معي.

- جيد، هذا جيد، أنا وصديقي هنا سننهي نوبتنا في تمام السابعة، أي بعد دقيقة من الآن، ولن نبقى متأخرين من أجلكم، نحن لا نريد هذا والاتحاد لن يتركنا نفعل هذا؛ لذا مستر سبايفي، مساعد آمر السجن بنفسه، سيأتي ويأخذكما؛ لأننا نعاني نقص الحراس كما ذكرت لكما، الأضواء ستنطفئ بعد العاشرة، لو لم تحبا هذا اذهبا واشتكيا للحاكم..

ذهب الحارس الذي كان لا يزال يمضغ شطيرة النقانق وأحضر علب طعام بلاستيكية، وأكوابًا و»ترمس قهوة» ووضعها أمامنا، ثم ذهب في صمت وأغلق الأبواب علينا، جلسنا وأكلنا، أرزًا وسمكًا، شربت الكثير من القهوة، لم يتحدث هوبل، وترك معظم قهوته لي، تلك نقطة إيجابية له، بعدما انتهينا من الطعام ظللنا جالسين بانتظار سبايفي، ثلاث ساعات كاملة مرت ونحن صامتون، نظرت لهوبل دون فضول، الحقيقة أني لم أسمعه يتحدث إلا خلال الهاتف مع فينلاي، نظر هوبل إليَّ بدوره، بخوف وتردد، كان ينظر إليَّ كأني مخلوق مع عالم موازٍ، تخيلت نفسي في شاطئ ما، ربما جامايكا، ربما الكاريبي، موسيقى هادئة

في الخلفية، وأفعل كل الذي يفعله الجاماكيون، تذكرت روسكو، بزيها الرسمي الجذاب، وجسدها الفاتن، لم أرَ قميصًا في حالة أفضل من الذي ارتدته هي، وهي لم تكن لتحتاج إلى ارتدائه في شاطئ خاص بجامايكا، وهذا لم يصنع أي مشكلة معي.. لقد كانت غمزتها التي جعلتها تتمكن مني، بعينيها الرائعتين، لقد أخذت كوب القهوة وغمزت بابتسامة في عينيها، نظرات الأعين هي الأهم، لقد قالت لي هذه فتاة بريطانية اعتدت مواعدتها فيما سبق، أخبرتني أنها تحب عيني الزرقاوين، آخرون أخبروني أنهما عينان باردتان كجبال الثليج، خصوصًا عندما أحدق دون أن يطرف لي جفن، التحديق أمر مختلف عن النظر لفتاة جميلة على أية حال، وغمزة روسكو كانت أفضل شيء حدث في هذا اليوم، يليها البيض المسلوق في مطعم إينو، بإمكانك الحصول على البيض المسلوق في أي مكان، لكن مع فتاة كروسكو الأمر يختلف، ظللت أسترسل في أفكاري وهوبل يجلس جواري حتى وصل رجل يرتدي زيًّا رسميًّا وفتح الباب، كان يحمل بندقية، نظرت إليه، رجل جنوبي للغاية، بَشَرَة مائلة للحمرة، ضخم، ممتلئ، معدة بارزة، وعنق غليظ، عينان ضيقتان، هذا هو سبايفي، مساعد آمر السجن، قال بصوت أجش: من منكما هوبل؟

رفع هوبل يده، كتلميذ مدرسة، تفحصه سبايفي بنظرة ثعبانية ماكرة، ثم قال بنبرة آمرة: قف واستدر يسارًا واتبع الخط الأحمر، ثم لوح بالبندقية.. وقف هوبل، وأنا معه

لأننا لازلنا مقيدين معًا، وسرنا متبعين الخط الأحمر، هوبل في المقدمة وأنا خلفه، والبندقية في ظهرنا وخلفها سبايفي، الإضاءة خافتة، وهناك عتمة في الأرجاء، وصلنا لنهاية الخط الأحمر حيث كان هناك باب عملاق مغلق، تنحينا جانبًا بعدما تقدمنا سبايفي وفتح الباب والبندقية مصوبة نحو هوبل، فتح سبايفي الباب، وقادنا للداخل قائلًا: ممنوع الحديث، القواعد تنص على صمت تام بعد انطفاء الأنوار في العاشرة، زنزانتكما في الركن الأيمن، نهاية الممر.

سرنا سويًّا وسط الزنازين الصامتة في عتمة الليل، أصوات ليلية خافتة وبعيدة تناهت لأذني، ومعها التقطت صوت شخير وتنفس السجناء، دخلنا زنزانة خالية، تلك التي أرشدنا إليها سبايفي، انغلق الباب بشكل آليّ ورحل مساعد آمر السجن، الظلام كان مطبقًا ولم أَرَ شيئًا، تحسست الفراش وقلعت معطفي، لدهشتي وجدت أن الوسادة والمرتبة لهما رائحة نظيفة، أخذ هوبل الفراش السفلي، بينما اعتليت أنا العلوي، بعدما وضعت حذائي على طرف الفراش لأني أردت معرفة مكانه، لتقليل احتمالية سرقته، كان من نوع جيد، ابتعته منذ عدة سنوات في أوكسفورد بإنجلترا، الفراش كان صغيرًا بالنسبة إليَّ، كعادة أغلب الأفرشة التي أنام فوقها، استلقيت على ظهري وسط الظلام، وأغمضت عيني متخيلًا نفسي في جامايكا مع روسكو، وانسللت للنوم مستسلمًا، عندما استيقظت كان اليوم هو السبت، واتضح

أنه سيكون أسوأ بكثير من سابقه.

***

الفصل السادس

لم تكن هناك نوافذ في السجن، والأضواء إلكترونية تعمل بمواعيد مسبقة، وكانت الأضواء هي التي أيقظتني، المكان كله يضاء في تمام السابعة صباحًا، لم يحسن الضوء من حالة الزنزانة التي نحن بها، اعتدلت في الفراش ورأيت صنبور مياه ومرحاضًا، الجدران غليظة للغاية كأنها زنزانة من القرون الوسطى، بالخارج كل شيء كان معدنيًّا ومن الرخام، هناك أصوات وضوضاء في الأرجاء، شعرت كأني في الجحيم، مر أمامنا عامل نظافة مسن، يمسح الأرضية، منحني الظهر بسبب عمره، مرتديًا الزي البرتقالي الخاص بالمساجين، كان يقارب الثمانين من العمر، تخيلته يقضي ستين عامًا في هذا السجن؛ بسبب دجاجة سرقها من شدة الجوع إبان الكساد الاقتصادي، وهو لا يزال يسدد ثمن خطيئته تلك للمجتمع، توقف لبرهة عندما رآني أنا وهوبل وضحك، ظل يضحك كأنه قد رأى حصانًا بقرن واحد يطير أمام عينيه، وردد: بالتأكيد، نعم بالتأكيد.. تركته يضحك ويردد العبارة، ثم سألته مبتسمًا: ما الذي تعنيه يا جدي؟

ظل يضحك، سوف يستغرق الأمر وقتًا قبل أن يجيب، قال في النهاية: بالتأكيد.. وتحولت ضحكاته لقهقهة وهو يردف: أنا موجود في هذا السجن منذ أن كانت الشمس حديثة الولادة، منذ بدء خلق آدم، ولكن هذا شيء لم أره من قبل يا سيدي، أنتما بالتأكيد هاها.. كلا يا سيدي

لم أرَ مثلكما من قبل.

- عما تتحدث بالضبط أيها العجوز؟

- حسنًا، في كل تلك الأعوام لم أرَ أحدًا في الزنزانة يرتدي ثيابًا مثلكما أبدًا.

- أنت لا تحب ملابسي.

قلتها بدهشة مصطنعة..

- لم أقل إني لا أحبها، إنها ملابس جيدة، جودة تلك الملابس ليست المشكلة.

وضحك فسألته: إذن؟

- الأمر هو ارتداؤكما لتلك الملابس، كما قلت لك يا رجل، أنا هنا منذ بدء الخليقة، ولم أرَ أحدًا من قبل يرتدي ملابس كتلك، تبًّا يا رجل أنا هنا منذ قالت الديناصورات «كفانا معيشة»، وفي حياتي كلها لم أرَ شخصًا في زنزانة يرتدي ملابسَ كتلك، الآن أنا رأيت كل شيء..

- ولكن الرجال في طابق الحجز لا يرتدون الزي البرتقالي.

- هذا حقيقي بالتأكيد.

- كما قال الحراس.

قلت له مؤكدًا فأكمل: بالتأكيد سيقول الحراس هذا لأنها القواعد، وهم يتبعونها؛ لأنهم هم من يصنعونها.

- إذن ما هي المشكلة؟

- إنك لا ترتدي الزي البرتقالي.

كنا ندور في دوائر لا متناهية

- لكني غير مضطر لارتداء الزي البرتقالي.

نظر لي بعينين طائر مندهشتين

- لماذا أنت غير مضطر لارتدائها؟

- لأنك اتفقت معي للتو أن الرجال في طابق الحجز لا يرتدون تلك الملابس.

ظل صامتًا وهو ينظر لي بشفقة، ثم غمغم: أنت تعتقد أنك في طابق حجز؟

سألته في اللحظة نفسها: أليس هذا هو طابق حجز؟

صمت العجوز، ورفع ممسحته، ثم ابتعد مسرعًا قدر ما يستطيع وهو يقول: هذا ليس بطابق حجز، طابق الحجز في الدور السادس والأخير، أنت في الطابق الثالث هنا، حيث القتلة والرجال شديدو الخطورة، هذا هو الطابق الأسوأ، نعم بالتأكيد، أنتما في المكان الخاطئ يا رجال، سوف يأتون إليكما، آه يا رجال عَلَيَّ الرحيل من هنا.

الخبرة علمتني دومًا أن أحلل الموقف، وأتوقع كل نتائجه المحتملة، دون إهدار وقت، خصوصًا عندما يحدث شيء غير متوقع، لا تحاول إلقاء اللوم أو تبين من المخطئ لا

تندب، لا تحاول تجنب حدوث الخطأ مرة أخرى، كل هذا بإمكانك فعله في وقت لاحق، ولكن في البدء عليك تقييم الموقف، وتحليله، ووضع خُطَّة، عندما تفعل هذا فبإمكانك النجاة لفعل تلك الأشياء الأخرى لاحقًا، وعليه فنحن لم نكن في طابق حجز بالطابق السادس، لقد تم وضعنا مع أخطر المساجين طُرًّا، لم تكن هناك إيجابيات للموقف، فقط سلبيات قوية، لم نكن لننجو دون حماية الحراس، سيتحدونا، تذكرت هاربًا من الجيش كنت ألاحقه ذات مرة، هو شاب صغير ترك الخدمة لأنه تدين بشدة فجأة، وتم القبض عليه وهو يتظاهر في واشنطن، وزجوا به في السجن قبل أن أصل إليه، في طابق مثل طابقنا هذا، مع مساجين مثل الذين سنقابلهم بعد قليل، قتلوه في ليلته الأولى، بعدما تعدّوا عليه حوالي خمسين مرة، كان فتى يافع السن دون حماية، البديل للحماية هو السمعة والانطباع بأنك صُلب، بإمكاني استرجاع التدريب والخبرة من وظيفتي السابقة لإثبات هذا، وليس من الوظيفة فحسب بل خبرات الطفولة ستساعد كذلك، لقد تنقلت بين ثلاثين مدرسة وأنا صغير، بسبب تنقل أبي، وفي كل مرة كان هناك يوم أول حيث أنا الوافد الجديد في المدرسة وسط المتنمرين دون حماية، وعلمني هذا الاعتناء بنفسي، أنا وأخي في الحقيقة، ثم تم تدريبي بواسطة خبراء على فعل هذا بشكل متقن في الجيش، بشكل متقن ووحشي، لقد تم تدريبي بواسطة رجال نجوا من حرب كوريا وفيتنام والحرب العالمية الثانية، هؤلاء قد

رأوا وفعلوا أشياء لم أقرأ عنها سوى في الكتب فحسب، علموني طرقًا وتفاصيل ومهارات للنجاة والقتل، والأهم، السلوك الذي يترك الانطباع الصحيح بأنك شخص لا يجب العبث معه، الوعي بالذات سيقتلك في موقف كهذا لأنه سيوترك، اللطفاء سيموتون أولًا في عالم كهذا..

في السابعة والنصف انفتحت الأبواب الإلكترونية، ظل هوبل مكانه دون حراك أو كلام، وأنا لم أمتلك أي خطة، أفضل سيناريو هو إيجاد حارس لنشرح له موقفنا ثم ينقلنا من هذا الطابق، لكني لم أجد أي حارس، وهذا طبيعي في طابق كهذا، وعندما سيمرون لن يكون حارسًا بمفرده بل اثنان أو ثلاثة، سيأتون في مجموعات، وبسبب التسريح وخفض الميزانية سيمرون مرة واحدة أو اثنتين لقلة عددهم، وماذا سأقول لهم بالضبط؟ «أنا لا أنتمي للمكان»؟ لا بد أنهم سمعوا تلك الجملة آلاف المرات من قبل، وعندما يسألوني من وضعك هنا ويعلمون أنه سبايفي الأعلى رتبة، سيدركون أني أنتمي حقًّا للطابق، الخطة الوحيدة الممكنة الآن هي «اللا خُطَّة» سيتوجب عَلَيَّ الانتظار، وترقب ما الذي سيحدث، والنجاة حتى يأتي يوم الاثنين.

سمعت أصوات السجناء وهو يخرجون، ومحادثات بصوت عالٍ، وهم يبدؤون يومًا آخرَ عديم الجدوى، ولم يمر وقت كثير حتى رأيت جيراننا في الزنزانة المجاورة يخرجون منها، مرتدين الزي البرتقالي، ورباط رأس أحمر،

كلهم كانوا ضخام الجسد، سود اللون، الملابس ممزقة على سواعدهم في إيحاء أنها لم تستطع احتواء عضلاتهم، مرآهم كان مبهراً للغاية، الأقرب منهم ارتدى نظارة شمس سوداء، رغم أني أعتقد أن آخر مرة رأى فيها الشمس حقًّا كانت منذ عشرين عامًا، وربما لن يراها مرة أخرى في حياته، لكن النظارة بدت في حالة جيدة مثل عضلاته، ظللت منتظراً مكاني، رآنا الرجل ذو النظارة، واعتلت وجهه دهشة سرعان تحولت لحماسة، ثم نبه الرجل الأكثر ضخامة عن طريق نكز ذراعه، التفت الأخير ونظر إلينا دون تعبير في البداية قبل أن يبتسم ببطء، ظللت مكاني منتظراً، تجمع معهم عدد آخر من الرجال، ونظروا إلينا، واقترب كبيرهم ليدخل زنزانتنا، ورجاله يتبعونه، وهو يقول بصوت جهوري: انظروا ما الذي أرسلوه إلينا يا رجال؟ أتعرفون ما الذي أرسلوه إلينا؟

- ماذا يا زعيم؟

- وجبة طازجة وجديدة.

- وجبة طازجة وجديدة تكفي الجميع.

وابتسموا جميعًا، ظللت مكاني منتظراً، اقترب منا زعيمهم، كان عملاقًا، طوله يكاد يصل لطولي، لكنه أكثر ضخامة، مرت عيناه من عَلَيَّ قبل أن تتوقف عند هوبل، وقال: أنت أيها الفتى الأبيض، تعال هنا.

شعرت بذعر هوبل، الذي ظل مكانه مرتعشًا، فكرر

الزعيم: تعال هنا أيها الفتى الأبيض.

وقف هوبل ببطء، وسار نصف خطوة، حدق إليه الزعيم بنظرة غاضبة ملتهبة من المفترض أن تنشر الرعب في جسد متلقيها، وقال: تلك منطقتنا يا فتى، منطقة العصابة الحمراء.

مشيرًا لرباط الرأس، وأكمل: ما الذي تفعله في منطقة العصابة الحمراء؟

ابتلع هوبل ريقه والتزم الصمت، فأكمل الزعيم: الضريبة، عليك دفع الضريبة، كأنك تقيم في نزل أو فندق فاخر بفلوريدا، هناك ضرائب وهنا أيضًا.

ارتعدت أوصال هوبل

- أعطني قميصك يا فتى.

امتثل هوبل للأمر، فأخذ الزعيم القميص ورماه خلفه دون اهتمام، «والآن أعطني نظارتك».

نظر إليَّ هوبل بيأس وترجّ، وأعطى النظارة للرجل، الذي رماها أرضًا وهشمها بقدمه، ولسبب ما بدأ الآخرون يطؤون بأقدامهم عليها أيضًا.

- فتى مطيع، أنت دفعت الضريبة، والآن تعال هنا.

هوبل كان يرتعش الآن

- اقترب أكثر.

اقترب هوبل بالفعل وهو يرتعش حتى أصبح قبالة الرجل الذي قال له: اجثُ على ركبتيك.

نظر له هوبل برعب وتراجع للخلف مذعورًا، واحتضن الصنبور محاولًا الاختباء خلفه..

لقد حان وقت التدخل، ليس من أجل هوبل، أنا لم أهتم به، لكني أعلم أن سلوكه سينعكس عَلَيَّ، استسلام هوبل سيعني استسلامي أنا أيضًا..

- ارجع هنا أيها الفتى الأبيض، ماخطبك؟

أخذت نفسًا عميقًا وطويلًا، ووقفت أمام الزعيم وقلت: أنت في منزلي أيها البدين، ولكني سأعطيك خيارًا.

- أي خيار هذا؟

قالها الزعيم بدهشة ممزوجة بتحديق فأجبته: خيار للخروج من هنا، فرصة للخروج لو أردت الدقة.

- ما الذي تقوله؟

- ستخرج من هنا في كلتا الحالتين، ولكنك تمتلك الخيار، عن كيفية الخروج، بإمكانك السير على قدميك ومعك رفاقك، أو.. بإمكانهم أن يحملوك على نقالة.

- حقًّا؟

- بالتأكيد، والآن سأعد لثلاثة، اختار بسرعة..

نظروا كلهم إليَّ..

- واحد.

لا رد

- اثنان.

لا تعليق

وهنا غششت، بدلًا من العد لثلاث، ضربته برأسي في مقدمة وجهه، أعقبت الضربة بلكمة سريعة وقوية في أنفه، الضرب بجبهة الرأس فعال للغاية، عظام الجمجمة سميكة للغاية وتؤدي الغرض، والرأس البشري ثقيل، كحاجز رخامي، وكل عظام الرقبة والظهر تحافظ على توازنها، كما أن الضرب بجبهة الرأس دومًا يحتوي على عامل دهشة غير متوقع، الناس يتوقعون اللكم أو الركلات، لكن الضرب بجبهة الرأس دومًا شيء غير متوقع، لا بد أنها قد رجت رأسه بالكامل، ترنح الزعيم وتراجع للخلف ثم سقط أرضًا وارتطم رأسه بالأرض، نظرت للرجال الذين كانوا يقيمون حالتي الاجتماعية الآن، قلت ببطء: من التالي؟ سيكون الآن مثل رهانات لا فيغاس، الضعف أو لا شيء، زعيمكم سيقضي ستة أيام في المستشفى مرتديًا وجهًا بلاستيكيًّا للحفاظ على فكه المهشم، والتالي سيحصل على ضعف المدة والإصابة.

لم يكن هناك رد، أشرت للرجل ذي النظارة وقلت: أعطني القميص أيها البدين.

انحنى وأعطاني قميص هوبل، أخذت القميص وأعطيته

للفتى، فقلت: والآن النظارة

انحنى والتقطها وأعطاني إياها.

- إنها مهشمة، أعطني نظارتك.

نظر إليَّ بعد صمت طويل، حدقت به دون أن يطرف لي جفن، أعطاني نظارته فوضعتها في جيبي.

- والآن أخرجوا هذا الحيوان من هنا.

انحنى مجموعة من الرجال وحملوا الزعيم وجروه خارج الزنزانة، عدت وجلست على الفراش، كنت أحاول أن أداري الرجفة في جسدي بسبب تدفق الأدرينالين، معدتي تتقلص وحلقي قد جف، كنت في حالة مزرية، لكني كنت سأكون في حالة أسوأ لو لم أفعل ما فعلته للتو، كانوا سينتهي من دور هوبل ويحين دوري بعدها..

***

جلس هوبل على على الفراش، يتأرجح بجسده للأمام والخلف في حيرة وتفكير، لم يتحدث بعد، لكنه موشك، بعد برهة قمت أنا وتوجهت للصنبور وغسلت وجهي، القوم بالخارج كانوا يأتون ويسترقون النظر للزنزانة لأن النميمة قد بدأت عما حدث، السجين الجديد أرسل زعيم العصابة الحمراء للمستشفى، يا رفاق اذهبوا وانظروا إليه، لقد أصبحت نجمًا شهيرًا في السجن، توقف هوبل عن الحركة ونظر إليَّ، فتح فمه كأنه سيقول شيئًا ثم أغلقه، قبل

أن يستجمع قواه ويقول: أنا لن أستطيع تحمل ما يحدث، تلك كانت كلماته الأولى بالنسبة إليَّ منذ أن سمعته يتحدث عبر الهاتف، صوته منخفض، وطريقته في الكلام نهائية وقاطعة، هو لن يستطيع تحمل هذا، كان يقولها كأنه توصل لقرار دون شكوى أو رثاء للنفس، يقر بالحقيقة فحسب، نظرت إليه وأنا أفكر فيما قال ثم سألته: إذن لماذا أنت هنا؟ لماذا فعلت ذلك؟

- أنا لم أفعل شيئًا.

- أنت اعترفت بجريمة لم ترتكبها، أنت طلبت أن يحدث لك كل هذا.

- كلا، أنا ارتكبت ما اعترفت به، وقد أخبرت المحقق بهذا.

- هذا هُراء يا هوبل، أنت لم تكن حتى هناك وقت الجريمة، لقد كنت في الحفل والذي أوصلك للمنزل شرطي بالله عليك، أنت لم تقتل أحدًا، أنت تعرف، والكل يعرف أيضًا، لا تقل لي هذا الهُراء.

نظر هوبل للأرض مفكرًا، ثم غمغم: لن أستطيع التحدث عن الأمر، أنا بحاجة لمعرفة ما الذي سيحدث الآن.

تفحصته بعيني ثم قلت: ما الذي سيحدث هو أنك ستظل هنا حتى يوم الاثنين وبعدها ستعود لمارجرايف، وتخميني أنهم سيطلقون سراحك بعدها.

- سيطلقون سراحي؟ حقًّا؟

قالها كأنه يتجادل مع نفسه، تنهدت وأدرت رأسي متابعًا: أنت لم تكن في المخزن وقت وقوع الحدث الرئيسي، القتل، أنا أعرف هذا، وهم يعرفونه، نعم سيطلقون سراحك لكنهم سيبغون معرفة سبب اعترافك الكاذب في البداية، وسيريدون معرفة لماذا كان القتيل يحمل رقم هاتفك في حذائه.

- وماذا لو لم أستطع إخبارهم؟

- لم تستطع أم لم تُرد؟

نظر إليَّ بخوف، وهمس: أنا لن أستطيع البقاء هنا حتى الاثنين لن أتحمل..

كنت أعلم أن هوبل محاسب، رجل مصرفي، اعتاد إعطاء رقمه الخاص بالعمل للناس، يتحدث معهم عن الأرباح والميزانية والضرائب، ولكن الرقم مع الجثة كان داخل الحذاء في ورقة مخبأة، سألته: لماذا لا تستطيع إخبار أحد؟

- لأني لن أستطيع..

ولم يقل شيئًا أكثر من هذا، شعرت بالإرهاق فجأة، وتراجعت برأسي للوراء في إعياء، منذ أربع وعشرين ساعة ترجلت من الحافلة للطريق المؤدي لبلدة مارجرايف، أسير وحيدًا متجنبًا البشر، دون حقيبة ولا شيء سوى الحرية،

لم أرد لهوبل أن يقاطع مسيرة حياتي، ولا فينلاي، ولا حتى الرجل الذي تم قتله، أنا لم أرد أيًّا من هذا، كل ما أردته هو الهدوء والبحث عن عازف الجيتار الشهير في البلدة، بلايك الأعمى، أردت إيجاد شخص عجوز ليخبرني عن حياة الموسيقار المُتوفى، ربما يجب عَلَيَّ الحديث مع المسن الذي كان يمسح الطابق، ربما سمع هو عن بلايك الأعمى، سيكون هذا الحديث أكثر إفادة من الجلوس مع هوبل اللعين..

كنت أجلس مستغرقًا في التفكير، وقد رأيت ما الذي كان يعنيه فينلاي عندما وصف هوبل وهو يصارع حيرته، أنا لم أرَ أحدًا من قبل يفكر بشكل خارجي مثله، هو يقطب جبينه ليفكر فترى كل ما يدور بخلده، فَمُه يرتعش، وأصابعه تتحرك، كأنه يقيم الاحتمالات ويحسب المميزات والعيوب، راقبته بعناية، في النهاية عزم أمره والتفت إليَّ قائلًا: أنا بحاجة لنصيحة، لَدَيَّ مشكلة.

ضحكت ورددت: يا لها من مفاجأة، لم أكن لأستطيع تخمين هذا أبدًا، كنت أعتقد أنك تعاني الملل من لعب في الجولف في نهاية كل أسبوع.

تجاهلني وكرر: أنا بحاجة للمساعدة..

- أنت حظيت بقدر المساعدة الكافي لليوم، كانوا سيمزقونك إِرْبًا بدوني، وأنت لم تظهر بادرة امتنان واحدة لما فعلته لك.

نظر لي وهز رأسه مؤيدًا لكلامي، ثم غمغم: أنا آسف، أنا ممتن لك للغاية، وبشدة، أنت أنقذت حياتي، واعتنيت بهم.. لذا يجب عليك أن تخبرني بما يجب عَلَيَّ فعله لأني قيد التهديد..

تركت اعترافه يطوف في الهواء لبرهة ثم قلت: هذا أمر واضح.

- ليس أنا فقط، هم يهددون عائلتي كذلك.

كان يورطني أكثر في الأمور، نظرت إليه وبدأت علامات التفكير الخارجي في الظهور على ملامحه مرة أخرى، الفم المرتعش، والأصابع المتحركة، والجبين المقطب، والأعين المتحركة يمينًا ويسارًا.. كأن هناك عددًا من الأسباب في حقيبة تجبره على الكلام، وهناك حقيبة أخرى بها أسباب تعيقه عن الاعتراف وهو يزن أيهما أكبر حجمًا..

- هل لديك عائلة يا ريتشر؟

- كلا.

لم أجد إجابة أفضل من هذه، والدي ووالدتي متوفيان، وأخي في مكان ما بالعالم لا أعرفه، ولذا أنا لا أمتلك عائلة ولا أعرف هل أريد واحدة أم لا..

- أنا متزوج منذ عشرة أعوام، ذكرى زواجي كانت في الشهر السابق، وقد أقمنا حفلة كبيرة للاحتفال، لَدَيَّ

طفلان، صبي في التاسعة، وفتاة في السابعة، لَدَيَّ زوجة رائعة يحلم بها أي أحد، وأحب أطفالي حُبًّا جمًّا..

كان صادقًا فيما يقول، وقد رأيت هذا في عينيه.. سكت وهو يغوص في أفكاره متذكرًا عائلته وحبه لهم، مفتقدهم، لم يكن أول رجل في زنزانة يفكر في عائلته ولن يكون الأخير.. أردف هوبل: لدينا بيت جميل، في شارع بيكمان، ابتعته منذ خمس سنوات، كان باهظ الثمن لكنه يستحق كل بنس، أنت تعرف شارع بيكمان؟

- كلا.

كان يهاب من أن يصل لمغزى كلامه، هذا الرجل يماطل نفسه، بعد قليل سيخبرني عن حوض الاستحمام، وورق المناديل في حمامه، تركته يكمل حديثه، تلك محاثة زنزانة على أية حال..

- والآن كل شيء ينهار.

تراجع في جلسته للخلف وهو يرتدي قميصه الصيفي، وأمسك بسترته ولفها حول كتفيه، كان يبدو أكبر سنًّا بدون نظارته، كعادة مرتدي النظارات هم يبدون واهنين بدونها، بدا لي كرجل عجوز مرهق رغم صغر سنه، ما الذي كان يعنيه بتهديد؟ نوع من الفضيحة أو الإحراج؟ أم شيء سيسلبه حياته المثالية في شارع بيكمان؟ ربما زوجته كانت متورطة في شيء ما وهو يحميها، ربما كانت تخونه مع القتيل، هناك آلاف الاحتمالات، ربما كان

مهددًا بالإفلاس، أو إلغاء عضويته في النادي، ظللت أدور في احتمالات عبثية، أنا لا أحيا في عالم رجل مثل هوبل، تفاصيل تلك الحياة بعيدة عني، كل ما أعرفه أنه يرتجف في رعب، لكي لا أعرف ما هو نوع التهديد الذي سيتسبب في جعل رجل مثله يصل لتلك الحالة، انطباعي الأول عند رؤيته في المخفر بالبارحة كان أنه عصبي ومتوتر ومنزعج، والآن هو مشلول بالفزع، وأحيانًا ينغلق على نفسه ويصبح لا مباليًا ومنغلقًا كأنه في حالة صدمة، تنهدت واستندت على القضبان الحديدية منتظرًا إياه أن يكمل حديثه..

- إنهم يهددوني أنا وعائلتي، لو أخبرت أحدًا بما يحدث، سيقتحمون بيتي، وسيجمعونني أنا وزوجتي وأطفالي سويًّا في غرفة النوم، ولسوف يعلقوني على الحائط، ويتمادون في آذيتي بكل وسيلة ممكنة، وسيجعلون زوجتي تشهد كل ذلك، وبعدها سيقطعوننا إربًا، لقد قالوا إنهم سيجعلون أطفالي يشاهدون كل هذا أيضًا قبل أن يفعلوا الشيء نفسه بهم.

***

الفصل السابع

- ما الذي يجب عليَّ فعله؟ ما الذي كنت لتفعله لو كنت مكاني؟

كان يحدق بي منتظراً إجابة، ما الذي كنت سأفعله لو هددني أحد بتلك الطريقة؟ كنت سأطاردهم واحداً تِلْوَ الآخر وأقتلهم جميعًا، سأمزقهم إِرْبًا، لكن هوبل لن يستطع فعل هذا لأنه يمتلك عائلة، لديه ما يخسره.. ثلاثة أسباب للتعقل..

- ما الذي يجب عَلَيَّ فعله؟

سألني مرة أخرى، شعرت بضغط الموقف، وآلمني رأسي، وضعت إصبعي على جبيني، على أن أجيبه، وفي الآن ذاته هناك كدمة في جبهتي إثر استخدامها في ضرب زعيم العصابة الحمراء، أخذت نفسًا عميقًا ثم أجبته، بالإجابة الوحيدة المحتملة التي في الأغلب لا يريد هوبل سماعها: لا يوجد شيء لتفعله، عليك الالتزام بالصمت، واستمع إليهم، ولا تخبر أحدًا أبدًا عما يدور...

نظر مطأطئ الرأس لقدميه في إحباط، في خيبة أمل وهمس: لا بد من التحدث مع أحد، لا بد من الخروج من هذا الموقف..

هززت رأسي نفيًا

- أنت لن تستطع فعل هذا، من أجل إبقاء عائلتك حية

عليك تنفيذ أوامرهم..

ارتعدت أوصاله قبل أن يقول: هناك شيء رهيب يجري هنا، عليك محاولة إيقافهم.

هززت رأسي نفيًا للمرة الثانية، لو أن هناك شيئًا خطيرًا ورهيبًا يجري هنا في بلدة مارجرايف، ومن يديرون الأمر يستخدمون تلك النوعية من التهديدات فهو لن يستطيع إيقافهم، ابتسمت له بلطف، محاولًا أن أكون متعاطفًا وهززت رأسي نفيًا للمرة الثالثة، تنهد وهز رأسه كأنه فهم أخيرًا أبعاد الموقف، وعاد ليحدق بالحائط، بعينين مفتوحتين، وظل صامتًا..

لكني ما زلت لا أفهم سبب اعترافه بقتل الرجل، لماذا لم يلتزم الصمت؟ لماذا لم ينكر كل شيء؟ كان عليه القول بأنه لا يمتلك أدنى فكرة لسبب تواجد رقمه مع القتيل، وأنه لا يعرف معنى «بلوريباس».. كان عليه إنكار كل شيء، والعودة لمنزله بعد ذلك..

- لماذا اعترفتَ بجريمة لم ترتكبها؟

- لن أستطيع إجابتك، سأخبرك بأشياء يجب عدم التحدث عنها..

- أنا أعلم بالفعل أمورًا يجب عدم التحدث عنها، لقد أصابك الهلع عندما سألك فينلاي عن القتيل ومعنى كلمة «بلوريباس»؛ وهذا يعني أن هناك رابطًا بين الاثنين..

- هل فينلاي هو المحقق الأسود؟

- نعم، هو رئيس المحققين.

- هو جديد في البلدة، لم أره من قبل، لقد كان دومًا جراي هو المحقق هنا، لأعوام طويلة، منذ أن كنت طفلًا كانت مارجرايف دومًا بها محقق واحد فحسب، لا أعلم لماذا يقولون «رئيس محققين» طالما أنه لا يوجد سوى محقق واحد فحسب، هناك ثمانية أفراد يعملون في مخفر الشرطة، ماريسون وهو رئيس الشرطة هنا، سمه مأمورًا أو الرئيس أو أي شيء، وهناك أربعة رجال وامرأة والمحقق، أعني المحقق جراي، والآن هناك فينلاي مكانه، أول محقق أسود في البلدة، هل تعلم أن جراي قتل نفسه؟ شنق نفسه في مرآبه، في فبراير على ما أعتقد..

تركته يسترسل في الحديث، إنها محادثة زنزانة لدفع الوقت، وهوبل كان يجيد تلك النوعية من المحادثات، لكني ما زلت أريده أن يجيب عن سؤالي، تزايد الألم في جبهتي، وأردت مسحها بماء بارد، أردت أن آكل وأن أشرب قهوة، ظللت منتظرًا دون الإصغاء حقًّا لثرثرة هوبل عن تاريخ مارجرايف، ثم قطع حديثه بغتة وسألني: عن ماذا كنت تسألني؟

- لماذا أعترف بقتل الرجل؟

تلفت حوله في حذر، ثم مال ناحيتي وهمس: هناك صلة بين كل شيء، لقد ذكر المحقق القتيل وكلمة «بلوريباس»

وهذا جعلني أهلع؛ لأني لم أصدق أنه يعرف الصلة بينهما، ثم أدركت أنه لا يعرف لكن هلعي سيجعله يشك في وجود صلة، وقد شعرت أني أفشيت السر بتلك الطريقة، وكان عَلَيَّ إصلاح الأمر بسبب تهديدهم، أنا كنت مذعورًا لكن المحقق أخبرني أن الرجل قد مات برصاصتين في الرأس، وأنا أعلم أنهم لو قتلوه فربما يقتلونني أيضًا، آسف لأني لا أستطيع إخبارك بالسبب، لكن هناك صلة كما قلت لك وكما خمنت أنت، وبما أنهم قتلوا هذا الرجل، فهذا يعني أنهم سيقتلونني، أليس كذلك؟ أنا لم أكن واثقًا من هُوِيَّة القاتل إلا عندما أخبرني المحقق عن العنف الذي وقع بالجثة، هل أخبرك بهذا الشأن؟

- نعم، تبدو كأمر غير سار على الإطلاق.

- بالضبط، وتلك الطريقة العنيفة جعلتني متأكدًا من هُوِيَّة القاتل، وهذا أخافني بشدة، وفكرت: هل هم يبحثون عني الآن؟ ظللت أفكر لمدة بدت لي كالأبدية، كنت مرتعبًا، وفي النهاية عرفت ما الذي يجب عَلَيَّ فعله..

صمت بعدها وهو يفكر أيكمل كلامه أم لا، يفكر مرة أخرى مع نفسه إن كان ما يفعله الآن قرارًا صائبًا، أردف: أصبحت أواجه ثلاث معضلات، لو كانوا يبحثون عني فعلي التواجد في مكان آمن وفي تلك الحالة مع الشرطة، وفي الوقت نفسه عَلَيَّ التزام الصمت لإبقاء عائلتي حية، والأمر الثالث هو مقتل الرجل؛ لذا اعترفت..

لم أفهم منطقه، نظرت إليه دون تعبير فقال: حل المشكلة الأولى هو تواجدي داخل السجن بعد أن اعترفت، هم بالخارج وأنا هنا لذا أنا في مأمن منهم، لو لم يكونوا يبغون قتلي سيعتقدون أن اعتقالي تم بالخطأ، وسيرون أني التزمت الصمت، ولم أشِ بهم وهذا سيضمن أمان عائلتي، وهذا هو حل المشكلة الثانية، كأني أقدم لهم إثبات أنهم قادرون على الاعتماد عَلَيَّ، وباعترافي بقتل الرجل فهذا يضعني في خانتهم، وهذا يبث ولائي لهم، ربما يمتنون لي لأني شتت الشرطة عنهم، وهذا هو حل المشكلة الثالثة.

نظرت إليه كأنه مخبول، لا عجب أنه بدا كالمعتوه وهو مع فينلاي في المكتب بسبب ما يدور بعقله، لقد كان يهدف لإصابة ثلاثة عصافير بحجر واحد، الجزء الخاص بإثبات أنه يمكن الاعتماد عليه عن طريق التزامه الصمت كان منطقيًّا، أيًّا كان من كانوا هم، سيلاحظون هذا، التزام الصمت وعدم الوشاية داخل السجن أمر يستحق إشارة الشرف بين المجرمين، كان هذا تفكيرًا جَيِّدًا يا هوبل، لكن باقي الأمور خرقاء، هم لن يستطيعوا قتله داخل السجن؟ تلك فكرة واهية للغاية، لا يوجد مكان مناسب للقتل في العالم مثل السجن، أنت تعلم مكان الضحية، وهناك عدد وافر من القتلة على استعداد لإتمام المهمة لك بأقل سعر، بسعر أرخص بكثير من القتل بالأجر خارج السجن، ودون مخاطرة؛ لأن أحدًا لن

يلاحظ، جرائم القتل أمر معتاد داخل السجن، ربما سيكلفك الأمر كرتونة من علب السجائر فحسب، كان تفكيرًا أخرقَ من هوبل أن يعتقد بأمان السجن..

- وما الذي ستفعله يوم السبت يا هوبل؟ ستعود لمنزلك ونتظاهر بأن الحياة آمنة ورائعة؟

بدأ يفكر بشكل محموم وجنوني مرة أخرى، وقد أصبح واضحًا أنه لم يخطط لأجل بعيد، قال بوهن: أنا سآمل من أجل الأفضل، ربما يعتقدون أني مفيد لهم ويهدؤون ويحيدون عن فكرة قتلي، الآن الأعصاب كلها مشدودة لكن ربما يهدؤون بعد هذا، ربما أنجو، وحتى لو قتلوني.. ليقتلوني، أنا لم أعد أهتم، المهم أن تكون عائلتي بأمان..

لم يكن هوبل رجلًا سيئًا، ولم يطمح لأن يكون مجرمًا، هز كتفيه بحزن ونفخ وأنا أتأمله، لو كان محظوظًا فهم لن يكسروا كل عظمه في جسده بعدما يقتلوه، سألته: ما مقدار ما تعرفه زوجتك؟

أجابني برعب وسرعة: لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.

- عليك إعطاؤها تفسيرًا ما، ثق بي ستلاحظ غيابك عن المنزل، لن تجدك في المسبح بنهاية الأسبوع كعادتك.

كنت أحاول المزاح معه لتلطيف الجو، لكن هذا لم يأتِ بأي نتيجة، بدا أنه يتذكر شكل بَاحَتِه الخلفية والمسبح في حزن، يتذكر زوجته وهي تتذمر من شيء ما وأطفاله يلعبون، ربما لديهم كلب صغير ينبح بشكل لطيف،

ومرآب به ثلاث سيارات لسبب ما، وعلم الولايات المتحدة أمام بيتهم، يوم سبت آخر في حياة أسرة مثالية، ولكن ليس هذا السبت، ليس بالنسبة لبول هوبل.

- ربما ستعتقد زوجتي أن كل ما حدث هو سوء تفاهم، ربما أخبروها بشأن اعترافي، سأتعامل مع تلك المسألة يوم السبت، نحن نعرف رجل شرطة، أخي تزوج أخته، اسمه دوايت ستيفينسون، ربما سيخبر زوجتي، ربما لن يخبرها، لو أخبرها سأبرر لها الأمر على أنه خطأ كبير ليس أكثر، الكل يعرف أن الأخطاء الكبرى أمر شائع.

كان يفكر بصوت عالٍ، قلت له: هوبل.

توقف عن الكلام ونظر صوبي، تابعت: ما الذي فعله الرجل الطويل ليتم قتله؟

وقف ودار حول نفسه، استند بقدمه على المرحاض، قام باستدارة أخرى ثم جلس وهو ينظر إليَّ ممتنعًا عن الإجابة، لم يكن ليجيب هذا السؤال المحوري..

- حسنًا يا هوبل، وماذا عنك أنت؟ ما الذي فعلته لتعتقد أنهم ربما يطلقون عليك الرصاص في منتصف رأسك؟

لم يرد، الصمت أصبح له واقع سيئ وسخيف في تلك الزنزانة، سألته: هل سمعت عن بلايك الأعمى من قبل؟

- ها؟ من؟

- لا تشغل بالك، لا عليك، سأذهب لأجد حمامًا، أنا بحاجة لوضع رباط مبلل حول رأسي، هو يؤلمني.

- هذا أمر متوقع بعد استخدامك لها في ضرب الرجل، سآتي معك.

كان يرفض بشدة فكرة البقاء وحيدًا، وسأصبح أنا الراعي الخاص به للعطلة الأسبوعية.. سرنا سويًّا بعدما خرجنا من الزنزانة، وذهبنا لنهاية الممر، حيث استقر الباب الضخم الذي فتحه سبايفي بالبارحة، وهناك ساعة حائط تستقر جواره، الحقيقة أن وجود ساعة حائط مثلها في السجن هو أمر غريب، لماذا نحسب الدقائق والساعات عندما يفكر القوم في الأعوام والعقود؟

انعطفنا يمينًا حيث هناك مدخل لساحة السجن يكتظ بالرجال، عبرت خلالهم وهوبل يتبعني، ووصلنا لغرفة مربعة واسعة، ومنها لممر آخر، ضيق، في نهايته غرف حمام صغيرة متراصة بشكل مستقيم، لم يكن هذا الأمر ليمثل مشكلة لو قضيت كل حياتك داخل منشأة عسكرية مثلي، لكن هوبل لم يكن متبهجًا من المشهد، هو لم يعتد التبول أمام الغرباء على ما يبدو، كل شيء كان مكونًا من المعدن بدلًا من الرخام والبورسلين، للأمان، وللسبب نفسه كانت المرايا مصممة داخل الجدار، تستطيع رؤية نفسك بها لكنك لم تتمكن من تهشيمها واستخدام الزجاج كسلاح، التقطت منشفة وبللتها ثم ربطتها حول رأسي، بينما وقف هوبل جواري وهو لا يفعل شيئًا، تركت

الماء البارد يمر على رأسي، لم يكن هناك إصابة حقيقية في رأسي، لا يوجد لحم لإصابته وعظام الجمجمة قوية بحق، من الصعب تهشيمها، لهذا كنت أتجنب الضرب بيدي، من السهل أن تنكسر عظام ساعدك أو أصابعك، لو لم أضرب زعيم العصابة الحمراء برأسي أولًا لكانت انكسرت يدي وكنت ذهبت معه للمستشفى..

بللت وجهي بأصابعي وتفقدته في المرآة لأرى الإصابة على جبيني، ليست خطيرة كما توقعت، بللت شعري ومسحته بيدي، وانحنيت على الصنبور، شاعرًا بنظارة زعيم العصابة الحمراء في جيبي، غنائم المعركة، التقطتها بيدي وارتديتها ناظرًا لنفسي في المرآة مرة أخرى، ولمحت تجمعًا من المساجين في الخلفية، وتحذير خافت وسريع من هوبل، استدرت للخلف، لأواجه خمسة رجال، ذوي بشرة بيضاء، في زيهم البرتقالي، وطبعًا أذرع مفتولة وقماش ممزق عند سواعدهم، جميعهم يرتدون سترات جلدية فوق الزي البرتقالي، ويمتلكون لحى ضخمة، الخمسة كانوا ضخام البنية، وهناك عدد لا نهائي من الأوشمة عليهم، دخلوا وسدوا المدخل، وبدأ باقي المساجين في التسلل للخارج مع دخول تلك العصابة الجديدة بالنسبة لي، حتى الرجل العاري المغطي بالصابون الذي كان يستحم خرج مسرعًا مع دخولهم، كانت هناك وشوم عدة على أعناقهم ووجوههم، وفجأة أصبح المكان كله خاليًا عداي أنا وهوبل وهؤلاء الخمسة، افتراضي كان أنهم أتوا لتجنيدي معهم بعدما

تغلبت على زعيم العصابة الحمراء، لكني كنت مخطئًا، نقل الرجل في المقدمة عينيه بيني وهوبل قبل أن يستقر نظره عَلَيَّ ويقول: هذا هو..

حدث شيئان بعد هذا، اندفع اثنان منهم وحملوا هوبل صوب الباب، بينما قام الرجل في المقدمة، القائد، بتوجيه لكمة عاتية صوب وجهي، انحنيت يسارًا لكنه ضربني في كتفي وتراجعت للخلف بقوة إثر الضربة، ليحيط أحدهم عنقي بذراعه، ويضغط بيديه بقوة خانقة، واقترب مني قائد وهو يوجه لكمة أخرى صوب وجهي، لو أصابتني تلك اللكمة فلسوف ينتهي أمري، كنت أعرف هذا جيدًا، ولذا انحنيت للخلف بكل قوتي مستندًا على الرجل ورفعت ساقي لأركل القائد في وجهه، ثم أسفل بطنه، بينما ضربت الآخر بمؤخرة رأسي في وجهه، قبل أن أمد يدي بسرعة خاطفة لأقبض على أصابعه الماثلة فوق عنقي وأحنيها للخلف مهشمًا إياهم، صرخ الرجل وتركني لأضربه بكوعي في وجهه، سقط أرضًا بعدها، بينما القائد كان يتلوى أرضًا بدوره، انقض الرجل الثالث عَلَيَّ، كان ثقيلًا وصُلبًا وممتلئًا بالعضلات دون مكان معين يصلح كنقطة ضعف، كأنه جبل يتساقط فوقي، لا مكان لضربه، لا نقطة ضعف، سوى عينيه، غرزت أصابعي بهما، وضغطت بقوة، وأدخلت إبهامي داخل عينه، وهو يصرخ، وقد بدأت عينه في الانقلاع من تجويفها، صرخ بشدة وهو يلوي ساعدي ويكاد يكسره، لكني صمدت

وواصلت الضغط، وبدأ القائد في الاعتدال فركلته في وجهه، لكن ركلتي أصابت عنقه وحطمت حنجرته، وسقط أرضًا مجددًا، انغرزت إصبعي بالكامل وسقط الثالث أرضًا بدوره، وهو يصرخ، بينما القائد يتدحرج أرضًا ممسكًا بعنقه ويسعل متحشرجًا وهو في حالة اختناق، وقفت ونظرت للاثنين الممسكين بهوبل والدوار يكتنفني، سأخسر الآن، أطلقا سراح هوبل وانقضا عَلَيَّ ليدفعاني للخلف، لكمت أولهما في أنفه لأكسره قبل أن أنزلق وأحيط بعنق الثالث وأنا أجاهد من أجل نفسي، ثم لكمته عدة مرات ليسقط أرضًا، هنا دخل المكان ثلاثة رجال سود من أفراد العصابة الحمراء، نظرت إليهم وأنا ألهث، طاقتي كلها قد استنزفت، بالتأكيد سأخسر الآن، وسمعت سرينة الحرس تدوي في الأرجاء، قال أولهم: ارحل من هنا يا رجل، سنقول إننا نحن من فعلنا هذا بهم، العصابة الحمراء التي تغلبت عليهم.. ارحل.

رحلت مسرعًا ورأيت هوبل يقفز وسط الحراس بعدما أحضرهم، ولمحت سبايفي قادمًا، كنت أفهم جَيِّدًا ما فعله رجال العصابة الحمراء، هم لم يريدوا حمايتي، بل أرادوا نسب النصر لأنفسهم في تنافس العصابات، الحراس كانوا يحملون بنادقَ، بينما الكل يتسارع للزنازين، ذهبت لزنزانتي وتبعني هوبل، كنت أشعر بالدوار، ورميت الماء على وجهي من الصنبور، النظارة قد سقطت، هنا سمعت سبايفي يصرخ ويهيب بنا أن نخرج من الزنزانة، ثم اندفع

للداخل وجذبني من ياقة معطفي، وأمسك بهوبل من ذراعه، وصرخ بنا مرة أخرى أن نجري صوب مخرج الطوارئ، امتثلنا لأوامره، وجرينا السلم لأعلى، وأنا أجاهد من أجل أنفاسي والدوار يتزايد، وصلنا لطابق آخر ودفعونا لزنزانة خالية، وفور دخولي ارتميت على الفراش وأغمضت عيني..

عندما استعدت وعيي وفتحت عيني وجدت هوبل يجلس أمامي وينظر إليَّ، كنا في زنزانة أكبر حجمًا بفراشين متجاورين ومنفصلين، هذا هو الطابق السادس، طابق الحجز، حيث كان من المفترض أن نتواجد منذ البداية، سألني هوبل برفق: ما الذي حدث لك؟

تنهدت ولم أُجب، عندما مرر أحدهم وجبتي طعام لنا من خلال الزنزانة، لم يكن حارسًا، بل كان رجلًا عجوزًا آخرَ، كان يمرر الوجبات عبر القضبان الأخرى، أكلنا في صمت وتناولت القهوة كلها، ثم ذهبت وتأكدت من حالة القضبان، وأن الباب موصد جَيِّدًا، استلقى هوبل على فراشه، واضعًا كلتا يديه أسفل رأسه، ومحدقًا في السقف، فعلت مثله، لكني كنت أفكر بقوة، ما حدث، هذا الهجوم الأخير، لم يكن عشوائيًّا كسابقه، لقد نحوا هوبل واختاروني ليخنقوني، كانوا سيقتلونني لا محالة لولا ارتكابهم لخطأ واحد، وهو ترك الرجل الذي يخنقني لأصابعه في حيز يدي، ولم يكن وجود سبايفي بهذا القرب مصادفة، لقد خطط للأمر، ودفع بهؤلاء المساجين لقتلي،

كل شيء كان مخططًا له من البارحة؛ ولذا وضعونا هناك في الطابق الثالث، حيث سيتم التخلص منّا، وظل هو بالخارج متوقعًا أن يدخل ليجد جثتي أنا وهوبل، لكن خُطَّته فشلت، ووجدني قد نجوت وتغلبت على القتلة، وتدخل رجال العصابة الحمراء لم يكن من ضمن خُطته، وبدأ الشغْب في السجن، وأصيب سبايفي بالذعر لذا غير من خطته وارتجل، وأطلق السرينة وبدأ يسيطر على الموقف، ونقله لنا لطابق الحجز بتلك السرعة دليل على نيته بالتصريح في التحقيق أننا لم نكن أبدًا في الطابق الثالث، سيقول رجال العصابة الحمراء إنهم هم من فعلوها ولسوف ينسبون الأمر لأنفسهم، ولسوف يدعم سبايفي هذا الكلام، خُطَّة واضحة للغاية، لكن لماذا؟ ما هو الدافع الذي سيحفز سبايفي على تفعيل خُطَّة تنتهي بدخوله الحمام ليجدني جثة مخنوقة ولساني متدليًا للخارج؟ ما الذي فعلته أنا له؟ الأمر كله غير مفهوم، لكني أُدرك الآن أن آمر السجن يحاول قتلي..

***

الفصل الثامن

نام هوبل لبرهة ليست بقصيرة على الفراش المجاور لي، ثم استيقظ بغتة، وتلفت حوله ليستوعب أين هو، بدا غارقًا في حيرته، اعتصر وسادته بين يديه وهو يتصبب عرقًا، وابتلع حلقه الجاف، هوبل يتحول رويدًا رويدًا لرجل شديد البؤس، كنت أتفهم خوفه، لكنه بدا مهزومًا، كأنه كان يراهن بكل ما يملك على شيء وقد خسر، ثم بدأت أفهم سبب هذا الانهزام كذلك، وقلت له ما يدور بخَلَدِي: القتيل كان يحاول مساعدتك أليس كذلك؟

- لن أستطيع إجابتك، وأنت تعلم لماذا..

أجابني برعب، هززت رأسي: أنا بحاجة لمعرفة إجابتك، ربما أنت طلبت المساعدة من القتيل، تحدثت معه وأخبرته بأشياء لذا تم قتله، وأنت تخاف تكرار تلك التجربة وإخباري أنا بأشياء، أشياء سوف تتسبب في مقتلي كذلك..

أومأ هوبل برأسه مؤيدًا ما أقوله وهز فراشه مع ساقيه المتوترتين، ثم نظر إلى الحائط وقال: كان محققًا يعمل من أجل الحكومة، أنا جلبته لمارجرايف لأني أردت منه إيقاف ما يحدث هنا، أنا لست مجرمًا، ولم أرد التورط أكثر من القدر الذي توغلت فيه، أنا خائف وأريد النجاة، وهو كان سيخرجني من الورطة الحالية، لكنه أخطأ في تقديراته بشكل ما لأنهم قتلوه، والآن أنا لن أستطيع أبدًا

الخروج من تلك الورطة، ولو علموا أني أنا من أحضرته إلى هنا سيكون انتقامهم رهيبًا، ولو لم يقتلوني فلسوف سأقضي حياتي في السجن لألف عام، كل شيء أصبح خطرًا للغاية الآن.

- من كان هذا الرجل؟ العميل؟ المحقق؟ القتيل؟

- لم يعطني اسمه، مجرد رمز، قال لي إن هذا أكثر أمانًا، لا أصدق أنهم قتلوه، لقد بدا لي كمحترف وذي كفاءة، أنت تذكرني به، تبدو كرجل ذي كفاءة.

- ولماذا ذهب القتيل للمخزن؟

- أنا لا أفهم ما الذي حدث، لقد أخبرته بشأن المخزن ليقابل رجلًا آخرَ هناك، لكن لماذا لم يقتلوا الرجل الآخر؟ أنا لا أفهم لماذا قتلوا واحدًا فحسب؟

- من الرجل الآخر الذي كان سيقابله؟

- أنا أخبرتك بالكثير يا ريتشر، لا بد أني مخبول لإخبارك بكل هذا، سيقتلونني.

- من الذي كان سيقابله في المخزن؟

- ألم تسمع ما قلته لك؟ أنا لن أتفوه بحرف آخر.

- أنا لا أريد أسماء إذن، أخبرني بملامح خارجية، بأي شيء، هل الأمر بتلك الأهمية؟ حقيقة ما يدور هنا؟

- إنه أمر مهم، مفزع، صادم، أبشع شيء ستسمع عنه..

- كم عدد الأشخاص المسؤولين عن هذا الأمر؟

- عشرة.. عشرة أشخاص لو لم تحسبني معهم..

- عشرة أشخاص فقط يا هوبل؟ هذا ليس بأمر كبير ولا بشع.

- هناك مساعدة خارجية لهم، وأشخاص يعملون لديهم بالأجر، أعني أن هناك عشرة في القمة.. صدقني ما يدور هنا في مارجرايف هو أمر خطير للغاية.

- وماذا عن الرجل الذي كان سيقابله العميل في المخزن؟ هل هو واحد منهم؟

- أنا لم أحسبه أيضًا.

- إذن هناك أنت، وهو، والعشرة، والمساعدة الخارجية والعاملون بالأجر..

- نعم، وكما قلت لك أبشع شيء سوف تسمع عنه، والآن الأمر كله معرض للانكشاف.. هذا سيجعلهم متوحشين، سيقتلون أي أحد.

- لماذا؟ بسبب العميل؟

- كلا، لأنهم لا يعرفون هل وشيت أنا بهم أم لا، لا يعرفون مقدار ما قلته للعميل، هناك نافذة صغيرة قد تنكسر وتهب منها العاصفة.. وربما لو صمدت تلك النافذة فلن ينكشف الأمر ولن يعرف أحد حقيقة ما يدور هنا..

- ولكم من الوقت تعتقد أن النافذة ستصمد أمام العاصفة؟

- لقد اقتربت العاصفة من نهايتها على ما أعتقد، ربما تنتهي غدًا وربما الأسبوع القادم، ربما سأظل حيًّا لأرى نهايتها.

- إذن أنت ستكون بأمان بعد الغد؟ لماذا؟ ما الذي سيحدث غدًا؟

هز رأسه ونظر إليَّ ثم أشاح بوجهه بعيدًا كأن عدم رؤيتي سوف تساعده، كأني غير موجود، ولا أوجه له تلك الأسئلة..

- ما الذي تعنيه كلمة «بلورياس» يا هوبل؟

لا رد..

- هل هي رمز لشيء ما؟

لم يعد يسمعني، كان يحدق بالفراغ، بالنسبة إليه فلقد انتهت المحادثة بأكملها، كففت عن المحاولة، وعدت للصمت بدوري، هذا كان مناسبًا لي، أنا لم أرغب حقًّا في معرفة المزيد، للدقة أنا لم أرغب في معرفة أي شيء ولا التورط في هذا الأمر؛ كوني دخيلًا على الأمر ومعرفة تفاصيل أكثر عن الذي كان متورطًا به هوبل لم تكن بخطوة ذكية، وبالتأكيد لم تُفد تلك الخطوة القتيل بشيء، وأنا لم أكن أريد مشاركته مصيره، بعظام مهشمة

ورصاصتين في الرأس ملقى بي في مخزن ما، كل ما أريده هو الصمود ليوم الاثنين ثم الرحيل والابتعاد قدر المستطاع عن بلدة مارجرايف.

- حسنًا يا هوبل، لا مزيد من الأسئلة.. صمت هوبل للحظة وهو يهز رأسه كعادته قبل أن يقول: هذا أفضل، شكرًا لك..

استدرت في فراشي ودفنت رأسي به محاولًا الانتقال لبعد آخر دون أي جدوى، وسمعت هوبل يتقلب خلفي دون توقف ثم سمعت حركة تدل على اعتداله قبل أن يقول: أنا آسف لقد كنت متزمتًا للغاية في إجاباتي، أنا بحاجة للحديث، هذا الصمت سيودي بعقلي، ألا نستطيع الحديث عن شيء آخر؟ عنك أنت؟ من أنت يا ريتشر؟

- أنا مجرد عابر سبيل، ولسوف أختفي من هنا يوم الاثنين.

ثم استطردت في الحديث بعدها وأنا مستلقٍ على ظهري فأخبرته عن آخر ستة أشهر والحياة العسكرية، بينما هو يحدق بالسقف ويصغي محاولًا أن يشتت نفسه عن مشكلته، حكيت له عن البنتاجون، والذهاب لواشنطن، وفيلاديلفيا، ونيورك، والمرور بشيكاغو، وديترويت، التنقل والترحال ورؤية المتاحف والاستماع للموسيقى، والإقامة بالفنادق الرخيصة، والوحدة والانعزال، والتنقل في الأراضي الشاسعة على قدمي كسائح لا يمتلك مالًا،

والحافلات والقطارات، ورؤية كل تلك الأشياء للمرة الأولى بعد ترك الحياة العسكرية، وزيارة المعالم التاريخية التي سمعت عنها فحسب في الفصول الدراسية، ورؤية تلك الأشياء المهمة التي شكلت الدولة مثل المصانع، وأماكن المعارك من أجل الاستقلال والثورات، والأشياء الصغيرة مثل الطرق وأماكن ميلاد المشاهير، أخبرته عن رحلة الطيران من شيكاغو لنيو أورلينز، والقرار الأحمق بالترجل من الحافلة وزيارة مارجرايف لمعرفة تاريخ الموسيقار بلايند الأعمى، كنت أشعر بالحماقة وأنا أخبره بتلك الجزئية، لكنه تفهم دافعي، وقال: أنا فعلت شيئًا مثل هذا ذات مرة، في شهر العسل، كنا في أوروبا -أنا وزوجتي- وبعد عودتنا قضيت نصف يوم في نيورك أبحث عن مبنى داكوتا، حيث تم رمي جون لينون بالرصاص، وقبل ذلك أهدرت ثلاثة أيام كاملة في ليفربول بإنجلترا وأنا أبحث عن نادي كافيرن، حيث أقام فريق البيتلز حفلته الأولى ولم أستطع إيجاده في نهاية الأمر، لا بد أنهم هدموه..

ظل هوبل يتحدث بعدها عن رحلاته المتعددة مع زوجته ومدى استمتاعهما الكبير بتلك الرحلات، أوروبا وجزر الكاريبي والمكسيك وكندا ورحلات داخل الولايات نفسها، ثم سألني: ألا تشعر بالوحدة وأنت تسافر وحدك طيلة الوقت؟

- كلا، أنا أستمتع بكوني وحيدًا، أنا أقدر الانعزال والوحدة والحرية كوني خفيًّا.

- ما الذي تعنيه بخفي؟

- في المعتاد أنا لا أستقل الطائرات، أسافر عبر الطرق السريعة، أسير قليلًا، أستقل حافلة، أحيانًا القطار، أدفع نقدًا، لا توجد بطاقة ائتمانية أو حساب بنكي يمكنك تتبعي من خلاله، لا حقائب، لا شحن، لا يمكن لأحد أن يقتفي أثري بتلك الطريقة، لا أخبر أحدًا أبدًا باسمي الحقيقي، حتى عندما أقيم في نزل، أدفع نقدًا وأعطيهم اسمًا زائفًا..

- لماذا؟ من الذي يلاحقك؟

- لا أحد، الأمر به عامل مرح فحسب، أنا أحب كوني خفيًّا، كأني أهزم النظام، وفي لحظتنا تلك أنا محنق بشدة من النظام..

رأيت ملامح وجهه تعود للتفكير العميق والحيرة مرة أخرى قبل أن يسألني: وما هي نصيحتك بخصوص فينلاي؟ عندما يسألني عن اعترافي؟ هل أقول له: إني كنت مجهدًا وخائفًا، أم أني اعترفت بسبب تهديد ضد عائلتي، أعتقد أني في كلتا الحالتين سوف أخبره إني لا أعرف شيئًا عن القتيل وكيفية تواجد رقمي معه، سأنكر كل شيء، ما هو رأيك؟

بدت لي خُطَّة واهية للغاية، قلت له: أخبرني بشيء واحد دون تفاصيل، هل أنت مفيد بالنسبة إليهم أم قابل للاستغناء؟

شبك أصابعة وفكر لدقيقة ثم أجابني: أنا مفيد بالنسبة

إليهم، مفيد جِدًّا.. ومهم وحيوي في نشاطهم.

- ولو لم تعد أنت موجودًا سيقومون بتجنيد بديل لك؟

- نعم.

- حسنًا، خُطتك جيدة، نفذها.

لم أرَ بديلًا آخر يمكن لهوبل فعله، هو رجل صغير في عملية كبيرة وخطرة، لكنه رجل صغير مهم وحيوي، ولا أحد سيفسد عاملًا مُهِمًّا من عمليته الخطرة والكبرى دون سبب قوي، سينجو هوبل، لو لم يكتشفوا هم أنه استدعى المحقق أو العميل الحكومي الذي تعرض للقتل في المخزن، وبهذا يكون لهوبل فرصة ليست بضئيلة في النجاة، لقد اعترف لأنه ظن أن السجن سيحميه، وقد كان مخطئًا، لم يكن لينجو من الهجمات التي تعرضنا لها بالداخل، ولكن، الحقيقة أنه أنا من هُوجم وليس هوبل، وهذا دليل على أنهم لم يعقدوا قرارهم بشأنه بعد، كان بإمكانهم قتله في أي وقت لكنهم لا يزالون يفكرون، كررت: نعم يا هوبل قم بتنفيذ تلك الخُطة بأفضل طريقة تستطيع فعلها..

عاد الصمت بعدها، كنا مجهدين من الحديث، وأنا أشعر بالملل، تمنيت لو كنت قد أحضرت الجريدة معي من مخفر مارجرايف، كنت ساقرأها مرة ثانية، ومحاولات الرئيس لخفض معدل الجريمة ليتم انتخابه مرة ثانية، وخفض ميزانية خفر السواحل لينفقها على سجن مثل سجن ولاية جورجيا، قرابة السابعة أحضروا لنا وجبات العشاء، تناولنا

الطعام، وفي العاشرة تم إطفاء الأنوار كلها، وأصبحنا في قلب الظلام، نمت مرتديًا حذائي، لكني لم أغط في النوم، كنت نصف مستيقظ، في حالة لو كان سبايفي يمتلك خططًا جديدة لقتلي..

عادت الأضواء في السابعة صباحًا، استيقظت شاعرًا بالإرهاق، لكني أجبرت نفسي على الوقوف، وتمطيت ثم فردت جسدي محاولًا إرسال دفعة من النشاط به، وجدت هوبل مستيقظًا بالفعل، يجلس في صمت، كان بالكاد يراني وأنا أحرك جسدي وأتمرن، وصل الإفطار قبل الثامنة صباحًا، قدمه لنا نفس الرجل العجوز الذي أحضره لنا بالبارحة، تناولت الإفطار بنهم وشربت القهوة، عندما أتى رأيت أحد الحراس يقترب منا، وقال: إنه يوم حظكما السعيد، ستخرجان من هنا.. ريتشر وهوبل، إخلاء سبيل..

قال آخر جملتين وهو يقرأ من مذكرة في يده..

قال هوبل الذي لم يلمس طعامه: ريتشر.. أنا خائف.

- ستكون بخير.

- كيف؟ بإمكانهم قتلي بسهولة بعد أن أخرج من هنا.

- بإمكانهم قتلك بشكل أسهل وأنت هنا، لو أرادوا قتلك لكنت ميتًا بالفعل، ثق بما أقول، أنت في أمان..

أومأ لنفسه محاولًا أن يقنع نفسه بكلامي، أخذت

معطفي وارتديته، ووقفنا خارج الزنازنة ننتظر إجراءات الخروج، عاد لنا الحارس بعد خمس دقائق، قادنا لمصعد، وأدخلنا به قبل أن يقول: طريق السلامة، لا تعودا إلى هنا..

نزل بنا المصعد للدور الأرضي، وخرجنا منه للباحة الأمامية المكونة من الرخام، خرجنا بعدها من الباب الأمامي وانعكست أشعة الشمس على وجهي، فردت جسدي وابتسمت مستمتعًا بها كرجل في مشهد سينمائي مبتذل خرج للتو من السجن، رأيت بعدها سيارة سوداء باهظة الثمن وحديثة الشراء بها شقراء في مقعد القيادة، خمنت أنها زوجة هوبل؛ لأنه اتجه إليها مسرعًا كأنها أفضل شيء رآه في حياته، وجوارها استقرت سيارة أخرى بها روسكو.. ترجلت الشرطية الجذابة ذات الشعر الأسود من السيارة وسارت صوبي، مرتدية سروال جينز وقميصًا خفيفًا من القطن الناعم عليه سترة جلدية، وجهها ذكي وهادئ، شعرها أسود وناعم، عيناها واسعتان، كانت تزداد روعة في كل مرة أراها بها، وقفت أمامي فقلت: مرحبًا يا روسكو.

- مرحبًا يا ريتشر..

صوتها كان جميلًا، ابتسامتها كانت رائعة، ظللت أنظر إليها، وأنا أقتنص كل لحظة قبل تلاشي تلك الابتسامة، في الوقت نفسه رحل هوبل في السيارة التي كانت من طراز بنتلي مع زوجته، وهو يشير إليَّ بيده مودعًا، أشرت

له بدوري، وتساءلت للحظة ما الذي سيحدث له هو وزوجته؟ لم أكن لأعلم الإجابة أبدًا، إلا لو أصابهم سوء الحظ وقرأت عما حدث لهما في الجرائد..

دلفت أنا وروسكو لسيارتها، وقالت لي: تلك السيارة تخص قسم الشرطة، أنا أستخدمها في المهام فحسب..

كانت سيارة شيفيرليه، كبيرة وواسعة، ظللت جالسًا ولم ألتفت للخلف والسيارة تبتعد بنا عن السجن، شعرت بشعور جيد، ستشعر دومًا بهذا الشعور عندما تخرج من السجن، وكذلك عندما تكون في سيارة مع فتاة جذابة وجميلة كروسكو.

قلت لها بعد وهلة: أخبريني ما الذي حدث؟

- لقد تحققنا من حجة غيابك، أنا وفينلاي، سهرنا في المكتب وشربنا الكثير من القهوة، أصيبت أعيننا بالإرهاق من الإضاءة الليلية لكننا تحققنا من حجة غيابك، أجرينا العديد من الاتصالات واستخدمنا دليل الهاتف وكل شيء، تواصلنا مع تامبا وأطلانطا، وبعض ركاب الحافلة، وسائق الحافلة نفسه كذلك، وفي النهاية كتبنا في التقرير أن حجة غيابك حقيقية..

استطردت روسكو وهي تدير مقود السيارة وعيناها ترتكز على الطريق: ويوم السبت أتانا رد من البنتاجون، وتحققنا من سجلك العسكري وعملك مع الشرطة العسكرية، الحقيقة أن فينلاي انبهر بسجلك، كما أن المكتب الفيدرالي رد

علينا بخصوص بصماتك، أنت غير مطلوب.. وهذا أرضى فينلاي، أنت كنت صادقًا فيما قلته، لكنه تواصل مع الخبير الشرعي في حالة لو كان هناك تغيير في موعد القتل، لم يكن هناك تغيير، ولذا تأكدنا من أنك لست القاتل..

هززت رأسي، فينلاي رجل حريص، ويحب التأكد من كل التفاصيل.. سألتها: وماذا عن القتيل؟ هل فحصتم بصماته مرة أخرى؟

مرت جوارنا شاحنة، أول سيارة أراها في الطريق، أبطأت روسكو من سرعتها وأجابتني: لقد أخبرني فينلاي أنك قلت له أن يتفحص البصمات مرة أخرى، لماذا؟

- لأن الرد أتاكم بسرعة، بعدم وجود هُوِيَّة..

- بسرعة؟

- لقد قلت لك إن الردود السريعة من المكتب الفيدرالي بخصوص البصمات تحدث عندما يكون صاحب الشأن من قائمة المطلوبين.

- حسنًا.

- خذيني أنا على سبيل المثال، أنا موجود في سجل بياناتهم، لكني لست في قائمة المطلوبين، وقد استغرق الأمر أكثر من أربع عشرة ساعة ليتم الرد.

- صحيح.

- ولكن هذا لم يحدث مع القتيل، لقد أتاكم الرد

بسرعة، لماذا؟ أنتم اكتشفتم الجثة في الثامنة والنصف صباحًا، وبايكر أخبرني أنه لا توجد هُوِيَّة للقتيل عندما كان يتحدث معي في الثانية والنصف، أنا أتذكر الوقت لأني كنت أنظر للساعة، ست ساعات فحسب؟ هذا رد سريع بالنفي..

- يا إلهي أنت محق، لا بد أن بايكر أخطأ في إرسالها بشكل ما، لأنه هو من أرسلها، لا بد أنه أخطأ في سحبها من الجهاز، عليك التعامل مع البصمات بحذر، لو كانت الصورة غير واضحة فلسوف يفسد الأمر برمته، على أية حال نعم لقد أرسلناها مرة أخرى، أرسلتها أنا تلك المرة، ولسوف نعرف الرد قريبًا.

قادت روسكو السيارة شرقًا وأخبرتني أنها ألحت على فينلاي أن يخرجني من السجن مبكرًا، ووافق فينلاي لكن كان أمامهم عقبة، وهي أن عليه الانتظار لليوم بسبب حدوث مشكلة ما في الحمام وموت سجين، وآخر فقد عينيه، بسبب حرب عصابات ما، بين السود والبيض، التزمت الصمت ونظرت من النافذة وهي تخبرني بهذا الجزء، لقد قتلت رجلًا وأعميت الآخر، لكني لم أشعر بتأنيب ضمير، كان الأمر مثل قتل الثعابين في الصحراء، لكن على الأقل الثعابين كائنات طبيعية ومنطقية، هؤلاء المساجين كانوا أسوأ من الثعابين، وهم من بدؤوا الهجوم أليس كذلك؟ أنا دافعت عن نفسي فحسب، مهاجمتي كانت مثل طرق باب مغلق والمخاطرة بما سيوجد خلفه،

هم أخذوا تلك المخاطرة، وفتحوا الباب، وهذا شيء لم يكن عليهم فعله أبدًا.

- شكرًا يا روسكو، أداؤك لعملك بشكل متقن وسريع قد ساعدني.

لوحت هي بيدها، واحمر وجهها قليلًا، وتزايد إعجابي بها، لكن ليس لدرجة تغيير خُططي والبقاء في مارجرايف، ربما أبقى ساعة أو اثنتين ليس أكثر، قلت لها: أنا أريد اصطحابك لتناول الغداء، كنوع من الشكر لما فعلتيه.

فكرت هي قليلًا ثم قالت باقتضاب: موافقة.

ووصلت بنا السيارة للبلدة..

***

الفصل التاسع

توقفنا عند المخفر، وأحضرت روسكو حقيبة مقتنياتي، واتجهنا بعدها لمركز التسوق الرئيسي بمارجرايف، واتفقت روسكو على مقابلتي بعد عدة ساعات لحين انتهاء عملها، رحلت بسيارتها ووقفت وحيدًا في الشارع، وسط ضوء النهار، شاعرًا بأني قد عدت لطبيعتي مرة أخرى، وتحسن مزاجي كثيرًا، سأتفقد قصة بلايك الأعمى، وأصطحب روسكو للغذاء بعدها، قبل أن أرحل عن تلك المقاطعة المشؤومة، قضيت الكثير من الوقت وأنا أتجول في أرجاء البلدة وأفعل الأشياء التي انتويت فعلها عندما تم القبض عَلَيَّ، لم يكن هناك الكثير من الأشياء لفعلها على كل حال، رأيت محل بقالة وحلاقًا، وطريقًا ممتدًا للشمال وآخرَ للجنوب، بينهما ميدان عليه لافتة «الشارع الرئيسي»، وخلفهم مكتب محاماة وطبيب أسنان، هناك عيادة طبيب بشري على مقربة منهم في الشارع الرئيسي، واصلت التجول وتوقفت أمام لافتة أخرى مكتوب عليها «شارع بيكمان»، إنه الشارع حيث يقطن بول هوبل، ورأيت الكنيسة البيضاء على اليسار، وبالكاد سمعت صوت «الكورال»، والقوم يغنون بالداخل، جوارها استقر تمثال تقبع خلفه حديقة خضراء جميلة، التمثال كان يخص شخصًا يدعى كاسبر تيل، والذي فعل شيئًا ما مُهِمًّا لبلدة مارجرايف منذ مئة عام، رأيت بعدها عدة مبانٍ متراصَّة بشكل مبهر وجميل، وأمامها طريق ممهد ورائع،

وأمام تلك المباني استقرت باحات أمامية خضراء، دخلت متجر مشاريب سريعة خاليًا عدا الموظف خلف مكتب الحسابات، كان لديه قهوة فطلبت الكثير منها، وابتعت جريدة يوم الأحد، لا يزال الرئيس متصدرًا الصفحة الأولى من الأخبار وهناك مقالة كاملة عن زيارته لكاليفرونيا، وهناك تبريرات يقدمها الأخير للمقاولين عن خسائرهم، وتصريحات أخرى عن ميزانية خفر السواحل، سمعت الباب ينفتح في المتجر فتوقفت عن القراءة، ورفعت رأسي لأتبين القادم، كانت امرأة، تكبرني سنًّا، ربما كانت في العقد الرابع من العمر، ترتدي الأسود، رداؤها يطابق لون شعرها، شاحبة اللون، نحيفة، تتحرك بعصبية، اتجهت للموظف وطلبت منه القهوة بصوت خفيض للغاية، بالكاد سمعت صوتها رغم أنها قريبة مني والمكان خالٍ، لم تبقَ المرأة لفترة طويلة، لقد أنهت نصف كوبها وهي تراقب النافذة طيلة الوقت حتى وصلت شاحنة سوداء كبيرة، ارتجفت المرأة وهي تنظر للشاحنة، نظرت للسائق الذي ترجل من الشاحنة، بدا كرجل صُلب، فارع القامة، عريض المنكبين، غليظ العنق، في حوالي الثلاثين من العمر، ابتلعت المرأة قهوتها ووضعت الكوب جانبًا، ثم توقفت وسارت صوب الباب، سألت الموظف بعد رحيلها: من هي؟

نظر إليَّ الموظف بتعجب كأني قادم من كوكب آخر، قبل أن يجيب: إنها السيدة كلاينر، أنت لا تعرف آل

كلاينر؟

- لقد سمعت عنهم، لكني غريب هنا في البلدة، كلاينر هو صاحب المخزن بالقرب من الطريق السريع أليس كذلك؟

- هذا صحيح، وهم يمتلكون أشياء أخرى كثيرة في مارجرايف بخلاف المخزن بالقرب من الطريق السريع، مستر كلاينر هو أهم رجل في مارجرايف.

- حقًّا؟

- بالطبع، هل سمعت عن المؤسسة؟

هززت رأسي نفيًا، في اللحظة نفسها التي أنهيت فيها كوب القهوة وأعطيته إياه ليعيد ملأه..

- كلاينر هو من أسس مؤسسة كلاينر، أعماله التجارية تفيد البلدة بأكملها، لقد أتى إلينا منذ خمس سنوات، وتغير كل شيء للأفضل منذ ذاك الحين، كأنه الكريسماس وهو سانتا كلوز..

- لكن زوجته لم تبدُ على ما يرام.

- هي مريضة جِدًّا، لعلك لاحظت شحوبها، لا أعلم سبب مرضها، وما الذي تعانيه، لكنها تعاني جسديًّا بشدة.

- ومن كان سائق الشاحنة؟

- ابن زوجها، لقد أنجب كلاينر من زوجته الأولى، وهذا ابنه، لقد سمعت أنها -زوجته الحالية - وابنها لا يتفقان..

وهز رأسه بطريقة النميمة إياها، ثم ذهب لينظف آلة المشروبات، الشاحنة السوداء كانت لا تزال مكانها بالخارج، الحقيقة أن الموظف كان محقًّا، زوجة كلاينر تبدو مريضة للغاية، كأنها كانت حبيسة بئر ولم ترَ الضوء لأعوام، لكني لم أعتقد أن سبب هذا مرض جسدي، لقد بدا لي أنها في حالة رعب، ولكن ما سبب خوفها؟ لم أرغب في معرفة الإجابة، الأمر لا يخصني، هنا رأيت السائق يحدق بي وقد لاحظ نظراتي، أشحت بوجهي بعيدًا ونظرت لانعكاسي في زجاج المتجر، ورفعت حاجبي، أنا بحاجة للاغتسال والحلاقة قبل ملاقاة روسكو، ابتسم الموظف إزاء نظراتي، وقال: هناك حلاق قريب.

- اليوم هو الأحد.

- الحلاق في مارجرايف يعمل طيلة أيام الأسبوع، ربما تجده خارج المحل لأنه مغلق ومفتوح دومًا لو فهمت ما أعنيه، لكنه سيأتي في حالة قدوم عميل.

شكرت الموظف وأعطيته خمسة دولارات، ثم خرجت من المتجر، رأيت جماعة من القوم يخرجون من الكنيسة، والسائق في الشاحنة لا يزال يحدق باتجاهي، سرت شمالًا، لأجده يتحرك بشاحنته متتبعًا لي، زدت من سرعتي، وكذا

فعلت الشاحنة، توقفت والتفت ناحيته، توقف هو بدوره وتبادلنا النظرات، في النهاية أدار السائق المحرك مرة أخرى ورحل، هززت كتفي وعدت للسير مرة أخرى متجهًا للحلاق الذي لمحت محله منذ وهلة وأنا أتفقد وأتجول في الأنحاء، ككل شيء آخر في مارجرايف بدا محل الحلاقة رائعًا ومبهجًا، المقاعد كانت عتيقة ومريحة، من نوعية المقاعد التي قد يتصارع عليها كل الحلاقون لو كنا في الثلاثينيات، وسيدفعون مبالغَ من أجلها لأنها تمثل روح الولايات المتحدة بأكملها، فعالة وعتيقة ومستمرة في أدائها، رأيت رجلين أدركت أنهما أصحاب المحل، كلاهما أسود اللون، كانا يتسكعان بالخارج، مغلق ومفتوح في الآن نفسه، فهمت ما كان يعنيه الموظف الآن، طلبت منهما حلاقة وجهي وتهذيب شعر رأسي، ومكانًا للاغتسال، جلست على المقعد أمام المرآة، وعلى الحائط استقرت مقتطفات تاريخية من صحف وجرائد، اغتيال كينيدي، موت الرئيس رووزفيلت، اغتيال مارتن لوثر كينج، يوم استسلام اليابان إبان الحرب العالمية الثانية، أتى الرجل الأسود والذي كان متقدمًا في العمر، حاملًا موسى حلاقة، بعدما وضعه في إناء به ماء ممزوج بالصابون، وهناك فرشاة في يده الأخرى، بينما حمل الآخر منشفة، وبدآ في العمل، قام الأول بحلاقة لحيتي النامية بالموس، بينما وقف الآخر لا يفعل شيئًا وقد افترضت أن دوره سيأتي لاحقًا، وكعادة كل الحلاقين بدأ الرجل الأول في الثرثرة، وحكى لي تاريخ عمله في مارجرايف، وكيف أنه

هو والرجل الآخر أصدقاء منذ طفولتهما، وبدآ في مزاولة مهنة الحلاقة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وامتلكا محلًا في أطلانطا قبل انتقالهما إلى البلدة، أخبرني بالتاريخ من وجهة نظره كحلاق، وحكى لي عن كل الشخصيات المهمة الذين حلق لهم، قلت له بودية: أخبرني عن آل كلاينر.

كان رجلًا ثرثارًا لكن هذا السؤال أخرسه تمامًا، ثم قال: هذا الأمر ليس للنقاش، اسأل أحد آخر.

تنهدت وسألته: حسنًا، هل سمعت عن بلايك الأعمى؟

- بالطبع، هذا رجل نستطيع الحديث عنه.

- رائع، أخبرني بما تعرفه عنه.

- لقد كان يأتي لمارجرايف كل حين وآخر، منذ قديم الزمن، لقد ولد بلايك في جوكسونفيل بفلوريدا، وقد كان يستريح هنا وهو في طريقة لأطلانطا، حيث كانت الأمور مختلفة، لا طرق سريعة، لا سيارات متوفرة للجميع كما هي الحال الآن، وبلايك كان رجلًا أسودَ وفقيرًا، كان يسير ذهابًا وإيابًا ويتوقف عند مارجرايف..

- هل سمعته يعزف من قبل؟

توقف الحلاق عن عمله ونظر إليَّ قبل أن يجيب: أنا في الرابعة والسبعين من العمر يا رجل، بلايك كان يأتي هنا وأنا طفل، رجال مثل بلايك يعزفون في الحانات، ولم

يكن هناك أي حانة في مارجرايف وأنا طفل، لقد كنت أفعل أي شيء من أجل سماعه وهو يعزف كما تعلم لكن للأسف هذا لم يحدث، عليك التحدث مع صديقي هنا، هو يكبرني سنًّا، ربما سمع هو بلايك يعزف، رغم أنه لا يستطيع تذكر ما تناوله على الإفطار هذا الصباح لو فهمت مقصدي.. انظر انظر.. ها يا صديقي، ما الذي أكلته في هذا الصباح؟

تحرك الرجل الآخر جواري ووقف قبالة الحوض، استند بيده على الصنبور، كان داكن الْبَشَرَة بحق، وأجاب بصوت أجش: أنا لا أعلم ما الذي تناولته على الإفطار، لا أعلم إن كان هناك إفطار هذا الصباح أم لا، لكن اسمعني جيدًا، أنا عجوز جِدًّا وأعلم هذا، لكن الحقيقة أن أمثالي يتذكرون، لا نأبه لتلك التفاصيل حديثة الوقوع، لكننا نتذكر الأشياء العتيقة، تخيل أن ذاكرتك مثل زجاجة قديمة، كلما امتلأت لم يعد هناك مكان لمزيد من السوائل كي تنسكب بداخلها، هل فهمت؟ أنا لا أتذكر ما يحدث مؤخرًا، لكني أتذكر الأشياء القديمة.. هل تفهمني يا رجل؟

كان يوجه سؤاله الأخير لي، ابتسمت له: بالطبع أفهمك، والآن أخبرني هل سمعت بلايك الأعمى وهو يعزف؟

- من؟

نظرت إليهما هما الاثنان، لم أعد متأكدًا إن كانت هذه

طريقة معتادة منهما في السخرية من الزبائن، قلت: بلايك الأعمى، الموسيقار، هل سمعته يعزف من قبل؟

- كلا، لم أسمعه وهو يعزف، أختي سمعته، لَدَيَّ أخت يناهز عمرها التسعين عامًا، هي لا تزال حية، اعتادت أن تغني وهي شابة، وقد غنت أختي مرة مع بلايك..

- حقًّا؟ غنت معه؟

- بالتأكيد، لقد كانت أختي تغني مع أي عابر سبيل يمر بالبلدة، تذكر أن تلك كانت أوقات مختلفة، والطريق الزراعي القديم كان يمر من فلوريدا والجنوب إلى هنا، أي حد سيذهب لشمال جورجيا عليه المرور بمارجرايف، الآن هناك طريق سريع وطائرات، وفي الطرق السريعة أنت لست في حاجة للوقوف في كل بلدة تمر بها مثلما كان يحدث مع الطريق الزراعي، لم تعد مارجرايف بلدة مُهِمَّة الآن ولم يعد يتوقف بها أحد.

- إذن بلايك توقف هنا وغنت معه أختك؟

- الكل اعتاد التوقف هنا، كنا نمتلك حانات عدة، واعتمد نشاط البلدة على المسافرين، كل شيء تم هدمه الآن وتغير النشاط التجاري لمارجرايف، لقد كانت بلدة مختلفة جِدًّا فيما سبق، ملاكمون وعمال وموسيقيون وسائقو شاحنات، كل هؤلاء اعتادوا التوقف هنا، وكانت أختي تغني معهم..

- وهي تتذكر بلايك؟

- بالطبع، لقد كانت تقول: إنه أعظم شيء حدث لها، لقد كان رائعًا جِدًّا.

- ما الذي حدث له؟ هل تعرف؟

فكر الرجل بشدة، وهو يبحث في ذاكرته، ورفع منشفته وبدأ يمسح بها وجهي وهو يقول: لست متأكدًا، لقد اعتاد زيارة البلدة كثيرًا، أنا أتذكر هذا، يقضي ثلاث أو أربع ساعات ثم يواصل رحلته لأطلانطا، كان هناك شائعات أن شخصًا قتله، ربما هنا في مارجرايف؛ بسبب مشكلة ما..

واصلا الحلاقة وأنا استمع للمذياع الخاص بهما، وأعطيتهما عشرين دولارًا بعدما انتهيا وشكرتهما راحلًا، عدت للشارع الرئيسي، واتجهت شمالًا، الشمس بدأت في الغروب، والمساء يحل ببطء، الجو حارٌّ رغم أننا في سبتمبر، سرت في طريق خالٍ، بلايك الأعمى قد سار في هذا الطريق، عندما كان الحلاقون صبية صغارًا، والكل يتجه لشيكاغو وأطلانطا لمطاردة أحلامهم آملين، والآن تغير كل شيء، وصلت لمخفر الشرطة حيث اتفقت مع روسكو على ملاقاتها، دخلت لأجدها منحنية على مكتب الاستقبال وستيفينسون جوارها، وجهها قلق للغاية وبدا أنها كانت تنتظر مجيئي، قالت: لقد وجدنا جثة أخرى.

- أين؟

- في المخزن، في الجزء العلوي هناك.

- من وجدها؟

- فينلاي، لقد ذهب لتفقد المخزن هذا الصباح لعله يجد شيئًا يفيدنا في التحقيق، ووجد الجثة الثانية.

- وهل حددتم صاحب هُوِيَّة الجثة؟

- كلا، غير معلومة الْهُوِيَّة مثل الجثة الأولى.

- وأين فينلاي الآن؟

- ذهب ليأتي بهوبل، هو يثق أن هوبل يخفي شيئًا.

أومأت برأسي، نعم هوبل يعرف الكثير، الجثة الثانية تخص الرجل الذي كان سيقابل العميل الحكومي الذي تواصل معه هوبل طلبًا للمساعدة، ولم يفهم هوبل لماذا قتلوا واحدًا وتركوا الآخر يفلت، لكن الآخر لم يفلت، لقد قتلوه هو الآخر، سمعت صوت سيارة تركن بالخارج، التفت لأجد فينلاي يصيح من السيارة: سنذهب للمشرحة يا روسكو هيا بنا.. أنت أيضًا يا ريتشر..

خرجت روسكو وتبعتها، دلفنا للسيارة التي أقلتني هي بها، جلست روسكو في مقعد السائق وفينلاي جوارها بينما جلست أنا بالخلف، التفت فينلاي باتجاهي وقال: أنا لا أستطيع إيجاد هوبل، لقد اختفى.. هو وعائلته، هل قال لك أين سيذهب؟

- كلا، لم يتحدث لي على الإطلاق.

نظر إليَّ فينلاي، ثم تابع: أنا بحاجة لمعرفة كل ما يخفيه

هوبل عن هذا الأمر، ما الذي أخبرك إياه يا ريتشر؟

لم أجبه، لم أحدد بعد هل أنا في جانب فينلاي أم هوبل، في الأغلب سأكون في جانب فينلاي، لكن هذا قد يعرض حياة هوبل وأسرته للخطر؛ ولذا عَلَيَّ أن أكون على حياد، وأن أخرج من تلك البلدة اللعينة في أقرب فرصة، لا حاجة لمزيد من التورط.. قلت لفينلاي: هل جربت الاتصال به؟

- هاتفه مغلق.

- هل أتى وأخذ ساعته الذهبية؟

- ماذا؟

- ساعته الرولكس، لقد ترك ساعة ثمنها عشرة آلاف دولار في المخفر مع بايكر يوم الجمعة، هل أتى لاستعادتها؟

- كلا، لم يذكر لي أحد شيئًا عن هذا الأمر.

- حسنًا، هناك سبب عاجل جعله يختفي إذن، لم يكن لرجل مثل هوبل أن يترك ساعة باهظة الثمن كتلك دون سبب وجيه.

- أي سبب عاجل؟ ما الذي قاله لك؟

- لم يخبرني بشيء، لم نتحدث على الإطلاق.

- لا تعبث معي يا ريتشر، سوف أحتجزك لحين أجد هوبل، فلا تخبرني أنه لم يقل لك شيئًا طيلة هذين اليومين،

لا تعبث معي..

هززت كتفي بقنوط ولم أعلق، سيقبضون عَلَيَّ مرة أخرى، ربما أتركهم وأركب أي حافلة عندما نصل للمشرحة، سأضحي بفكرة الغذاء مع روسكو، وهذا شيء مؤسف..

- ما هي حكاية الجثة الثانية؟

- مثلها مثل الأولى، نفس توقيت القتل، طلقتين في الرأس، السلاح نفسه، لم يكن هناك عظام مهشمة وضرب للجثة..

- لم تحدد هُوِيَّة القتيل؟

- اسمه شيرمان، لا أمتلك أي معلومة بخلاف هذا.

- وما هي تفاصيل الجثة؟

كنت أسأله بحكم العادة ليس أكثر، فكر فينلاي قليلًا ثم أجاب: رجل أبيض، بلا هُوِيَّة ولا حافظة، في الثلاثين من العمر، الجثة في حالة سيئة لأنه مستلقٍ في المخزن لثلاث ليال، وقد تغذت الحيوانات على جثته، لكن يده سليمة لأنها كانت أسفل ظهره، حصلت على بصماته، أجرينا فحصًا عليها وبانتظار النتائج.. ربما تخبرنا البصمات بشيء ما لو كنا محظوظين..

- نفس السلاح هو المستخدم في الجريمتين؟

- نعم، العيار الناري نفسه، لقد أصابته الطلقة الأولى

ولم تقتله فحاول الهرب، لكن الرصاصة الثانية أسقطته صريعًا، سقط ونزف حتى الموت، لم يركلوا جثته لأنهم لم يجدوها، أعتقد أنه هرب منهم، بعدما أصابوه بالطلقة الأولى، ثم أصابته الثانية فواصل الفرار قبل أن يسقط، لم يجدوه، وبشكل ما زحف هو للمخزن لينزف حتى الموت بعد رحيلهم.

- كان هناك اسم على ساعته، اسم «شيرمان» أتعتقد أن هذا هو اسمه؟

- ربما لم تكن ساعته، ربما سرقها، أو ورثها.. تبًّا ربما يكون قد ابتاعها من متجر ما أو وجدها في الشارع..

قطب فينلاي جبينه.. وزادت روسكو من سرعة السيارة، كنا نتوغل في جنوب مارجرايف، أبطأت روسكو من سرعة السيارة، فسألتها: أين نحن ذاهبون؟

- مستشفى المقاطعة بالقرب من «مرتفعات يالو»، لقد اقتربنا..

قالها فينلاي وهو ينظر من نافذة السيارة، وواصلنا رحلتنا في صمت، وعندما وصلت رفعت ناظري للمستشفى الكبير حيث يأتي المرضى والمصابون بالحمى طلبًا للعلاج، أوقفت روسكو السيارة أمام مدخل المشرحة، ترجلنا من السيارة وتبادل ثلاثتنا نظرة سريعة قبل أن نتجه صوب الباب.

استقبلنا شاب يرتدي معطفًا أبيضَ، كان يجلس لا ينتوي فعل شيء عندما دخلنا، فقط رفع رأسه وقال: ما

- هل تم نقل الجثتين أم أن الرجلين قتلا في مكانهما حيث تم اكتشافهما؟

- لم يتم نقلهما، لقد قتلا وتركا في المخزن.. لا شك في هذا.. حالة الـ «هيبوستاتيس»(3) الخاصة بهما تؤكد هذا.

نظر إليَّ، وهو يريدني أن أسأله عن معنى كلمة «هيبوستاتيس»، والحق أني أعرف بالفعل ما تعنيه، ولكن من باب اللياقة تظاهرت بالحيرة أمامه لأرضي كبرياءه وسألته عن معناها..

- تصلب الدماء بعد الوفاة، تتوقف الدورة الدموية بالكامل، القلب لا يضخ أي دماء، وتستسلم الدماء لقوانين الجاذبية أخيرًا فتهمد تمامًا، ويبدأ الأمر - التصلب أو التخشب- بكرات الدم الحمراء، وبعد عدة ساعات يتحول لونها لبقع داكنة، في حالة عدم تحرك الجسد، وهذا ما حدث مع القتيلين، لقد تم إطلاق النار عليهما فسقطا، أحدهما تعرض للضرب وتهشم العظام، ثم ظل مكانه لثماني ساعات، وتصلبت دماؤه بالكامل..

سأله فينلاي: وما انطباعك عن الضرب الذي تعرضتْ له الجثة؟

- لم أرَ له مثيلًا من قبل، لقد قرأت عن أشياء كتلك في الأخبار، أفعال مختلة، لن يشكل الأمر فارقًا للجثة ولن يؤذي الميت، لقد مات بالفعل، الأمر كان مرضيًا للقاتل فحسب، ينفث عن طاقة غضب بداخله، وقوة عاتية..

الإصابات كانت مهولة..

- وماذا عن القتيل الثاني؟

- لقد حاول الهرب، وأصيب بالطلق الناري من الخلف، لكنه واصل العدْو، وأصيب بطلقة أخرى في عنقه، وتلك التي أردته قتيلًا فيما بعد، لكنه ظل يهرب حتى سقط بعيدًا عنهم واحتضر ببطء إثر فقدان الدماء..

صمتنا جميعًا، كنت أتخيل محاولة القتيل الثاني البائسة للنجاة، يحاول الهرب ولا يزال يتعلق ببارقة أمل، قبل أن يسقط أرضًا بعد أن خذله جسده ليحتضر ببطء جانب أضواء الطريق السريع.. أفقت من تخيلاتي على صوت فينلاي وهو يقول: حسنًا من السهل إذن افتراض أن القتيلين كانا معًا، يفاجئهم القاتل ويردي أولهما صريعًا برصاصتين في الرأس، ليهلع القتيل الثاني، ويعدو محاولًا الهرب قبل أن يلقى مصيره.. ومن السهل أيضًا افتراض أن هناك ثلاثة قتلة وليس واحدًا..

سأله الطبيب بتعجب: لماذا ثلاثة؟

أشار فينلاي إليَّ برأسه، لقد كانت تلك نظريتي الخاصة، وأراد مني أن أشرحها.. تنهدت وقلت: لأن هناك ثلاثة أفعال مختلفة في مسرح الجريمة، تلك الأفعال تدل على ثلاث شخصيات مختلفة، القاتل المحترف، الذي أطلق الرصاص بثبات وثقة، تلك هي الشخصية الأولى، وهناك المختل الغاضب الذي ضرب الجثة بعد موت صاحبها،

تلك هي الشخصية الثانية، والثالث هو الرجل غير الكفء الذي كان يجب عليه إخفاء الجثث..

فكر الطبيب قليلًا، ثم قال باقتناع: حسنًا قبل أن يردف: الشخصية الأولى أطلقت عليهم الرصاص من على مقربة فربما الضحايا كانوا يعرفونه، وسمحوا له بالاقتراب منهم..

وافقه فينلاي القول وقال بدوره: لا بد أن هذا ما حدث، إذن لدينا خمسة رجال في اجتماع، قرابة منتصف الليل في مكان ناءٍ ومهجور، ثلاثة منهم يقتلون اثنين آخرين..

- هل نعلم هُوِيَّة القتلة؟

هنا تدخلت روسكو وأجابت: نحن لا نعلم حتى هُوِيَّة الضحايا..

تحرك فينلاي لليسار قليلًا وشرد، ثم سأل الطبيب: هل لديك أي نظريات بخصوص هُوِيَّة الضحايا؟

- لا يوجد شيء واضح بخصوص الضحية الثانية، لقد وصل إلى منضدتي منذ ساعة واحدة.

- ولكن لديك نظرية بخصوص الضحية الأولى؟

قبل أن يجيب الطبيب بعد أن جمع بعضًا من ملاحظاته رن الهاتف فأجابه، وأعطى السماعة لفينلاي قائلًا: اتصال من أجلك.

التقط فينلاي السماعة ووضعها على أذنه، استمع لوهلة

بتركيز قبل أن يقول: حسنًا، اطبعه وأرسله بالفاكس..

وأعاد السماعة للطبيب وهناك شبح ابتسامة على وجهه، قبل أن يقول: لقد كان ستيفينسون هو المتصل، لقد حصلنا أخيرًا على تطابق بصمات بخصوص القتيل الأول، لقد كنت محقًّا يا ريتشر في أن نجري الفحص مرة أخرى، سيصل الفاكس خلال أي دقيقة الآن، والآن أخبرنا بنظريتك يا «دكتور» ولسوف نكملها مع نتيجة البصمات..

التقط الطبيب المرهق ذو المعطف الأبيض ورقة ملاحظاته وقال: أنا لا أمتلك الكثير من النظريات بخصوص القتيل الأول، حالته كانت مزرية بحق، لقد كان فارع القامة، هو رياضي، حليق الرأس، وقد أجرى عملية في أسنانه من قبل.. الأمر هو أن عمليات الأسنان لها نوعان، بإمكانك معرفة إذا كانت تمت في الولايات أو خارجها، الغريب هو أن أسنان القتيل تحمل الأمرين معًا..

بجانبي أصدرت آلة الفاكس صوتها معلنة وصول رسالة.. في الآونة نفسها كان فينلاي يقول للطبيب: أكمل.. أتعتقد أنه كان أجنبيًّا أو أمريكيًّا يعيش بالخارج؟

وصلت الورقة المطبوعة وخرجت من آلة الفكاس، التقطها بيدي، ونظرت إليها ثم قرأتها مرتين وتصلب جسدي تمامًا، شعرت بالقشعريرة تسري في كل ركن بجسدي، لم أصدق، أو رفضت التصديق ما أراه أمامي

على تلك الورقة، شعرت أن العالم كله ينهار من حولي.. ابتلعت ريقي، ورفعت رأسي بصعوبة قبل أن أحدق بالطبيب وأقول: لقد ترعرع بالخارج، وكان يصلح أسنانه حيثما استطاع، كسرت ذراعه اليمنى ذات مرة، عندما كان ابن ثمانية أعوام في ألمانيا.

- أنت تستطيع معرفة كل هذا من بصماته؟

هززت رأسي، ثم قلت: لقد كان أخي.. القتيل الأول هو أخي..

***

عزيزي القارئ، هذه النسخة من رواية: (طابق مخصص للقتل) تم تجهيزها لصالح مكتبة ضاد الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فإن كنت قد تعبت في تحميل هذه النسخة من المواقع الإلكترونية الأخرى، فتذكر أنه بمقدورك تحميل هذه الرواية وأي رواية غير متوفرة بصيغة pdf بضغطة زر واحدة، وذلك عن طريق قناتنا على تيليجرام. رابط القناة (@twinkling4) نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.

الفصل العاشر

ذات مرة شاهدت فيلمًا في تدريبات البحرية عن البعثات الخاصة بالقطب الشمالي، رأيتهم يسيرون فوق الثلج، وتدريجيًّا بإمكانك رؤية الأرض المتصدعة والشروخ، قبل أن ينهار السطح الجلدي ويبتلعهم جميعًا، وتتحول الأرض الثلجية لبحيرة موت، في ثوانٍ يتغير كل شيء، يتغير العالم بأسره، هذا ما شعرت به، جلست جوار آلة الفاكس في صمت كرجل سقط في بحيرة ثلجية، كرجل تغير العالم برمته من حوله، أخذوني بعدها برفق للمشرحة لأتعرف على جثة أخي، وقفت ناظرًا للجثة، لم يعد هناك وجه لأراه إثر الطلق الناري، وكل عظامه مهشمة بدورها، لكني تعرفت على الندبة الغائرة في عنقه، ندبة قديمة أُصيب بها ونحن نلعب سويًّا بزجاجة مهشمة عندما كنا أطفالًا، كان هذا منذ تسعة وعشرين عامًا، نظرت لجثته طويلًا، وتعرفت عليه بشكل رسمي وأعطيتهم الإفادة، بعدما أعادوني لمخفر الشرطة في مارجرايف، قاد فينلاي السيارة تلك المرة، وجلست روسكو جواري في المقعد الخلفي، لم تستغرق رحلة العودة للمخفر سوى عشرين دقيقة، لكني استرجعت فيها كل تفاصيل حياتي، وحياة أخي.. جو.. أكبر مني بعامين، وُلد في قاعدة عسكرية أمريكية في شرق ألمانيا، ووُلدت أنا بعده بعامين في أوروبا، بقاعدة عسكرية أخرى، في بداية رئاسة كينيدي للولايات، ترعرعنا سويًّا، داخل

المجمعات السكنية الصغيرة التي كونتها العائلات لنفسها داخل القواعد العسكرية، حياتنا كانت مزيجًا من التنقل واكتشاف أشياء غير مألوفة في الحياة، ننتقل من أوروبا مع بداية الخريف ونقضي الصيف في قاعدة أخرى بالمحيط الأطلنطي، ثم يبدأ الأمر كله من جديد، ترحال بلا نهاية.. الأصدقاء يختفون؛ لأن آباءهم انتقلوا بدورهم، ربما نراهم مرة أخرى بعد عدة أشهر في مكان آخر وربما لا، معظمهم لم نرهم مرة أخرى، لم يقل أحد وداعًا، حين كنا هناك أو حين لم نكن هناك، وكبرنا أنا وجو، وتزايدَ تنقلُنا، ومع اندلاع حرب فيتنام تزايدت تنقلاتنا بسبب تدفق حركة الجيش، وأصبحت حياتنا بالكامل عبارة عن مجموعة من القواعد العسكرية المختلفة، لم نمتلك أي شيء، لم يكن مسموحًا لنا سوى بحقيبة واحدة فحسب للملابس، ظللنا سويًّا في تلك الحياة لستة عشر عامًا، وطيلة تلك الأعوام كان جو هو الشيء الوحيد الذي لم يختفِ في حياتي، الشيء الوحيد الثابت، والحقيقي، وكأخ لي فأنا أحببته بشدة، ولكنَّ عباراتٍ كتلك قد تحمل معنيين، مثلما يقول أحدهم: لقد نمت مثل الأطفال، فهل يعني هذا أنه نام بشكل جيد دون تقطع؟ أم أنه ظل يستيقظ كل دقيقة باكيًا؟.. أنا أحببت جو جِدًّا كأخ لي، وتلك العبارة تعني الكثير من الأشياء في عائلتنا الصغيرة، الحقيقة أني لم أكن متيقنًا أبدًا هل أحببته أم لا، وهو لم يكن متأكدًا أبدًا بدوره هل أحبني أم لا، لقد كان الفارق بيننا عامين، لكنه ولد في الخمسينيات وأنا في الستينيات، وفرق الحقبتين

هذا جعل من فارق العامين أمرًا كبيرًا، ومثل أي أخين كنا نضايق بعضنا البعض، وأحيانًا نُحيل حياة الآخر لجحيمٍ، مشاجرات وضرب وخلافه، ولم نعرف هل أحببنا بعضًا أم أننا ببساطة لا يطيق بعضنا البعض، ولكننا امتلكنا تلك الصفة التي تميزت بها العائلات داخل القواعد العسكرية، عائلتك هي وحدتك العسكرية، هي الأولوية في حياتك، والشيء الأهم على الإطلاق، وبسبب هذا نجم انتماء وإخلاص لايوصفان لبعضنا، وعليه فنعم أحيانًا تكره أخاك لكنك لن تترك أحدًا يعبث معه أو يضايقه، سندافع عن بعضنا، ونتكاتف سويًّا ضد الغرباء، هذا ما حظيت به مع جو، ولاء غير محدود، كنا نقف ملتصقي الأظهر في ساحة المدرسة نقاتل المتنمرين، ونجابه المتاعب سويًّا، وطيلة الستة عشر عامًا كان كل منا يحمي الآخر ويعتني به، لم تكن تلك فترة طفولة تقليدية لكنها فترة الطفولة الوحيدة التي حظيت بها، وجو كان بدايتها ونهايتها بالنسبة لي، والآن قتله أحدهم، أطاح بوجهه، وهشم عظامه، جلست صامتًا في السيارة، وهناك صوت خافت في مؤخرة رأسي يسألني عما سأفعله بخصوص هذا..

قاد فينلاي السيارة ببطء عبر شوارع مارجرايف، ثم أوقفها أمام مخفر الشرطة، ترجل ومعه روسكو من السيارة، ظللت وحدي في السيارة لوهلة قبل أن أخرج منها وانضممت إليهما، كانا يتحاشيان النظر إليَّ، فتحا الباب ودلفا للداخل، واتبعتهما أنا، جلس فينلاي على مكتبه،

واتخذت أنا من المقعد نفسه مجلسًا، جلست روسكو جواري، في النهاية قال فينلاي: أنا آسف بشدة بشأن أخيك..

هززت رأسي ولم أعلق، قال فينلاي بتعاطف: أنا مضطر لكي أسألك الكثير من الأسئلة

كنت أتفهم موقفه جيدًا.. لقد كنت في موضعه عدة مرات.. ولذا هززت رأسي.

- من هو قريب أخيك من الدرجة الأولى؟

- أنا.

ثم توقفت قليلًا وأردفت: إلا لو كان قد تزوج دون أن يخبرني..

- هل تعتقد أنه كان سيفعل شيئًا كهذا؟

- نحن لم نكن مقربين، لكني أشك أنه لم يكن سيخبرني.

- والداك متوفيان؟

- نعم.

أومأ لي فينلاي برأسه، ففعلت المثل.. وكتب فينلاي اسمي في مفكرته على أني قريب من الدرجة الأولى..

- ما هو اسمه الكامل؟

- جو ريتشر.

- لا اسم أوسط؟ وجو ليس اختصارًا لجوزيف؟

- كلا.. اسمه كان جو فحسب، مثلما اسمي هو جاك، والدنا كان يحب الأسماء البسيطة.

- حسنًا، هل هو الأخ الأكبر أم الأصغر؟

- الأكبر.

قلتها، وأعطيته تاريخ ميلاد جو..

- لقد كان يكبرني بعامين.

- إذن هو كان في الثامنة والثلاثين من العمر.

- ألديك عنوان حالي له؟

- كلا، كل ما أعرفه أنه يقطن بواشنطن.. كما قلت لك لم نكن مقربين.

- متى رأيته آخر مرة؟

- في المشرحة منذ عشرين دقيقة مضت..

هز فينلاي رأسه، وسأل برفق: قبل ذاك؟

- منذ سبعة أعوام في جنازة والدتنا..

- أتمتلك صورة له؟

- أنت رأيت كل مقتنياتي في الحقيبة إبان تفتيشها، أنا لا أمتلك صورة له..

- هل تستطيع إعطائي مواصفاته؟

- قبل أن يطمسوا ملامحه؟

- ربما تلك الأوصاف قد تساعدنا فنحن بحاجة لمعرفة من رآه قبل الجريمة، وأين، ومتى..

- كان يشبهني، ربما أطول قليلًا، وأزيد وزنًا بفارق قليل..

- وهل كان يحلق رأسه؟

- ليس في آخر مرة رأيته..

- كان هذا منذ سبعة أعوام أليس كذلك؟

تنهدت ثم قلت: ربما أصيب بالصلع، ربما كان يفقد شعره، وقرر حلق رأسه بالكامل؛ لأن شكله لم يعجبه..

- وماذا كانت وظيفته؟

- آخر شيء أعرفه أنه كان يعمل في وزارة المالية.

- مهامه الوظيفية؟

- لا أعرف.

- وما هي خلفيته؟ هل كان في الخدمة العسكرية مثلك؟

- نعم، المخابرات العسكرية.. وبعدها انتقل للعمل في الوزارة..

- وهو قد أخبرك من قبل أنه زار مارجرايف؟

- نعم، وقد ذكر لي أمر بلايك الأعمى.. لم يخبرني عن السبب الرئيسي لزيارة مارجرايف لكنه ذكر أنها البلدة التي زارها بلايك.. وربما يكون قد تُوفي بها.. أعتقد أنه من السهل اكتشاف سبب مجيئه إلى هنا..

- سنجري بعض الاتصالات بالوزارة، ونصل لزملائه ومديره ونستعلم عندما يحين الصباح.. لحين نفعل ذلك فأنت لا تمتلك أي سبب يبرر قدومه لمارجرايف؟

هززت رأسي، الحقيقة أني لا أمتلك أدنى فكرة عن سبب قدوم جو لمارجرايف، لكني أعرف من الذي يعرف السبب، بول هوبل، لقد كان جو هو العميل الحكومي الذي تحدث عنه هوبل، الرجل الحريص الذي طلب هوبل مساعدته، هوبل هو من جلب جو لمارجرايف.. وهو من يعرف السبب، والخطوة الأولى هي إيجاد هوبل..

- أنت قلت إنك لم تستطع إيجاد هوبل؟

- كلا يا ريتشر، لقد اختفى تمامًا، لا أثر له.. هو ليس بمنزله، ولم يره أحد، هوبل يعرف الإجابات كلها أليس كذلك؟

هززت كتفي، لم أرد مصارحة فينلاي بكل ما أعرفه، ولكن تلك المرة لأسباب مختلفة، أردت الاحتفاظ بالمعلومات لنفسي لأني أردت الحصول على كل شيء من هوبل بمفردي، ولم أرد لفينلاي أن يكون موجودًا

وأنا أفعل هذا، فربما يعتقد أني أضغط على هوبل بشدة للحصول على المعلومات، وبالتأكيد لم أكن لأريد ترك الأمر لفينلاي، فربما أعتقد أنه لا يضغط بشكل كافٍ على هوبل للحصول على المعلومات..

كما أن هوبل سيفضل أن يبوح بالأمر كله لي بدلًا من التحدث للشرطة، وعليه فكل ما أخبرني به هوبل سيظل سري الخاص في الوقت الراهن.. قلت لفينلاي: أنا لا أمتلك فكرة عما يعرفه هوبل.. أنت الذي قلت إنه انهار عند مواجهتك له في المرة الأولى..

نظر إليَّ فينلاي طويلًا وهو يحاول تبين إن كنت صادقًا أم لا، خمنت أفكاره بسهولة، كان يفكر في القاعدة الذهبية لجرائم القتل، كل المحققين من أمثالي وأمثاله يحفظونها عن ظهر قلب، مصدر الشك الأول عند حدوث الواقعة هم الأقارب، الأزواج، أو الأبناء، أو الإخوة.. ولا بد أنه مر بقضايا كثير مشابهة أثناء عمله في بوسطن، وأنا لم أكن على استعداد لترك قطار أفكاره هذا في التحرك بالاتجاه الخاطئ، سألته لأمنع أفكاره من الاسترسال: أنت مقتنع بحجة غيابي أليس كذلك؟

رأيته يرى أفكاري بدوره كأننا زملاء نعمل في قضية واحدة فابتسم وقال: مقتنع.. أنت كنت في تامبا عند حدوث الواقعة..

- ورئيس الشرطة مقتنع بها؟

- هو لا يعلم بعد، لم أستطع الوصول إليه؛ لسبب ما لا يجيب على هاتفه..

- أنا لا أريد لهذا الوغد البدين أن يزج بي للسجن مرة أخرى.. عليه أن يعرف أنه لن يتمكن من فعل هذا.

- حسنًا.

قالها فينلاي وحاول الاتصال بمديره مرة أخرى دون أن يتلقى ردًّا.. ثم غمغم: اليوم هو الأحد أليس كذلك؟ هو ليس في منزله كذلك على ما يبدو..

ثم أخرج دليل الهاتف، وبحث عن حرف الهاء، واتصل برقم هوبل المنزلي عدة مرات دون مجيب، زفر فينلاي وقال بيأس: أنا واثق أن هوبل يخفي الكثير، لا بد أن أجده..

رغمًا عني وافقته بإيماءة من رأسي، هو لم يرَ سوى ذعر بول هوبل يوم الجُمُعة، وهذا مؤشر لفينلاي عن معرفة هوبل للكثير من المعلومات المهمة..

- ما الذي ستفعله الآن يا ريتشر؟

- سأفكر..

نظر لي فينلاي بجدية ولكن بشكل غير عدواني في الوقت ذاته كأنه يحاول أن يستجديني في صمت عن طريق نظرات الأعين، ثم قال ببطء: دعنا نتعامل مع الأمر، أنا متفهم أنك ستشعر بالغضب وبرغبة في الانتقام.. لكن

الأمر يخص الشرطة.. وأنت رجل مدني.. اتفقنا؟

هززت رأسي له، ووقفت قائلًا: سأذهب لأسير قليلًا.

***

تركت فينيلاي ورسوكو وخرجت من المخفر، عبر الباب الزجاجي، لأسير ببطء في الشارع الأمامي بعدها، وقفت أمام تمثال آخر لكاسبر تيل مؤسس البلدة، وواصلت المشي بعدها، أي صدفة تلك التي جعلتني أنتهي في البلدة التي قتل فيها أخي؟ رغم أن الولايات المتحدة دولة عملاقة وكبيرة، ملايين وملايين الأميال وينتهي بنا المطاف في مارجرايف، صدفة قوية بحق وصعبة التصديق، وفينلاي يسديني خدمة بتصديقه لتلك الصدفة العجيبة، لو كان محققٌ آخرُ مكانه لكان عمل على تمزيق حنجرة حجة غيابي، ربما فينلاي يعمل على ذلك الآن، ربما هو يجري اتصالًا آخرَ بتامبا ليتفقد حجة الغياب، ليفعل هذا، لن يجد شيئًا، أنا في مارجرايف بسبب قرار لحظي تم اتخاذه في عُجالة، دقيقة واحدة فحسب قررت فيها النزوح للبلدة، وربما لو كنت استغرقت دقيقة أخرى وأنا أنظر للخارطة لكنت في مكان آخر الآن، أو في طريقي لأطلانطا، ولم أكن لأعلم أي شيء عما حدث لجو، وربما استغرقت أنباء مقتله سبعة أعوام أخرى لتصل إليَّ، حسنًا.. لا داعي لإهدار الوقت في التفكير في مدى قوة تلك المصادفة، الشيء الوحيد الذي يجب عَلَيَّ التفكير به هو ما الذي سأفعله بخصوص مقتل جو..

كنت في الرابعة من العمر عندما فهمت موضوع الولاء بيني وبين أخي ضد الغرباء، أدركت فجأة أن علينا حماية بعضنا من العالم الخارجي، وبعد فترة أصبح الأمر طبيعيًّا وتلقائيًّا، في طبيعتنا، كم من مرة عدوت في فناء المدرسة لأدافع عنه في شجار ما، ولكم من مرة فعل هو المثل، أو أصيح في الصبية لأبعدهم عنه، واستمر هذا الروتين بيننا لاثني عشر عامًا، ورغم افتراقنا ظلت أصداء هذا الروتين في عقلي، كل حين وآخر ينتابني هاجس « أين جو؟ عَلَيَّ حمايته ومساعدته لو كان يجابه شيئًا ما»..

والآن جو ميت، لم يعد موجودًا في أي مكان، استندت على جدار وانحنيت وأنا أستمع لصوت داخل عقلي يهمس: عليك فعل شيء ما بخصوص مقتل أخيك..

خرجتْ روسكو من مخفر الشرطة وأشعة الشمس من خلفها جعلت شعرها متوهجًا كالملائكة، رأيتها تبحث بعينيها في الأرجاء حتى رأتني مستندًا على الجدار، اتجهتْ ناحيتي وهي تسأل: أنت بخير؟

- نعم.

- متأكد؟

- أنا لست بصدد الانهيار، ربما يجب أن أنهار لكني لن أفعل هذا، أنا أشعر بالتبلد التام لكي أكون صادقًا.

كان هذا حقيقيًّا، لم أكن أشعر بأي شيء سوى حالة

من التبلد التام، وهو رد فعل غريب لكن هذا ما شعرت به، ولا يوجد مغزى من إنكاره..

تمعنتْ روسكو بالنظر إليَّ قبل أن تقول: حسنًا، هل تريد مني أن أقلك لمكان ما؟

نظرت إليها بدوري، وأنا أتساءل في قرارة نفسي، ربما يكون فينلاي قد أرسلها لمتابعتي، والحقيقة أنه حتى لو كان هذا صُلب حقيقة الأمر فأنا لم أكن لأعترض كثيرًا، لقد كانت تبدو جذابة للغاية وهي تقف أمام أشعة الشمس.

- حسنًا يا روسكو، هلا أريتيني منزل هوبل؟

فكرت هي قليلًا قبل أن ترد ببطء وتردد: أليس من المفترض أن نترك هذا الأمر لفينلاي؟

- أنا أريد رؤية منزله فحسب، أنا لن أؤذيه لو كان هناك.. ولو اتضح أن هوبل هناك سنقوم بالاتصال بفينلاي على الفور..

ابتسمت روسكو قائلة: لنذهب إذن..

سرنا سويًّا لسيارتها وأدارت هي المحرك بعدما دلفنا للداخل، قادت روسكو السيارة في الشارع الخالي، اليوم كان مشمسًا وحارًّا، والأشياء تسطع وتتوهج حولنا إثر أشعة الشمس، وعندما وصلنا لشارع بيكمان، حيث يقع منزل هوبل شعرت أننا في حي فاخر وراقٍ، هناك شعور

عام بالثراء من حولنا.. هو حلم كل رجال المبيعات في العقارات، هناك أموال لا تحصى هنا، هناك أشجار ضخمة تحيط بالبيوت، وسياج عالٍ، مداخل خاصة للمرآب، وصناديق البريد تقبع أمام الحدائق الخضراء الأمامية للبيوت، حي جميل وهادئ، ويحتوي على الكثير من القصص والأسرار، مثل الأسرار التي يخفيها منزل هوبل والتي تتضمن مقتل أخي..

توقفت روسكو بالسيارة أمام آخر منزل في الحي، لم يكن منزل هوبل كما تخيلته، كنت أتوقع بيتًا أبيضَ من طابقين فوجدت قصرًا مهيبًا فاخرًا شديد الاتساع والضخامة، كل تفصيلة بالبيت كانت باهظة الثمن، ولم أرَ سيارته «البنتلي» التي أقلته بها زوجته عند خروجه من السجن، خرجت روسكو من السيارة وقرعت الجرس الأمامي وأنا أقف خلفها، لا رد، تبادلنا نظرة سريعة ثم ذهب كلانا للجهة الخلفية من البيت، وغمغمت روسكو: يا له من بيت فاخر..

هززت رأسي وأنا أتساءل هل أتى أخي لهذا البيت من قبل لمقابلة هوبل؟

- ريتشر أنا أسمع صوت سيارة قادمة.

تراجعنا للأمام وأطللنا برأسينا لنرى السيارة البنتلي قادمة صوب الباب تقودها الشقراء زوجة هوبل ومعها طفلان، تلك هي عائلته التي يحبهم حُبًّا جمًّا لكنه لم يكن معهم..

تعرفت الشقراء على روسكو بعد نظرة من التدقيق، وحيتها ثم عرفتني الأخيرة على الزوجة التي اتضح أن اسمها شارلين، وسمحت لي بدعوتها بتشارلي، كانت فارعة القامة ذات عظام قوية ووجه رقيق، رشيقة وتبدو باهظة الثمن بدورها، وبدا لي أنها تمتلك روحًا قوية وشغوفة لدرجة جعلتني أحترمها، مدت يدها صوبي لتشد على يدي وهي تبتسم ابتسامة طويلة تحمل الكثير من الحزم خلفها..

قالت تشارلي: لم تكن تلك أفضل عطلة أسبوعية مررت بها على الإطلاق، ولكني مدينة لك بالشكر يا مستر ريتشر، فلقد أخبرني بول عن كيفية إنقاذك لحياته في السجن..

قالت الجملة الأخيرة بصوت بارد، لم تكن تلك البرودة موجهة نحوي بل صوب الظروف السقيمة التي جعلتها تستخدم كلمة زوجها والسجن في العبارة نفسها..

- العفو، أين بول؟

- لقد ذهب ليعتني ببعض الأعمال لكنه سيعود قريبًا.

كنت أعلم أن تلك خُطَّة هوبل، لقد أخبرني بها، وبدا واضحًا أن تشارلي لا تريد أن تستفيض بالحديث أمام أطفالها، نظرت إليهم وابتسمت متمنيًا أن يذهبوا للداخل ويلعبوا مثلما يفعل الأطفال لكنهم ظلوا مكانهم وبادلوني الابتسامة..

- هذا هو بين، وتلك هي لوسي..

قالتها تشارلي مبتسمة، وهي تعرفنا على الأطفال، بدا لي أنهم أطفال لطفاء، لوسي لم تمتلك صف أسناني أمامي، وشعرها الذهبي مصفف على شاكلة ضفائر معقولة خلف عنقها، بين لم يكن أكبر من أخته، له وجه جاد وملامح متناسقة، كانا مهذبين وهادئين، صافحاني ثم عادا ليقفا جوار والدتهما، نظرت إلى ثلاثتهم وشعرت بالغيمة السوداء المخيمة على تلك العائلة الجميلة، لو لم يأخذ هوبل حذره فيتسبب في مقتلهم مثلما حدث مع أخي.

- هلا دخلتما وشربتما بعض الشاي المثلج؟

تساءلت تشارلي، ووقفت مكانها منتظرة إجابتنا لدعوتها، كانت تقارب الثلاثين من العمر، وهو نفس سن روسكو، لكنها تتصرف كالأثرياء، الحقيقة أنها تتصرف مثلما كان يتصرف الأثرياء منذ مائة وخمسين عامًا مضت، قلت لها: سيسرنا هذا، شكرًا لك..

ذهب الطفلان ليلعبا في مكان ما أخيرًا، وقادتنا تشارلي عبر الباب الأمامي، لم أكن أريد شرب شاي مثلج، لكني أردت المكوث في منزل هوبل، لحين عودة الأخير، أردت الاختلاء به لخمس دقائق فحسب، ليجيب عن أسئلتي العاجلة قبل انفراد فينلاي به..

داخل المنزل كان جميلًا ورائعًا ومبهرًا كخارجه، أثاث متناسق، وزهور عدة في كل صوب، كأننا في منزل تم تصويره داخل مجلة، جلست في غرفة الحديقة جوار

النافذة وذهبت روسكو لتساعد تشارلي في إعداد الشاي المثلج، شعرت بعدم ارتياح وأنا جالس وحدي في الغرفة، لم أكن معتادًا على تلك النوعية من البيوت، ستة وثلاثين عامًا لم أقطن بهن أبدًا في بيت حقيقي، أنا معتاد على الأرائك والغرف الضيقة وصوت الطائرات العسكرية..

عادت المرأتان بالشاي، وحملت تشارلي طبقًا -حامل أقداح- فضيًّا، كانت جميلة لكنها كانت لا شيء مقارنة بروسكو، هناك وهج وبريق في عيني روسكو يجعل تشارلي امرأة خفية جوارها..

ثم حدث شيء ما، عندما جلست روسكو جواري، أزاحت ساقي لليمين قليلًا، حركة عادية، لكن بها حميمية، وتصلبت أعصابي داخل ساقي، وظلت تصيح: هي معجبة بك، هي معجبة بك.. كانت أعصابي تكرر العبارة بسبب الطريقة التي لمست بها ساقي..

استرجعت ابتسامتها وغمزتها والطريقة التي أخذت بها بصماتي في بداية الأمر، ضحكتها، عملها ليلة الجمعة والسبت لتتمكن من إخراجي من السجن، ذهابها معي لبيت هوبل، وذهابها لإحضاري من السجن، الطريقة التي أمسكت بها يدي بعدما عرفت أن القتيل هو أخي، هي أيضًا مُعجبة بي، شعرت بالبهجة للمرة الأولى بأني قد ترجلت من الحافلة اللعينة وذهبت لمارجرايف.. وشعرت بالاسترخاء والهدوء، وأني في حال أفضل.. وهدأ الصوت القادم من مؤخرة عقلي كذلك..

سأتحدث مع هوبل، لا يوجد شيء آخر أستطيع فعله لحين حدوث هذا، سوى الجلوس على تلك الأريكة، مع روسكو الفاتنة ذات القميص القطني، سأنتظر، وستبدأ المشاكل في الإعلان عن نفسها كعادتها..

جلست تشارلي هوبل أمامنا تذوب الليمون بالشاي ومزيج الرائحة ينعش أنفي، رفعت عينيها لتلتقط نظراتي وابتسمت بنفس طريقتها السابقة..

- في المعتاد كنتُ سأسألك يا مستر ريتشر عن مدى استمتاعك بزيارتك لبلدتي الصغيرة، لو كنا في ظروف أخرى.

كانت تتحدث وهي مبتسمة ولم أجد ردًّا مناسبًا لما قالته، من الواضح أن تشارلي لا تعرف الكثير عما يدور هنا، هي تعتقد أن زوجها تم القبض عليه بسبب خطأ ما، ليس لتورطه في أعمال مشبوهة، وليس لأنه تسبب في مقتل رجلين، أحد الرجلين هو أخو الرجل الغريب الجالس أمامها الآن، أنقذت روسكو الموقف وتجاذبت هي أطراف الحديث مع تشارلي، بينما جلست أنا صامتًا أرتشف الشاي وأنتظر هوبل، انتهت المحادثة بينهما بعد وهلة وتحتم علينا الرحيل، وبدأت تشارلي في التململ معلنة بطريقة لبقة أن لديها أشياء لفعلها، وضعت روسكو يدها على ذراعي، وكانت لمستها كشحنات من الكهرباء تسري في جسدي، ثم همست: لنذهب، سأقلك للبلدة..

***

كنت أشعر بقليل من الحنق أني لم أتمكن من انتظار هوبل، شعرت كأني أخون جو، وفي الآن نفسه أردت أن أكون مع روسكو وحدنا، هي تملك تأثيرًا ساحرًا بشكلٍ ما، أردت تأجيل التفكير في أمور جو للغد، وواسيت نفسي أنه لا يوجد الكثير لأفعله حتى ظهور هوبل، كنا نمر جوار تمثال كاسبر تيل عندما سألتني روسكو: أنت ستبقى هنا أليس كذلك يا ريتشر؟ لن ترحل؟ لحين اتضاح الأمور.

- نعم.

- أين ستمكث؟

- لا أعلم.

أوقفت السيارة، واعتدلت لتنظر إليَّ، وقالت برقة: أريدك أن تأتي معي لبيتي.

فاجتاحتني حماسة مفاجئة لدرجة أن ما حدث في منزلها بعد هذا كان سحرًا حقيقيًّا بيننا.. سألتني روسكو بعدها: هل تريد البقاء معي هنا في البيت أم إيجاد نزل؟

ضحكت قائلًا: الطريقة الوحيدة لتتخلصي مني هي تهديدي ببندقية، وربما ستفشل تلك الطريقة أيضًا..

- ثق بي، لن ألجأ للبندقية سأستخدم الأصفاد لتبقى للأبد.

أمضينا الأمسية كلها سويًّا، وجربت الاتصال بمنزل هوبل في السابعة، لم يعد بعد، مر الوقت ونامت روسكو إلى جواري، أغمضت عيني واستسلمت للنوم، ولم يظهر هوبل..

***

ظللت نائمًا بعد مرور التاسعة صباحًا، هذا لا بأس به، أنا بحاجة لوقت للتفكير كما أني لم أسمع رنين هاتف؛ وهذا يعني أن هوبل لم يظهر بعد، شعرت بروسكو تقوم من على الفراش وتطبع قبلة على وجنتي، ثم ذهبتْ لتستحم، نعم أنا بحاجة لوقت للتفكير، للإجابة عن تساؤلات الصوت القادم من مؤخرة عقلي الذي يسألني عما سأفعله؟ الإجابة بسيطة، سوف أقتلهم جميعًا، الذين قتلوا أخي وهشموا عظامه، مهما تطلب الأمر، كل ما عَلَيَّ فعله هو إيجاد هوبل ومعرفة من هم، لن أترك الأمر لفينلاي، هو لن يتفهم واجبي نحو جو، نعم تلك هي الكلمة، واجبي.

غفوتُ مرة أخرى وعندما استيقظت كانت روسكو قد رحلت، وتركت لي ورقة ملاحظة مكتوبًا عليها: لنتناول الغذاء في مطعم إينو، ما رأيك أن نجعله مبكرًا؟ الحادية عشرة، واترك هوبل لفينلاي.. ثم وقعت الملاحظة بعدة قبلات، ابتسمتُ ووضعت الملاحظة جانبًا ثم تمددت بحماس، وأنا أشعر بطاقة لا متناهية، سأترك الفراش وأشرب الكثير من القهوة، ثم أذهب لإيجاد هوبل، لَدَيَّ رقمه وعنوانه، وأنا لم أكن لأتركه لفينلاي، جربت

الاتصال برقم هوبل، ولم أتلقَّ ردًّا.

ذهبت وأعددت لنفسي القهوة وعيناي تتفحصان أثاث روسكو، وتفاصيل بيتها الذي شعرت أنه جذاب مثلها، أنهيت قدح القهوة وأعددت آخرَ وذهبت وجربت الاتصال بهوبل دون تلقي رد، استحممت وأعددت لنفسي المزيد من القهوة، وأنا أجري اتصالات أخرى فاشلة بهوبل.

خرجت وتجولت بالبلدة وقرابة العاشرة والنصف ذهبت لمطعم إينو بعدما مررت بمتجر الأدوات المنزلية في الشارع العمومي، وألقيت بالتحية على الحلاقين الاثنين إياهما، كانا يجلسان بانتظار أي عميل ولوحا لي بدورهما، وعندما دخلت المطعم تذكرت لحظة خروجي منه وأنا في الأصفاد بينما بندقية الشرطي ستيفينسون مصوبة نحو رأسي، وتساءلت هل سيتذكرني رواد المطعم؟ في الأغلب نعم، ماجرايف بلدة هادئة، ولا يحدث بها الكثير من الأشياء، جريمتا قتل ورجل غريب، بالطبع سيتذكروني..

روسكو كانت تجلس بالداخل، مرتدية زيها الرسمي، بدت لي كأكثر فتاة جاذبية في كوكب الأرض، اتجهت إليها وابتسمت هي، انحنيت وقبلتها ثم جلست جوارها، لمحت السائق الذي رأيته من قبل يقل زوجة كلينر -رجل الأعمال الثري- يجلس خلفنا، كان يحدق بي، أعطيته ظهري وقبلت روسكو مرة أخرى قبل أن أقول لها: هل سيفسد هذا من هيبتك كشرطية؟ رؤيتك وأنتي تقبلين

متشردًا تم اعتقاله مثلي؟

- في الأغلب.. لكني لا أهتم..

وهكذا قبلتها مرة أخرى، بينما فتى كلينر يراقبنا، كنت أشعر بنظراته على ظهري، التفت ونظرت إليه، حدق كل منا بالآخر لثوانٍ، ثم أشاح بوجهه ورحل، وقبل أن يختفي عن ناظري توقف عند الباب والتفت لينظر لي مرة أخرى ثم ذهب، وسمعت صوت محرك شاحنته يدور، ساد الصمت في المطعم بعدها، كان شبه خالٍ مثلما كان يوم الجمعة، هناك نادلتان ورجلان مسنان، كل من النادلتين شقرواتان وكلتاهما كانتا هنا يوم الجمعة، يرتديان زي النادلات، الأقصر كانت ترتدي نظارة، لم يكونا متقاربتين في الشكل لكنهما متشابهتان، كأختين أو ابنتي عم، كأنها الجينات نفسها تسري مع الجميع في تلك البلدة الصغيرة.

- لقد قررت..

قلتها فالتفتت إليَّ روسكو، أردفت: سوف أكتشف ما الذي حدث لجو ومن قتله؛ ولذا أردت الاعتذار إليك مقدمًا لو تداخل هذا معنا.

هزت روسكو كتفيها الجميلتين، وابتسمت ابتسامة يشوبها قلق إزائي..

- لا يوجد سبب ليتداخل هذا معنا، لا تقلق.

جرعت من قهوتي، كانت قهوة قوية وجيدة، مثلما كانت يوم الجمعة.

- لقد حصلنا على هُوِيَّة القتيل الثاني يا ريتشر، بصماته طابقت رجلًا تم القبض عليه منذ عامين في فلوريدا، اسمه شيرمان ستولر، هل يعني هذا الاسم أي شيء لك؟

هززت رأسي نفيًا..

- لم أسمع عنه من قبل.

هنا رن جهاز الاستدعاء الرسمي الخاص بها، المعلق في حزامها، لم أرهُ من قبل وانتبهت إليه للتو، ولكني كنت أعلم أنها مجبرة على الاحتفاظ به أثناء نوبة عملها، أغلقت روسكو الجهاز وقالت: تبًّا، هناك مكالمة عاجلة، سأستخدم هاتف السيارة

أفسحت لها مجالًا لتخرج..

- اطلب لي بعض الطعام لحين أعود، سآكل ما ستأكله.

- من هي نادلة منضدتنا؟

- ذات النظارة.

- حسنًا.

بعد وهلة كنتُ أنظر من النافذة وأرى روسكو تتحدث في هاتف سيارتها وهي منحنية، وهناك اهتمام وعُجالة

في حركتها، عادت روسكو وأخبرتني بشيء ما بسرعة ثم رحلت مسرعة وقفزت في سيارتها ورحلت، بينما ظللت أنا مكاني، أكاد لا أتنفس، خُطتي كانت تعتمد على هوبل بشكل كامل، وروسكو قد أخبرتني للتو أن هوبل قد مات.

***

الفصل الحادي عشر

جلست أحدق بشرود في النادلتين، إحداهما أطول من الأخرى، وربما تكبرها بعامين، الأقصر كانت صغيرة الحجم مقارنة بالأولى، وأجمل شكلًا، لها شعر طويل منسدل، وعيناها أكثر لطفًا خلف نظارتها، كانتا مختلفتين لكنْ كان بهما تشابه، رغم ملايين الفوارق بينهما، وعندما سألت روسكو أيهما نادلتنا قالت ذات النظارة ولم تقل الأصغر حجمًا، أو الأطول شعرًا، لم تقل الأنحف أو الأجمل، النظارة كانت الفارق الأكبر بينهما، ليس النسب التقريبية، أو النسبية كالطول، والجمال، والشعر، والجسد، كلا، وهذا ما حدث مع سبايفي نائب آمر السجن يوم الجمعة، لقد سألنا «من منكما هوبل؟» ولم يكن هناك دافع حقيقي لسؤاله، لماذا يهتم سبايفي من منا هوبل؟ لكنه سأل ورفع هوبل يده، فنظر إليه سبايفي نظرة ثعبانية ماكرة، لقد رأى أن هوبل الأقصر والأصغر حجمًا وذو الشعر الناحل، ولكن ما هو الفارق الكبير بيني وبين هوبل؟ النظارة التي ارتداها الأخير، ولا بد أن سبايفي فكر بعدها «هوبل هو الرجل ذو النظارة»، وفي اليوم الثاني عندما تعرضنا للهجوم في دورة المياه كانت نظارة هوبل قد تهشمت بالفعل، وأنا الذي كنت أرتدي نظارة الرجل زعيم العصابة الحمراء، بإمكاني تخيل سبايفي وهو يقول لهم: «اقتلوا ذا النظارة»، لقد هاجموني وهم يعتقدون أني هوبل، وهكذا فشلت محاولتهم الأولى في قتل هوبل،

لكن المحاولة الثانية نجحت، والطريقة التي هرعت بها روسكو تقول لي: إن القتل كان وحشيًّا للغاية، سيارات الشرطة تتجه لشارع بايكمان الآن، هل قتلوا هوبل وعائلته؟ عذبوهم؟ لقد كان هذا خطئي أنا، ذهبت للنادلة وقلت: هلا طلبت لي سيارة أجرة من فضلك.

الطباخ كان يراقبنا من المطبخ، ربما كان هذا هو إينو نفسه، كان رجلًا فضوليًّا وقصيرًا أسمرَ اللون وأكبر مني سنًّا.. أجاب هو بدلًا من النادلة: كلا لن نفعل هذا، أين تعتقد نفسك في فندق؟ إذا كنت تريد سيارة أجرة اطلب لنفسك واحدة، أنت غير مرحب بك هنا..

نظرت إليه بعدم تركيز وعقلي محموم بالتفكير، وضحكت النادلة، ثم وضعت يدها على ذراعي قائلة: لا تهتم بإينو، هو رجل عجوز غاضب، سأطلب لك أجرة، انتظر هنا..

انتظرت لخمس دقائق قبل أن تصل سيارة أجرة جديدة ولامعة مثل كل شيء آخر في مارجرايف، وسألني السائق بعدما ركبت: إلى أين يا سيدي؟

- شارع بيكمان.

***

مررنا بمخفر الشرطة، ومبنى المطافئ في طريقنا، لم تكن هناك سيارات شرطة رابضة أمام المخفر، كلها هناك، في منزل هوبل بلا ريب، وعندما اقتربنا من منزله في شارع بيكمان توقعت رؤية سيارة إسعاف والكثير من سيارات

الشرطة، وربما الطبيب الشرعي، لكن الشارع كان خاليًا تمامًا، ترجلت من سيارة الأجرة وسرت صوب مدخل بيت هوبل، لم يكن هناك أي صياح، أو تزاحم، ولا أضواء سيارة الإسعاف، أو أي مصورين وشرطة، ولكن تشارلي هوبل خرجت من البيت وهي تصيح: لقد اختفى هوب..

وعدتْ أمامي وهي تصيح: لقد اختفى، أنا لا أستطيع إيجاده.

نظرت إليها صامتًا؛ إذن فقد قتلوا هوبل فحسب، اقتنصوه بعيدًا عن هنا، وصاحت تشارلي: شيء خاطئ قد حدث، أنا أشعر بهذا.. بعد موضوع السجن، وكل شيء ليس على ما يرام، والآن هوب قد اختفى..

كانت تتصرف بشكل هيستيري متكامل، ولم أعرف كيف أتعامل معها..

- لقد عاد ليلة البارحة، وأخذت أنا بين ولوسي للمدرسة، والآن هو غير موجود، هو لم يذهب للعمل، أعرف هذا عن يقين لأنه تلقى مكالمة من مكتبه وأخبروه أن يبقى بالبيت، ملابسه ومحفظته ومفاتيحه كلها هنا، أين هو ها؟ عندما عُدتُ وجدتُ الباب الأمامي مفتوحًا وزوجي مختفيًا..

كنت أقف بلا حركة ولا كلام؛ إذن فقد أخذوه من بيته، بالقوة، وقتلوه، انهارت تشارلي على ركبتيها وهمست

باكية: سيارته لا تزال هنا، وهو لا يحب السير، هو دومًا يأخذ السيارة..

شعرت بهمسها يمزق شيئًا ما بداخلي، نظرت لي تشارلي وقالت راجية: ساعدنا يا مستر ريتشر أرجوك.. لقد قال لي إنك قد تساعدنا.. أرجوك.

أردت إخبارها أني لن أستطيع مساعدتها، لقد فات الأوان على هذا، لكني ظللت صامتًا، كيف أخبرها بهذا؟ ستعرف هي بعد قليل أن زوجها قد مات..

سيأتي فينلاي في الأغلب ويخبرها، ويتعامل مع الموقف بمهارات التواصل الخاصة به، هو جيد في مثل تلك الأمور.

- هل ستساعدنا؟

تنهدت، لا أريد البقاء هنا معها، سأذهب لمخفر الشرطة لمعرفة التفاصيل، تفاصيل مثل كيفية قتله والمكان، وسأعود مع فيلاي، لقد كان خطئي أنا ما حدث لهوبل؛ ولذا عَلَيَّ العودة مع فينلاي من أجل تشارلي.. قلت لها برفق: ابقي هنا، هلا أعرتيني سيارتك.

مدت يدها المرتجفة داخل حقيبتها وأعطتني المفاتيح، قدت السيارة متجهًا لمخفر الشرطة..

ركنت السيارة البنتلي بالخارج، ودخلت قسم الشرطة فرأيت بايكر، وستيفينسون، وفينلاي، ومعهم روسكو،

موريسون لم يكن هناك، ولا شرطي الاستقبال، كلهم كانوا في حالة صدمة وإعياء وتقزز ورعب، ولم يتحدث أحدهم معي، نظروا إليَّ لكنهم لم يروني، صمت مطبق ثم سارت روسكو صوبي، كانت تبكي، وقالت بصوت مرتجف وهي تحيط ذراعها بي: لقد كان الأمر مريعًا..

ولم تضف حرفًا، سحبتها برفق وأجلستها على مقعدها، وربت على كتفها ثم تركتها وسرت نحو فينلاي وأومأت له برأسي، لو كان هناك سيخبرني بما حدث فهو فينلاي، وقف ببطء وسرنا سويًّا لمكتبه، جلس هو على المقعد أمام المكتب بوهن وإرهاق وجلست أنا خلف المكتب، كأن القواعد قد انعكست، نظرت إليه، كان يرتجف، شعرت بالبرودة تسري في جسدي، لا بد أنهم مثلوا بجثة هوبل بطريقة بشعة، شعرت بالخزي من نفسي، وأنا أتذكر ما قلته لهوبل عن كونه في مأمن.

- ما الذي حدث يا فينلاي؟

نظر إليَّ بصعوبة، وبكثير من المجهود قال: ولماذا تهتم أنت؟

سؤال جيد، لا أستطيع إجابته، فينلاي لا يعرف أن هوبل قد تبادل الحديث معي؛ ولذا لن يفهم فينلاي أهمية هوبل بالنسبة لي..

- فقط أخبرني بما حدث.

- لقد كان الأمر بشعًا.

وعاد للصمت، بدأت أقلق، لقد مثلوا بجثة أخي، لكن فينلاي لم يَنْهَر بسبب هذا، الجثة الثانية أكلتها الفئران، وكان فينلاي متماسكًا بهذا الشأن أيضًا، والآن فينلاي يتصرف كأنه رأى شبحًا، أنا أقدر أن هوبل رجل محلي لكن فينلاي لم يعرف قبل كل هذا، فلماذا تلك الصدمة؟ ما الذي حدث بالضبط؟ هناك شيء خطير يجري هنا في مارجرايف، التهديد الذي تلقاه هوبل كان بشعًا بالفعل، ولكن أن يتبع هذا التهديد فعل حقيقي فهذا يعني أن اللعبة قد انتقلت لمرحلة أخرى، أي شيء يمكن أن يحدث الآن..

- أخبرني بما حدث يا فينلاي.

مال برأسه نحوي وقال: حسنًا.. تريد أن تعرف؟ لقد كان الأمر كابوسيًّا وشيطانيًّا، أبشع شيء رأيته وأنا قد رأيت الكثير من الأشياء، لقد أذوه في كل جزء من أجزاء جسده، قبل أن يصلبوه على الحائط في حالة يرثى لها، إنهم قوم سيئون يا ريتشر، قوم سيئون وأشرار بحق.

كنت أجلس في حالة شلل، وفينلاي ينتظر تعليقي، كنت أفكر في تشارلي، وأتخيلها وهي تسألنا عن الجديد، هل وجدنا زوجها؟ سيذهب فينلاي ويخبرها بما حدث لأن تلك وظيفته وعليه فعلها، ولسوف أذهب أنا معه لأن ما حدث لهوبل هو خطئي.

غمغمت: نعم.. أمر بشع!

تراجع فينلاي في مقعده، ولوح بيديه قبل أن يردف بانفعال: هذا ليس أسوأ ما حدث، عليك رؤية ما الذي فعلوه بزوجته.

- زوجته؟ عمن تتحدث؟

- أعني زوجته، لقد قتلوها كأنها حيوان في جزارة..

نظرت إليه بذهول والعالم يدور من حولي قبل أن أقول: لكني قد رأيتها للتو، منذ عشرين دقيقة أقصد، كانت بخير.

- رأيت من؟

- تشارلي؟

- من هي تشارلي بالله عليك؟

- تشارلي هوبل، زوجة بول، هم لم يقتلوها.

- ما شأن هوبل بما أقوله لك؟

حدقت بفينلاي ثم قلت: عمن نتحدث بالضبط؟ من الذي تم قتله؟

- لقد اعتقدت أنك كنت تعرف.. رئيس الشرطة.. موريسون.. وزوجته.

***

الفصل الثاني عشر

نظرت لفينلاي بعمق، وأنا أحاول تحديد هل أستطيع أن أثق به أم لا وسألته: هل ستصبح أنت رئيس الشرطة الآن؟

- كلا هم لن يجعلوني الرئيس.

- هل أنت متأكد؟

- نعم.

- لمن يعود القرار؟

- العمدة، عمدة البلدة هو مدير رئيس الشرطة، وهو من يحدد شيئًا كهذا، هو في طريقه إلى هنا الآن، اسمه تيل، رجل أعمال ثري أسس البلدة، أرستقراطي، يأتي من سلالة غنية، أسلافه كانوا أسياد السكة الحديدية إبان الحرب الأهلية.. عائلة فاحشة الثراء وذات نفوذ..

- تيل الذي أقاموا له تمثالًا في مارجرايف.

- كاسبر تيل هو الجد، حفيده هو العمدة.

كنت أشعر كأني تائه في حقل ألغام وبحاجة لمعرفة الطريق.

- وما هي قصة تيل؟

- هو وغد ثري من الجنوب، كل عائلته أوغاد أثرياء ورجال أعمال.

- هل كان منزعجًا مما حدث؟

- كان قلقًا فهو لا يحب الفوضى.

- ولماذا لن يجعلك الرئيس؟ أنت الرجل الثاني بعد موريسون.

- هو لن يفعل هذا فحسب، دعك من الأسباب.

- فينلاي، هل هناك مكان آمن وخاص بإمكاننا الحديث به؟

نظر إليَّ بتمعن كأنه أدرك شيئًا ما للتو قبل أن يسأل: أنت اعتقدت أن هوبل هو القتيل، لماذا؟

- هوبل قتل بالفعل، حقيقة أن موريسون تم قتله أيضًا لن تغير شيئًا..

***

ذهبت أنا وفينلاي للخارج وجلسنا في «سوبرماركت» به مقاعد وقهوة سريعة، جلسنا جوار النافذة، الحقيقة أني جلست حيثما جلست السيدة كلينر منذ يوم قبل أن يأتيها السائق ويقلها وهي في حالة مزرية، سألت فينلاي مجددًا فور أن جلسنا: لماذا لن يرقوك؟

كان حائرًا، وشاردًا.. قال لي: أنا مؤهل للترقية، وأمتلك الخبرة، وعليهم ترقيتي، مضيت عشرين عامًا في بوسطن وكل شيء على ما يرام، لكن هذا ليس بقسم شرطة

حقيقي، أعني انظر لبايكر بالله عليك، خمسة عشر عامًا من خبرة اللاشيء، ويعتقد أنه ذكي، هو لا يعرف شيئًا، تبًّا، كلهم لا يفقهون شيئًا..

- إذن لماذا لن يرقوك؟

- المسألة شخصية.

- أخبرني.

- لقد انتهيت من وظيفتي ببوسطن إبان شهر مارس، سجل نظيف وعشر توصيات، معاش كامل، وخطة تقاعد فعالة، ولكن زوجتي كادت تفقد عقلها منذ بداية الخريف، كان الأمر مدعاة للسخرية، عشرين عامًا وأنا أعمل في بيت مجانين، وحافظنا على الزيجة بينما كل من حولي يطلقون زوجاتهم، وعندما أتقاعد يحدث هذا، زوجتي كانت تختلف، وقد صمدت معي، كانت معجزة دون مبالغة

صمت فينلاي وفكرت أنا في كيفية مرور عشرين عامًا في بوسطن مع سياسيين فاسدين وسفاحين ومحامين مرتشين، وقد استطاع فينلاي النجاة من كل هذا..

- ومع بدء الخريف واقتراب التقاعد والحلم بالإجازة الطويلة والاستمتاع بالحياة بدأت زوجتي في الذعر، هي لم تكن تريدني أن أتقاعد، ولم ترد لنا أن نقضي الكثير من الوقت سويًّا، لم تردني بالمنزل، هي أحبتني كما كنت خلال العشرين عامًا، ولم ترد للأشياء أن تتغير، هي لم

تعد تحبني الآن، لم أصدق ما يحدث، لقد كان حلمي هو التقاعد والحياة معها، لكنها لم ترد هذا الحلم، وقالت إن إمضاء الحياة معي وأنا متقاعد تجعل جسدها يقشعر.. لا زلت لا أصدق..

كانت قصة حزينة، القصص بخصوص الأحلام الممزقة دومًا حزينة، طلبنا المزيد من القهوة، وأردف فينلاي: وهكذا تطلقنا، كان هذا مطلبها، واقتنصني الفراغ، ثم وجدت تلك الوظيفة في إعلان ما، وطلبت من صديق لي في المكتب الفيدرالي أن يتوسط لي كي أحظى بالوظيفة، رغم أنه حذرني ونصحني بعدم الذهاب، وأخبرني أن قسم شرطة مارجرايف أشبه بمجلات ميكي ماوس، أخبرني أن اللقب الوظيفي رئيس المحققين لكنه لن يوجد محققون بخلافي، وأن الرئيس رجل أحمق بدين غير كفء يدعى ماريسون، وكيف أن رئيس المحققين السابق شنق نفسه، وأن البلدة نفسها تدار بواسطة رجل أعمال جنوبي، نصحني صديقي بأن أنسى الأمر، لكني كنت في حالة يرثى لها وأردت معاقبة نفسي بشكل ما وهكذا ذهبت وحصلت على الوظيفة، قابلت العمدة تيل، ورئيس الشرطة ماريسون، كنت حطامًا، ولم أستطع قول كلمتين في المقابلة، يبدو أنها كانت أسوأ مقابلة عمل في التاريخ، لكنهم أعطوني الوظيفة، قلت لنفسي إنهم احتاجوا رجلًا أسود في الوظيفة لأسباب سياسية ليس أكثر، أنا أول شرطي أسود في تاريخ مارجرايف..

- إذن أنت ترى أنهم يرونك كدُمية ليس أكثر ولذا لن يرقوك؟

- هذا واضح للغاية، تيل يعتقد أني غبي، غير مؤهل، ودُمية كما قلت أنت، أنا لا زلت متعجبًا من كونهم قد أعطوني الوظيفة من الأساس.

كنت سعيدًا مما أسمعه، لن يصبح فينلاي الرئيس وهذا سيجعلني أثق به، هو وروسكو، سيكون ثلاثتنا في مواجهة أي كائن ما سنواجهه..

رشفت من القهوة وقلت لفينلاي: أنت مخطئ، هم لن يرقوك، ولكن ليس لهذا السبب، هم لن يرقوك لأنك لست مجرمًا.

***

نقدت الموظف ماله، وخرجت مع فينلاي، أخبرته أني أريد الذهاب لمنزل ماريسون ورؤية مسرح الجريمة من أجل معرفة التفاصيل.

تنهد فينلاي ولم يرد، ثم قال: أنا أول من دخل مسرح الجريمة، لم أرَ ماريسون منذ يوم الجمعة، لم أستطع الاتصال به ولم أره، فذهبت للبحث عنه، ذهبت لمنزله لأبحث عنه فوجدته هو وزوجته في تلك الحالة..

صمت قليلًا وهو واجم الوجه يسترجع ما حدث..

- الباب الأمامي كان مواربًا، وانتابني شعور سيئ،

دخلت البيت، وكما قلت لك شعرت وكأني قد دخلت محل جزارة، دماء في كل ركن، ماريسون مُعلق على الحائط، وكذلك زوجته، كان الأمر بشعًا، جثثهما بدأت في التعفن، بعد مرور أربع وعشرين ساعة تبدأ الجثث بالتعفن..

- إذن هما قُتلا صباح الأحد؟

- نعم، جرائد الأحد كانت ملطخة بالدماء على المنضدة، لقد تسلماها قبل مقتلهما.

- هل هناك أي أدلة؟

- نعم، آثار أقدام وسط الدماء، المنزل كله كان بحيرة من الدماء، والقتلة تركوا آثار خطواتهم في كل صوب، لكنهم كانوا يرتدون أحذية جلدية، كالأحذية التي تُرتدى في القطب الشمالي، لا يوجد سبيل لتتبعهم، تلك الأحذية تباع بالجملة وبملايين الشحنات..

إذن فقد أتوا مستعدين، وهم يعلمون أنهم سيتسببون في إنشاء بحيرة دماء، فأحضروا تلك الأحذية، وأغطية من «النايلون» وأقنعة بلاستيكية، بإمكاني تخيل كل شيء كما حدث في مسرح الجريمة، في منزل ماريسون، انتبهت على صوت فينلاي وهو يتابع: ارتدوا قفازات كذلك، هنالك آثار قفازات في الدماء على الحائط.

- كم كان عددهم؟

- أربعة، الآثار مختلطة ولكني أعتقد أنهم أربعة.

نعم، أربعة يبدو كرقم مناسب، كحد أدنى، لا بد أن ماريسون وزوجته قد قاتلا من أجل حياتهما، سيحتاج الأمر لأربعة للتغلب عليهم..

- وماذا عن سيارتهم؟

- لا أعلم، ربما شاحنة، هناك آثار طمستها الأمطار، أعتقد شاحنة، شاحنة صغيرة.. أربعة إطارات تقريبًا.

وصلنا لمنزل ماريسون، على بعد مئة ياردة من الشارع العمومي، كان بيتًا رسميًّا وكبيرًا، وهناك سيارة لينكولن راكنة أمامه، سألني فينلاي بتردد: هل سندخل؟

- لم لا؟

***

لم يجبني، ودخلنا منزل ماريسون سويًّا.

انحنينا ومررنا أسفل أشرطة عدم الاقتراب حول المنزل، داخل المنزل كان حطامًا، كل شيء مبعثر ومهشم وسمعت فينلاي يقول في العتمة: لن تجد شيئًا هنا.

أومأت برأسي وأنا أتجه للسلم وأصعد للطابق الثاني، ومن هناك ذهبت مرورًا بالردهة لغرفة النوم، توقفت قبالة الباب قبل أن أدخل، لم يعد هناك سوى آثار المسامير في الحائط، والدماء الداكنة، ورأيت آثار أقدامهم وسط بركة الدماء، عدت للأسفل حيث فينلاي الذي سألني: حسنًا؟

- كما وصفت، هل بحثت في سيارة ماريسون عن أدلة؟

- لا شيء بها كما أن المهم هو الأدلة التي تركها القتلة وليس القتيل.. ذهبت للسيارة وفتحت بابها الموصد قبل أن أدلف إليها وأبحث، تلك سيارة ماريسون وهذا يعني الكثير من شطائر البرجر، وعلب المياه الغازية، لم أجد شيئًا في البدء، ثم وجدت مطواة سويسرية عندما فتحت الدرج الأمامي، قلبتها قبل أن أضعها في جيبي، لربما تكون مفيدة.

- هل وجدت شيئًا؟

- كلا، لنذهب.

عدنا للبلدة، ولمحت التمثال البرونزي الخاص بـ «تيل» ينتظرني.

***

الفصل الثالث عشر

- فينلاي، هناك شيء أنا بحاجة لمعرفته منك.

- فقط لا تهدر وقتي.

كاد صبر فينلاي ينفد ونحن في طريق العودة، ثم تنهد ونظر أمامه، كنت أتساءل في تلك اللحظة عن كيفية ارتداء فينلاي لسترة في هذا الجو الحار، وكنا نمر جوار تمثال تيل عندما قلت: لقد قطعوا ما بين ساقيه وأصابعه كلها أليس كذلك؟

أومأ فينلاي برأسه، ونظر لي منتظرًا فأردفت: حسنًا، السؤال هو.. هل وجدت أصابعه؟

- كلا، لم نجدها.

وابتسم قليلًا وهو يقول الجملة الأخيرة، مستعيدًا روح الفكاهة إياها الخاصة بالشرطة في مثل تلك المواقف لمجابهة بشاعة الموقف، «حسنًا يا فينلاي هذا ما احتجت لمعرفته».. كان لا يزال مبتسمًا، وسألني: لماذا؟ هل تعرف أين هي؟

- متى سيتم التشريح؟

- التشريح لن يفيدنا في شيء يا ريتشر، أصابعه مفقودة، لن نجدها في التشريح.

- لم أقصد تشريحه هو بل زوجته، عندما يتفقدون ما

أكلته.

تلاشت ابتسامة فينلاي، وصمت وهو ينظر إليَّ قبل أن يهمس بحزم: تحدث يا ريتشر.

- فقط أجبني عن سؤال آخر الأول، كم من جريمة قتل حدثت في مارجرايف قبل كل هذا؟

- ولا جريمة، ليس في الثلاثين عامًا الأخيرة على الأقل.

- والآن لديك أربع جرائم قتل وفي الأغلب ستكتشف الخامسة عما قريب.

- من الخامس؟

- بول هوبل، هناك أخي جو، وشيرمان ستولر «القتيل الثان»، وماريسون وزوجته، سيكون هوبل هو الخامس.. لا جرائم قتل في ثلاثين عامًا والآن لديك خمسة. تلك ليست بمصادفة أليس كذلك؟

- من المستحيل أن تكون مصادفة، كل الجرائم مرتبطة ببعض.

- سأخبرك بكيفية ارتباطها ولكن في البدء عليك أن تفهم أني كنت عابر سبيل فحسب، قبل أن أكتشف أن القتيل الأول هو أخي أنا، لم أكن أُعير الأمر أي انتباه حقيقي، وكنت أنتظر الرحيل من ماجرايف في أقرب فرصة.

- وبعد؟

- وبعد.. فلقد أخبرني هوبل ببعض الأشياء في السجن، أشياء لم أُعيرها انتباهًا في البداية، وربما لن أتذكرها جميعًا.

- أي أشياء تلك؟

أخبرته بكل ما قاله لي هوبل، وحكيت له بنفس طريقة هوبل في السرد، بدأت بكونه متورطًا في دائرة من الخطر، شيء يهدده ويهدد عائلته، وأخبرته عن تفاصيل التهديد، وهو نفس ما حدث لماريسون وزوجته..

- أنت متأكد من التهديد هو بالضبط ما حدث لماريسون؟

- حرفًا بحرف.. صَلب على الحائط، وقطع أعضاء وأصابع، ولا يوجد مصادفة في الأمر.. كل شيء مرتبط ببعضه.

- إذن ماريسون كان متورطًا في الأمر مثل هوبل.

- نعم، وكما قلت لك، فإن هوبل تحدث لعميل حكومي وهو أخي، وتخميني أن أخي توصل لشيرمان ستولر، القتيل الثاني.

- أي نوع من العملاء الحكوميين كان أخوك؟

- محقق.

- ولمن كان يعمل؟

- لا أعلم، آخر ما سمعته أنه كان يعمل في وزارة المالية.

- عَلَيَّ إجراء العديد من الاتصالات إذن.

- انتظر أنا لم أنتهِ بعد.

كان فينلاي يقف على الرصيف، شارد الذهن ومحموم التفكير في حين وقفت أنا بمنتصف الشارع، لم يكن هناك سيارات من حولي لأقلق بشأنها، في تلك اللحظة شعرت أن بلدة مارجرايف خالية ومهجورة، قلت لفينلاي: أسئلة عدة تدور بذهنك.

- كيف تعرف أن هوبل قد مات؟ لأنه وشى بهم للمحقق؟ لأخيك؟

- كلا، هم لم يعرفوا هذا الشأن ولو كانوا عرفوا لكانوا قتلوه في وقت سابق، ربما لكانوا قتلوه يوم الخميس قبل الزج به في السجن، تخميني أنهم اتخذوا قرار قتله يوم الجمعة، في الخامسة مساءً، كيف أعرف هذا؟ لأنه حينذاك هم عرفوا أنك وجدت اسمه في حذاء جو وهم لم يكونوا على استعداد للمخاطرة بحديث هوبل مع السلطات، فقاموا بتدبير أمر التخلص منه مع سبايفي، نائب مأمور السجن، ولكن رجال سبايفي فشلوا في مهمتهم، فقرروا أن يحاولوا مرة أخرى، زوجته قالت لي إنه تلقى مكالمة للبقاء في المنزل، وفيما يبدو أن محاولتهم الثانية قد نجحت..

-لقد كان هوبل هو خيطنا الوحيد في تلك القضية اللعينة.. تبًّا.. أنا المسؤول عن اختفائه.

- شكرًا يا فينلاي، أعلم هذا جيدًا، لكن كما قلت لك الأمر لم يكن يعنيني حينذاك، لو كنت أعلم أن جو ميت لكنت استجوبت هوبل بشدة ولما تركته يفلت.

نظر لي دون تعبير وكلام وسرنا سويًّا، أردفت: لقد سألته عن معنى كلمة بلوريباس، ولم يعطني إجابة.. لكنه أخبرني أنهم عشرة رجال المسؤولون عما يحدث، ومعهم جنود، أو مرتزقة يعملون لديهم، وأن شيئًا ما سيحدث يوم الأحد..

- أي شيء؟

- لم يخبرني يا فينلاي.

- هل أخبرك بهوية العشرة؟

- كلا.

-يا إلهي يا ريتشر.. أنت لم تفدني على الإطلاق.

- آسف.. لقد كنت أعتقد أن هوبل مجرد أخرق، لو أتيحت لي الفرصة لاستجوبته بشكل مختلف.

كرر فينلاي بشرود: عشرة أفراد.

- دون أن يحسب نفسه معهم، ولا شيرمان ستولر القتيل الثاني، لكني أفترض أنه حسب رئيس الشرطة ماريسون كواحد منهم.

- رائع إذن أمامي تسعة للكشف عن هويتهم.

- ستجد أحدهم اليوم.

***

واصلنا السير ولمحت الشاحة السوداء التي رأيتها من قبل مرتين، والفتى ابن كلينر يقودها، كان يحدق بي مثلما فعل بالمطعم ولم يره فينلاي، أدرت رأسي وغمغمت: عليك التفكير بمدى تورط ماريسون وما حدث له..

- نحن نعلم ما الذي حدث له، لقد قتلوه.

- ولكن لماذا؟ ما المغزى من قتله؟ أي رسالة قد وصلتك من وحشية الجريمة؟

- لقد كانوا يجعلون منه عبرة..

- بالضبط، فما هو الشيء الخاطئ الذي ارتكبه ليستحق ما فعلوه به؟

- أفسد شيئًا ما يخصهم.

- صحيح مرة أخرى، تخميني أنهم أعطوه مُهِمَّة بسيطة وهي التستر على جرائم القتل في المخزن، لقد كان هناك في المخزن عند منتصف الليل بالمناسبة.

- حقًّا؟ أنت قلت إنه كان يكذب.

- لقد كان يكذب بشأن رؤيتي هناك، لكن هذا لا ينفي تواجده وقد رأى جو..

- كيف تعرف هذا؟

- لأن أول مرة رآني بها كان يتصرف كأنه قد رآني من قبل، لكنه لا يستطيع تحديد أين ومتى والحقيقة أنه كان يخلط بيني وبين جو للتشابه بيننا، هوبل نفسه أخبرني أني أذكره بالمحقق الذي استعان به؛ لأن هذا المحقق ببساطة كان أخي.

- إذن ماريسون كان في المخزن، هل هو من قتلهم؟

- لا أظن هذا على الإطلاق، جو كان ذكيًّا ولم يكن ليتمكن منه رجل أخرق مثل ماريسون، القاتل كان شخصًا آخر، كما أن ماريسون لم يكن ليتحمل كل هذا الضغط العصبي ولربما أصابته سكتة قلبية بينما إصبعه يعتصر الزناد، كلا، القاتل كان شخصًا آخر، وماريسون كان الرجل الثالث في العملية، المسؤول عن التنظيف بعد الجريمة، إلا أنه لم يؤدِ مهمته بشكل كامل وغفل عن تفتيش حذاء جو، وبسبب هذا تم الكشف عن اسم هوبل في الأمر، وهذا قد أثار حفيظة وغضب التسعة الآخرين، الآن عليهم التخلص من هوبل بسبب انكشاف تورطه في الأمر، وعليه فلقد نال ماريسون عقابه بسبب فشله في أداء مهمته البسيطة.

- ويا له من عقاب.

- ورسالة تحذير كذلك.

- لكنها ليست موجهة لي..

- إذن إلى من؟

فكر فينلاي قليلًا ثم أجابني: للكائن الذي سيتولى منصب ماريسون من بعده.

- صحيح، والآن اسألني لماذا أنا كنت قلقًا بشأن توليك منصب ماريسون؟

- ها؟ ماذا؟ يا إلهي أنت تعتقد أن رئيس الشرطة الجديد سيكون فاسدًا ويعمل لديهم.

- بالطبع، هم لم يتركوا ماريسون يعمل لديهم بسبب شخصيته الجذابة، ولكن بحكم وظيفته، من المفيد أن يعمل لديهم رئيس الشرطة؛ وبالتالي سيكون الأمر ذاته مع البديل الجديد، وهذا الرئيس الجديد سيكون مصدر خطر بالنسبة إلينا، سيتولى المنصب وفي ذهنة مشهد جثة ماريسون وزوجته، سيكون أحدهم قد همس إليه بالفعل «أرأيت ما الذي فعلنا بماريسون؟».. «هذا ما سنفعله بك لو لم تكن فتى مطيعًا».

- إذن من هو؟ من الذي سيكون الرئيس الجديد؟

- لا أعلم، هذا ما كنت أسالك عنه.

جلس كلانا على منضدة استراحة في الشارع، تاركين أشعة الشمس تتوغل لروحنا، غمغمت: أنا وأنت وروسكو.. تلك هي دائرة الأمان، علينا أن نفترض أن الآخرين كلهم متورطون.

- لماذا روسكو؟

- أسباب عدة، أهمها أنها عملت باجتهاد لإخراجي من السجن، في حين أراد ماريسون باستماته تلفيق التهمة لي، لو كانت روسكو متواطئة معهم لكانت تركتني أتعفن هناك، لكنها أخرجتني يا فينلاي.. لقد عملت ضد التيار الخاص بماريسون وتوجيهاته..

- حسنًا.. نحن الثلاثة فحسب إذن.. أنت رجل حريص يا ريتشر.

- بإمكانك أن تراهن بحياتك على هذا، بالطبع أنا حريص، القوم يتم قتلهم من حولنا وأحدهم كان أخي.

- وما الذي سنفعله الآن؟

قالها وهو يقف وفعلت أنا المثل، الفتى ابن كلاينر كان يترجل من الشاحنة، بعدما أطفأ المحرك ويسير باتجاهي.. فرك فينلاي يديه كأنه يغسلهم بالماء واعتلى وجهه تعبير تفكير محموم، قلت له: عليك إبلاغ روسكو بكل المستجدات، كل شيء وأخبرها أن تكون حذرة، والاتصال بواشنطن لمعرفة ما الذي كان يفعله جو هنا..

- وماذا عنك أنت؟

أشرت لكلاينر وقلت: سأتحدث مع هذا الفتى، هو لم يبارح عينيه عني..

حدث شيئان مع اقتراب كلاينر، أولهما أن فينلاي ابتعد في عُجالة، ووقف شمالًا دون أن ينطق بحرف،

وسمعت نافذة الحلاق تنفتح والأخير يطل برأسه منها ليشاهد ما الذي سيحدث، ثم عاد للداخل وأغلق النافذة، وقف الفتى أمامي، كان صُلب الجسد، وهناك لمعة ذكية في عينيه، ولكن كان هناك شيء آخر في عينيه بخلاف كل هذا الذكاء، نظرة مجنونة ومتشوقة للعنف، قال لي: أنت تتخطى حدودك.

- لم أعرف أنك تمتلك هذا الرصيف.

- أنا أمتلكه، البلدة كلها تخص والدي، لكني لا أتحدث عن الرصيف، أنا أتحدث عن روسكو.. هي ملكي أنا.. أتسمعني؟ روسكو تخصني منذ وقعت عيناي عليها.. وقد كان هذا من خمسة أعوام.. وهي تنتظرني طيلة هذا الوقت لحين يكون التوقيت صحيحًا..

حدقت به ثم همست: أتفهم الإنجليزية؟ حاول أن تفهم جَيِّدًا ما سأقوله لك.

تحفز الفتى، كان يتحرك من قدم لأخرى.. تابعت: أنا رجل منطقي، لو روسكو أخبرتني أنها تريدك أنت بدلًا مني سأرحل، ولحين أن تفعل هي هذا إليك عني، أفهمت جَيِّدًا ما قلته لك للتو؟

كان قد وصل لمرحلة الغليان، ثم فجأة كأنه تغير بواسطة جهاز تحكم آلي ضغطه أحدهم، هدأ تمامًا وابتسم قبل أن يهز كتفيه ويقول بصبيانية: حسنًا، لا ضغينة.

ثم مد يده صوبي ليصافحني، وللحظة كاد يخدعني، بعد أن

مددت يدي إليه، إنها خدعة جيش قديمة، يمدون أيديهم إليك، فتشد عليها فقط ليضغطوا على أطراف أصابعك ويهشمونها، تحدي رجولة من نوع مختلف، من الذي سيسحق يد الآخر؟ وقد قبض الفتى على يدي محاولًا فعل هذا، لكنه لم يمتلك فرصة للنجاح، لقد كان يثبت يده ويحاول سحق يدي بشكل مستقيم، ما فعلته أنا هو لوي يده قبل أن أسحب أصابعي من بين قبضته، وأمد يدي بسرعة مرة ثانية لأقبض على أصابعه وأسحقها وأنا أحدق في عينيه، ثم فلتُ يده واستدرت مبتعدًا دون أن أعبأ بردة فعله، ومن خلفي سمعت صوت محرك شاحنته يدور.

***

الفصل الرابع عشر

أمام مخفر الشرطة ركنتْ سيارة لم أرها من قبل، كاديلاك جديدة، بالداخل كان الكل ملتفًّا حول رجل فارع القامة ذي شعر أشيب، يرتدي حلة فاخرة كلاسيكية، بدا كوغد حقيقي، وغدا أنيقًا ولا يبالي بأحد، كرجل سياسة، في حين سائق الكاديلاك كان رجلًا عجوزًا ربما في العقد السابع من عمره، أعرج وينزوي في الركن، عدت بناظري للرجل الأنيق، لا بد أن هذا هو عمدة البلدة، العمدة تيل.

خرجت روسكو من مكتبها، كانت شاحبة ومرتعدة بعدما رأته في منزل ماريسون، حيتني بإيماءة وأشارت إلي مبتسمة أن أدخل مكتبها، ألقيت نظرة أخرى على العمدة تيل، ثم ذهبت بعدها لمكتب روسكو، سألتها: أنت بخير؟

- لقد مررت بأيام أفضل.

- هل أخبرك فينلاي بالمستجدات؟

- نعم.. لقد أخبرني فينلاي بكل شيء.

دخلنا المكتب ووجدت فينلاي يجلس أسفل الساعة المعلقة على الحائط، الرابعة إلا ربعًا عصرًا، نظرت لفينلاي وقلت: من الذي سيحصل على وظيفة ماريسون؟

- لا أحد، العمدة تيل سيدير قسم الشرطة بنفسه.

ذهبت للباب وأطللت برأسي لأنظر لتيل مرة أخرى،

كان يُبكت بايكر أمامه ويوبخه بسبب شيء ما.. شاهدتهما لوهلة قبل أن أعود وأغلق الباب..

- وما هو رأيكما؟

- أعتقد أن البقية غير متورطين في الأمر.

قالت روسكو، وافقتها ثم أضفت: وهذا يعني أيضًا أن تيل متواطئ معهم.

- وكيف نعلم أنه متواطئ فحسب؟ ربما هو من يدير الأمر كله.. ربما هو الزعيم الكبير.

- كلا، لقد قام الزعيم الكبير بالتمثيل بماريسون وزوجته ليرسل رسالة للرئيس الجديد، لن يرسلها لنفسه، تيل يعمل لديهم.. ولديه خطتهم التي يعمل على تنفيذها.

- هذا واضح.. ولقد بدأ في تنفيذها بالفعل، أخبرنا أن نترك قضية مقتل جو وستولر، ونركز كل جهودنا في قضية مقتل ماريسون وزوجته، بأنفسنا دون طلب مساعدة خارجية، لا من مكتب تحقيق فيدرالي ولا من شيء من هذا القبيل، أخبرنا أن عِزة وكبرياء القسم على المحك، وأكد لنا أن قاتل ماريسون رجل خرج مؤخرًا من السجن، بلطجي وضيع أو شيء كهذا، شخص زج به ماريسون في السجن من قبل وبهذا يكون الدافع هو الانتقام، لقد وجهنا جميعًا صوب زقاق أعمى(4) .

أضافت روسكو بعدما انتهى فينلاي: ويا له من طريق

مسدود قذر الذي وجهنا إليه، علينا البحث في سجلات تعود لعشرين عامًا مضت لنجد القاتل الوهمي الذي خرج من السجن، وفتك بماريسون طلبًا للانتقام، سيستغرق الأمر أشهرًا من تحقيقٍ عديم الجدوى..

تنهد فينلاي ونظر للسقف وهو يقول: الأمر أسوأ من مجرد طريق مسدود، هو يعلم أننا نعلم أنه قد أرسلنا لنطارد الوهم.. ويعلم أننا لن نستطيع فعل شيء إزاء الأمر.

- ألا تستطيعوا تجاهله وفعل الشيء الصحيح؟ الشيء الذي يتوجب على المرء فعله.

- كلا، نحن نعمل تحت سلطة العدو الآن، علينا التظاهر بالغباء والبراءة، وأننا لا نعرف شيئًا عما يدور حقًّا حتى لا نثير شكوك تيل.. كما أني بحاجة لتوقيعات لو احتجت لتصاريح أو مذكرات تفتيش يا ريتشر والتحقيق الحقيقي سيتطلب هذا.

هززت كتفي مجيبًا: أنا لا أنتوي استخدام مذكرات تفتيش، هل اتصلت بواشنطن؟

- نعم، وسيردون عَلَيَّ، ادعُ الله ألا يُجيب عليهم تيل بدلًا مني.

- أنت بحاجة لمكان آخر لإتمام عملك، ماذا عن زميلك في أطلانطا؟ الذي يعمل بالمكتب الفيدرالي.. هل تستطيع استخدام مكتبه؟

فكر فينلاي قليلًا قبل أن يهز رأسه: ليست فكرة سيئة... سأطلب منه هذا بشكل غير رسمي طبعًا، لا فرصة لجعل تيل يرسل طلبًا رسميًّا بهذا طبعًا، سأتصل بزميلي من المنزل، اسمه بيكارد وستحبه، هو من نيو أورلينز، رجل ضخم ورائع وذكي.. شديد الصلابة كذلك..

- فقط أخبره أنك بحاجة لإبقاء الأمر طي الكتمان.. نحن لا نريد العملاء الفيدراليين يصلون حتى نكون مستعدين.

سألتني روسكو: وما الذي ستفعله بخصوص تيل؟ ولسان حالها يقول: وأنت تعلم الآن أنه يعمل لدى من قتلوا أخاك.

- يعتمد على مدى تورطه، هو لم يقتل جو بنفسه.

- كيف تعرف هذا؟

- تيل أعرج، يتحرك ببطء، لن يسحب مسدس أبدًا بسرعة، وهو لم يكن من ضرب الجثة كذلك، هو متقدم بالعمر، وهو لم يكن الثالث لأن هذا كان ماريسون، لكن لو حاول تيل العبث معي سأجعله يدور حول نفسه في بركة من الوحل..

تنهدت روسكو وقالت: وما الذي سنفعله الآن؟

تبادلنا النظرات في صمت وعقارب الساعة المعلقة على الحائط تدور، ثم قال فينلاي: مفتاحنا هو يوم الأحد، كما

قال لك هوبل هناك شيء مهم سيحدث يوم الأحد ويحل مشكلة لهم، ووضعهم لتيل هنا يبدو كأنه أمر مؤقت، الرجل في الخامسة والسبعين من العمر، دون أي خبرة بعالم الشرطة، حل مؤقت فحسب منهم، لحين مرور يوم الأحد..

رن جهاز الاستدعاء على المكتب، وأتى منه صوت ستيفينسون يبحث عن روسكو، خرجت هي بعدما فتحتُ لها الباب لكنها توقفت كأنها فكرت في شيء ما للتو قبل أن تقول: وماذا عن سبايفي؟ نحن نعلم أنه متورط بسبب ما حدث في السجن، هو الذي رتب قصة الهجوم على هوبل هناك بحكمه نائب مأمور السجن، هو خيط مهم..

- ربما.

خرجت روسكو وأغلقت الباب من خلفها فقال فينلاي: سبايفي مضيعة للوقت، لن يخبرك بشيء.

ابتسمت بثقة

- لو كان يعرف شيئًا فلسوف يخبرني، الأمر كله متمحور في طريقة السؤال.

- اعتنِ بنفسك يا ريتشر، كن حذرًا، لو شعروا أنك تقترب مما عرفه هوبل فلسوف تلقى مصيره نفسه.

تذكرت تشارلي وأطفالها، وسرتْ رجفة بجسدي، ربما سيشعرون أن تشارلي تعرف شيئًا ما، ربما أخبرها هوبل،

لا بد أنهم سيفكرون في هذا، ولسوف يتخلصون منها، هي وأطفالها.. سيتخلصون من الأطفال من باب الحرص ليس أكثر..

كانت الساعة الآن الرابعة، والأطفال قد خرجوا من المدرسة دون ريب، لعل القتلة في طريقهم لمنزلهم وهم يرتدون الأحذية المطاطية، والسكاكين الحادة في أغمدتهم، ومعهم المسامير والمطرقة..

- فينلاي.. اتصل بزميلك من المكتب الفيدرالي الآن، بيكارد اسمه أليس كذلك؟ اتصل به.. أخبره أننا بحاجة للمساعدة.. علينا حماية زوجة هوبل وأولادها، أعطه تلك المهمة وليأخذهم لمكان آمن.

- بالتأكيد، اذهب أنت إليها الآن واربض هناك لحين وصول بيكارد، سأتصل به.

ورفع سماعة الهاتف ليتصل ببيكارد الذي كان يحفظ رقمه مسبقًا في حين رحلتُ أنا مسرعًا لمنزل تشارلي..

***

خرجتُ من المكتب واتجهتُ صوب روسكو التي كانت تجلس بينما العمدة تيل يعطيها عدة ملفات سميكة، جذبتُ مقعدًا وجلست جوارها وسألت: متى ستنتهين من نوبة عملك؟

- في السادسة لو لم أتأخر.

-لا تنسي إحضار الأصفاد معك للمنزل.

أجابتني بدلال:

- أنت أحمق يا جاك ريتشر.

تيل كان يراقبنا؛ لذا ودعتني ثم خرجت، واستقللت السيارة البنتلي، الشمس تغرب ببطء وعجلات السيارة تنطلق، وبدأت ظلال الليل في الإعلان عن نفسها، بدا أن موسم الخريف قادم في تلك اللحظة، كنت أدير مقود السيارة عندما سمعت صيحة، أحدهم يناديني، التفت فوجدت تيل وقد خرج من المخفر في إثري، بقيت مكاني وهو ينادي مرة أخرى، وجعلته يأتي إليَّ، كان يعرج ويستند على عكازه، عرفني بنفسه وشد على يدي، أخبرني أن اسمه جروفر تيل، كان يبتسم بشكل زائف للغاية، بطريقة رجال السياسة في الابتسام التي تشعرك أن فهم منارة وضوءها يبحث في الأرجاء عن صيد سهل، بدا متحمسًا للغاية للحديث معي بطريقته المتكلفة..

- أنا سعيد أني التقيت بك، لقد أخبرني الرقيب بايكر عما حدث، ونحن نأسف بشدة لما حدث، تلك الغلطة التي ارتكبناها عندما وجهنا لك التهمة، كما أننا آسفون بشدة لما حدث لأخيك، وسنخبرك بكل المستجدات في التحقيق طبعًا، أردت أن أقول لك هذا فحسب قبل أن ترحل.. ولسوف أكون ممتنًا بحق لو قبلت اعتذاري نيابة عن قسم شرطة مارجرايف.

- حسنًا يا تيل، ولكن لماذا تفترض أني سأرحل؟

أجابني بدون لحظة تردد: لقد فهمت أنك عابر سبيل، نحن لا نمتلك نزلًا في مارجرايف، ولم أتوقع أنك تريد البقاء هنا.

- أنا باقٍ هنا.. لقد تلقيت عرضًا كريمًا بحسن الضيافة، هذا ما يشتهر به الجنوب أليس كذلك؟ حسن الضيافة..

نظر إليَّ قليلًا بوجه ودود بشكل مريب وأجاب: بالطبع.. هذا أمر حقيقي دون شك.. الجنوب بأكمله وجورجيا بالأخص، وفي مارجرايف حسن الضيافة من شيمنا، ولكن كما تعلم مع كل الأشياء التي حدثت مؤخرًا، فنحن نجد أنفسنا في معضلة حقيقية، ربما سيناسبك فندق في أطلانطا أو ماكون، وبالطبع كما أخبرتك سابقًا سنتواصل معك ونخبرك بكل ما هو جديد، وسوف نساعدك في كل تكاليف وتفاصيل جنازة أخيك لو أحببت، عندما يحين موعد تلك المناسبة الحزينة، لكن الآن وهنا في مارجرايف ومع كل ما يحدث لا أعتقد أن بقاءك ستكون فكرة مستحبة، الرقيب روسكو لديها الكثير من الأعمال، ولا يجب تشتيتها على سبيل المثال..

- لن أشتتها، أعلم أنها تقول بعمل حيوي ومهم.

نظر إليَّ دون تعبير وتلاقت أعيننا.. لم يكن بنفس طولي، ظل يرفع رأسه لأعلى، وشعرت أنه سيدق عنقه لو واصل التحديق بهذا الشكل، ابتسمت له ورحلت

بالسيارة، قلت له وأنا أبتعد: أراك لاحقًا يا تيل..

***

وقت انتهاء اليوم المدرسي كان الأكثر زحمة في مارجرايف، وجدت الشوارع مكتظة من حولي بالمارة، بالآباء وأبنائهم، وكان سائقو حافلات المدرسة منتشرين في الشارع العمومي والميدان والأزقة الجانبية، ثم رأيت تجمهراً من القوم أمام الكنيسة، كان هناك قسيس يقدم عظة سريعة فيما يبدو، أدرت المقود حيث شارع بيكمان ووصلت لمنزل هوبل.

جلست في السيارة أفكر لثوانٍ، المشكلة في تحذير تشارلي تكمن في عدم معرفتي بالقدر الكافي من المعلومات الذي أردت إعطاءه إياها، بالتأكيد لم أكن لأخبرها بكل شيء، ولم أرتح لفكرة إخبارها بأن زوجها ميت، قتله أحدهم بعدما جره خارج بيته، لكني لم أرد إبقاءها في الظلام للأبد، هي بحاجة لمعرفة بعض المعلومات، وإلا لم تكن لتستمع لتحذيري، ركنت السيارة وترجلت ورننت جرس الباب وطفقت أنتظر، سمعت جلبة الأطفال بالداخل، وبعد ذلك سمعت مقبض الباب يدور قبل أن تطل عَلَيَّ تشارلي من خلفه، كانت تبدو مرهقة بشدة، على عكس الطفلين الذين ظهرا في غاية السعادة والانطلاق، لم يلتفتا فهما لم يشعرا بمخاوف أمهما بعد، طاردتهما في المنزل قليلًا وأنا أنتظر وزعقتْ فيهما ليجلسا صامتين، تبعتها للمطبق في صمت، كان مطبخًا واسعًا من الطراز الحديث،

أعدت لنفسها ولي بعض القهوة، وبدا واضحًا عليها أنها بحاجة ماسة للحديث، لكنها كانت تواجه مشكلة في كيفية البدء، سألتها بلطف: ألا تمتلكين خادمة؟

- كلا، أنا أحب الاعتناء بالأشياء بنفسي..

- إنه منزل كبير.

- أنا أحب أن أكون مشغولة.

صمتنا نحن الاثنان بعدها، ذهبت وجلست على مقعد مجاور للنافذة، قالت لي من موقعها: لقد سمعت عما حدث لآل ماريسون.. هل زوجي متورط فيما حدث؟

فكرت قليلًا فيما يجب إخباره لها، في حين ظلت هي تنتظر إجابتي، والقهوة تغلي في إنائها..

- نعم يا تشارلي، أخشى أن زوجك كان متورطًا فيما حدث لماريسون وزوجته، لكنه لم يبغ التورط، هناك ابتزاز تعرض له زوجك بشكل ما.

تقبلت كلامي بشجاعة ودرجة عالية من الاستعداد، لقد كانت متأهبة للحظة الحقيقة، لا بد أنها مرت بكل الاحتمالات داخل عقلها، وهذا هو التفسير الذي توقعته، لهذا لم تبدُ مندهشة أو في حالة إنكار لما قلته لها للتو، بدت مسترخية، أو مرتاحة لفكرة سماع صوت شخص يقول لها الحقيقة بخلاف أفكارها.. همست تشارلي وهي تجلس: للأسف ما تقوله منطقي..

رشفت من قهوتها، وواصلت: هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لسلوك بول، هل هو في خطر؟

- أنا حقًّا لا أمتلك أدنى فكرة عما حدث له ومكانه الحالي.

كانت تتحدث وهي تجلس وتقف، صبت قهوة لي، وأعطتني الكوب، ثم عاودت الجلوس وكررت سؤالها: هل هو في خطر؟

لم أستطع إجابتها، لم تخرج مني أي كلمات ولا أحرف، تحركت تشارلي مرة أخرى واقتربت من النافذة، كانت حسناء، وجذابة، شقراء، أسنانها متساوية وأنيقة، رياضية الجسد، تمتلك روحًا وشغفًا، انطباعي الأول عنها كان كونها فتاة أرستقراطية، أتخيلها منذ مئة عام كانت ستمتلك العبيد وتعيش في قصر أبيها، لكني بدأت أشعر أن هذا انطباع خاطئ، كانت صُلبة ومقاتلة، روحها عنيدة، وفي الآن ذاته هي تستمع بكونها ثرية وجميلة، وتحب حياتها المثالية، صالات التجميل والغذاء مع الفتيات في النادي بأطلانطا، لكن عندما تتعقد الأمور ستجدها امرأة مستعدة للمقاتلة في الوحل، ربما منذ مئة عام كانت على متن قطار متجه للغرب، رحالة، روحها القلقة تقول لي هذا، قالت تشارلي وهي تجلس قبالتي: لقد أصابني الفزع هذا الصباح وكدت أنهار.. وتلك ليست بطباعي على الإطلاق.. لا بد أني أعطيتك انطباعًا خاطئًا عني.. ولكن بعدما هدأت وفكرت توصلت لاستنتاج مطابق لما قلته لي

عن كون بول متورطًا في شيء ما، والآن ما الذي سأفعله بشأن هذا الصدد؟ سأكف عن الفزع، ولسوف أفكر في الأمر، أنا أشعر بالخزي من حالتي الفوضوية تلك، هذا ليس أنا.. ولذا فقد فعلت شيئًا ما وأرجو منك أن تسامحني بشأنه.

- أخبريني.

- لقد اتصلت بدوايت ستيفينسون في مخفر الشرطة وسألته عنك، وأخبرني بشأن الفاكس الذي تلقوه بخصوص خدمتك العسكرية، وطلبت منه قراءته بالتفصيل، ولقد فعل هذا بالضبط والحقيقة أني قد انبهرت من سجلك العسكري، مبهر جِدًّا!

ابتسمت وهي تقول الجملة الأخيرة، وأردفت: ولذا أنا أريد توظيفك، أنا بحاجة لمهاراتك لكي تحل مشكلة زوجي التي تورط بها، هل بإمكانك التفكير في عمل هذا من أجلي؟

- كلا، يا تشارلي أنا لا أستطيع فعل هذا.

- لا تستطيع أم لا تريد؟

- لو فعلت هذا سيتولد تضارب رهيب في المصالح.

- تضارب في المصالح؟

صمت وتنهدت وأنا أفكر كيف أفسر لها قبل أن أقول: زوجك شعر بتأنيب ضمير مما يحدث وتواصل مع محقق،

عميل حكومي؛ ليساعده في حل مشكلته، لكن هذا العميل الحكومي تعرض للقتل، وأنا مهتم بما حدث للعميل الحكومي أكثر من زوجك.

كانت تتابع ما أقوله باهتمام وحرص على الفهم ثم تساءلت: لكن لماذا؟ أنت لا تعمل من أجل الحكومة.

- العميل الحكومي كان أخي، صدفة مجنونة لكن هذا ما حدث.

صمتت تشارلي وبرقت عيناها وهي تستوعب مكمن الصراع وتضارب المصالح، ثم واتتها فكرة مؤلمة فقالت ببطء: آسفة جِدًّا لما مررت به، هل خان بول أخاك وتسبب في قتله؟

- كلا، بول لم يكن ليفعل شيئًا كهذا، لقد كان يعتمد على أخي ليخرجه من ورطته.. ثم حدث شيء خاطئ..

- هل لي أن أسألك سؤالًا، لماذا تتحدث عن زوجي بصيغة الماضي؟

نظرت إليها..

- لأنه ميت، وأنا آسف بشدة لهذا..

شحب وجهها، وأراحت يديها على ركبتيها، لكنها لم تنْهَر.. فقط همست: أنا لا أعتقد أنه ميت، إحساسي يقول لي هذا، كلا، بل يؤكده، كنت سأعرف لو كان ميتًا، أنا واثقة من أنه يختبئ في مكان ما.. أريدك أن تجده من

أجلي ولسوف أدفع لك ما تريد.

هززت رأسي أن لا. فقالت: أرجوك.

- لن أفعل هذا يا تشارلي، لن آخذ أموالك ولن أستغلك، لن أفعل هذا لأن كلانا يعلم أنه ميت.

ساد الصمت التام والمطبق بيننا بعدها، ونظرت للمنضدة حيث أجلس واعتصرت أصابعي كوب القهوة التي أعدته هي من أجلي، أتاني صوتها: هل ستفعلها لو لم أدفع لك، تبحث عنه وأنت تميط اللثام عما حدث لأخيك.

فكرت فيما قالته، ولم أجد طريقة لقول «لا» لما تعرضه.. همست: حسنًا، بإمكاني فعل هذا ولسوف أفعله يا تشارلي.. لكن حاولي ألا تتوقعي أي معجزات.. نحن في طريق مظلم وسنجد أشياءَ سيئة في نهايته..

كررت تشارلي: أنا واثقة من كونه حيًّا.

فكرت بقلق عما سيحدث لها عندما يكتشفون جثته، حينئذ ستواجه هي الواقع، كشاحنة تصدم بمبنى حديدي، قالت الزوجة الجميلة: ستحتاج لمصاريف أليس كذلك؟ إبان التحقيق.

لم أكن متيقنًا من أني سأحتاج لمصاريف لكنها أعطتني مظروفًا سميكًا.. وسألت: هل سيغطي هذا التكاليف؟

نظرت داخل المظروف، حيث قبعت أوراق عدة من فئة المئة دولار، هززت رأسي إنه سيكفي..

- وأرجوك احتفظ بالسيارة البنتلي لطالما ستحتاجها.

هززت رأسي مرة أخرى، ثم فكرت قليلًا بشأن المعلومات التي سأحتاجها منها وأجبرت نفسي على التحدث بصيغة الحاضر، وأنا أسألها: أين مكان عمل بول؟

- مصرف الشروق «صن رايز» الدولي..

وأعطتني العنوان التفصيلي بأطلانطا..

- حسنًا، شكرًا، والآن سأوجه لك سؤالًا مهمًّا، فكري جَيِّدًا، وتذكري قبل أن تجيبي، هل ذكر بول كلمة «بلورياس» أمامك من قبل؟

رأيتها تفكر بشدة قبل أن تنهد.

- بلورياس؟ أليس هذا أمر متعلقًا بالسياسة؟ عندما يعطي الرئيس خطبة ما؟ كلا لم أسمع بول يتحدث عن هذا الأمر، ولم يذكر تلك الكلمة أمامي من قبل..

- ألم تسمعيه أبدًا يذكر تلك الكلمة أمامك؟ ولا عبر الهاتف وهو يتحدث مع أحدهم؟ أو هو نائم أو أينما كان؟

- كلا، لم ينطق بها أمامي أبدًا.

- وماذا عن يوم الأحد القادم؟ هل ذكر لك شيئًا بهذا الخصوص؟

- يوم الأحد القادم؟ لا أعتقد، لماذا؟ ما الذي سيحدث يوم الأحد؟

- هذا ما أحاول معرفته.

فكرت كثيرًا قبل أن تهز رأسها في استسلام، وقالت: آسفة.

- لا عليك، والآن هناك شيء يجب أن تفعليه.

- ما الذي يجب عَلَيَّ فعله؟

- الرحيل من هنا.

ازداد شحوبها، لكنها حافظت على رباطة جأشها..

- الهروب والاختباء؟ أين؟

- هناك عميل فيدرالي قادم إلى هنا، وسيقلك أنتِ وطفليك لمكان آمن..

نظرت لي تشارلي بفزع، وكررت: عميل فيدرالي.. الأمر جاد بحقٍ أليس كذلك؟

- جاد بشكل خطر، عليك الاستعداد للرحيل الآن.

- حسنًا، حسنًا.. يا إلهي أنا لا أصدق أن كل هذا يحدث..

***

خرجت من المطبخ لغرفة المعيشة حيثما شربنا الشاي المثلج أنا وروسكو في البارحة، استندت جوار النافذة، ونظرت للخارج مارًّا بعيني على صندوق البريد، وبيوت شارع بيكمان، هدوء وسكون بالخارج، لا أحد قادم، لا

خطر بعد، ثم سمعت سيارة قادمة من الغرب، وظهرت بعدها أمام عيني وهي تقترب ببطء، سيارة من طراز «بويك» بُنية اللون وصغيرة، بها رجلان، كلاهما قمحي اللون، ومن أمريكا اللاتينية أو إسبانيا، كانا يتجولان بالسيارة ببطء باحثين عن صندوق البريد الذي يحمل اسم «بول هوبل» وتوقفا عندما وجداه، توقفا أمام البيت، ونظرت إليهما في صمت، تبادلا النظرات ورحلا بالسيارة وفور أن فعل هذا عدوت للداخل لأتعجل تشارلي بالرحيل..

كانت تقف داخل غرفتها، وتتحرك في عُجالة كطفل يحزم أمتعته وهو موشك على الذهاب لنزهة، وتعد القوائم بصوتٍ عالٍ، سأحتاج لهذا وذاك.. إلخ إلخ، كانت تلك آليتها الدفاعية في حرق قلقها، عندما رأيتها أول مرة كانت فتاة ثرية متزوجة من مصرفي وتنعم بحياة رخاء، الآن هناك غريب في بيتها يخبرها أن زوجها ميت، وأنها في خطر وعليها الهروب من أجل حياتها..

- خذي هاتفك معك.

لم تجبني، فقط حركت رأسها وهي تحزم مقتنياتها، عدت للمطبخ، وأكملت كوب القهوة، عندما سمعت بوق سيارة بالخارج، وضعت الكوب جانبًا، ووقفت أمام الباب في تأهب واضعًا يدي في جيبي كأني أُخفي مسدسًا وهميًّا، وفتحت الباب، بالخارج كانت هناك سيارة رابضة جوار الـ «بنتلي» وجوارها يقف عملاق، فارع القامة بشكل

لا يصدق، لدرجة تجعلني أبدو كطفل جواره، تقدم للأمام بجسده الرياضي ولوح بيده قائلًا: أنت ريتشر؟ أنا بيكارد.. مكتب التحقيق الفيدرالي..

صافحني، وشعرت بموجة من الحماس والتشجيع وهو يفعل هذا، أنا سعيد لأنه على جانبي، رجل قوي وضخم كهذا، قدته لداخل المنزل وسمعته يقول: حسنًا، لقد أخبرني فينلاي بكل التفاصيل، وأنا آسف للغاية بشأن أخيك، هل هناك مكان يمكننا الجلوس والتحدث فيه؟

عبرت المطبخ وهو يتبعني إلى غرفة المعيشة.. تلفت حوله وصب لنفسه بعض القهوة ثم سار بجانبي، ووضع يده على كتفي، شعرت كأن أحدهم ضربني بحقيبة من الأحجار، قال لي وهو يجلس: القاعدة الأساسية هي أن كل شيء يتم هنا يجري بشكل غير رسمي أليس كذلك؟

- بلى.

كان يتحدث بصوت خفيض وغليظ يكاد يكون همسًا لكنه حاد وقوي، لم أستطع تحديد عمره، هو من الرجال أقوياء البنية الذي لن تستطيع معرفة عمرهم، وفي الأغلب ستندهش عند معرفته..

أردف بيكارد: تلك مشكة بالنسبة لي، العمل بشكل غير رسمي ودون صلاحيات، ومما فهمته من فينلاي أن تيل لن يطلب مساعدة رسمية؛ ولذا بإمكانهم طردي من المكتب الفيدرالي لمساعدتكم بهذا الشكل، لكني مستعد

للمخاطرة من أجل فينلاي، نحن أصدقاء منذ فترة طويلة، لكني بحاجة لتأكيد منك أن كل شيء سيتم بشكل غير رسمي.. لا تغيير لتلك القاعدة.

هززت رأسي، كنت سعيدًا مما يقوله، المساعدة غير الرسمية مناسبة لي أكثر، لدينا خمسة أيام قبل يوم الأحد، في البدء بدت خمسة أيام كعرض كريم لكن مع اختفاء هوبل أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا، وهناك شعور عام بأن الوقت يمر بسرعة.

- أين ستضعهم؟

سألت بيكارد قاصدًا تشارلي وأطفالها

- منزل آمن في أطلانطا يخص المكتب.. ولن أخبرك بمكانه، وعليك أن تؤكد على مسز هوبل ألا تخبر أحدًا عن موقعه، لو اكتشفوا أني كشفت عن موقع بيت آمن يخص حماية الشهود وتابع للمكتب سيتم طردي..

- حسنًا يا بيكارد، أنا مقدر لكل ما تفعله ولن أوقعك في مشكلة.

أومأ برأسه، لكني رأيت أنه يشعر أنه لا يزال يخاطر بوظيفته، كان هذا عندما دخلت تشارلي وطفلاها، عرفهم بيكارد بنفسه، ورأيت أن ابنة تشارلي مرتعبة من حجم الرجل، في حين نظر له الصبي مبهورًا، قبل أن يحدق في إشارة المكتب الفيدرالي التي أخرجها بيكارد وأراهم إياها، حملنا بعدها الحقائب ووضعناها في صندوق سيارته،

صافحت بيكارد وتشارلي وركبا السيارة مع الأطفال، لوحت لهم بيدي والسيارة تختفي عن ناظري.

***

الفصل الخامس عشر

توجهت لسجن واربيرتون حيثما أرسلوني أنا وهوبل لمقابلة سبايفي، ووصلت أسرع من سائق الحافلة، مشهد السماء كان مهولًا، هناك عاصفة قادمة بسرعة من الغرب، وشرعت أبطئ السيارة مع اقترابي من أبواب السجن، لم أكن أنتوي الدخول، ليس مرة أخرى، على سبايفي أن يأتي ليقابلني، طفقت أنتظر لحين ظهر الحارس فسألته: هل سبايفي في نوبة عمله؟

أجابني بسؤال ونظرة تشكك: هل تريده؟

- نعم فقط، أخبره أن مستر ريتشر قد وصل.

تحدث الحارس عبر اللاسلكي قليلًا ثم عاود النظر إليَّ

- هو لا يعرف أحد باسم ريتشر.

- قل له إن رئيس الشرطة ماريسون قد أرسلني، من بلدة مارجرايف.

بعد محادثة أخرى عبر الجهاز فتح الحارس البوابة وأشار لي مضيفًا: قد سيارتك لهذا المبنى.. سيقابلك سبايفي في ردهة الاستقبال.

- كلا، أخبره أن يأتي ويقابلني هنا في العراء.

سرت بعدها ووقفت وسط غبار الصحراء مستندًا على حافة السيارة، لقد كانت معركة أعصاب، وأنا أراهن

أن سبايفي سيأتي، على أية حال سأعرف خلال خمس دقائق، ظللت أنتظر، وأنا أكاد أشم رائحة الأمطار القادمة من الغرب، ستحل العاصفة بكل قوتها خلال ساعة..

أتى سبايفي، سمعت إطارات سيارته فالتفت ورأيته، بوجهه الأحمر وجسده الكبير، زيه الرسمي كان متربًا، سألته: أنتذكرني؟

نظر إليَّ بعيونه الثعبانية الضيقة، وداري انزعاجه وقلقه وهو يتكلم ببطء: أنت ريتشر.. ماذا تريد؟

-نعم أنا ريتشر الناجي من حادثة يوم الجمعة، أخبرني عن الصفقة.

حرك قدميه، كان سيتظاهر بأنه صعب المراس لكنه خسر اللعبة بالفعل عندما أتى للخارج كي يقابلني..

- لا تظل صامتًا، أخبرني عن الصفقة التي عقدتها معهم يوم الجمعة.

- ماريسون ميت.

قالها سبايفي وهو يهز كتفيه، ثم عاد لصمته ولم يزد حرفًا، تحركت بعيدًا عن مجال رؤية الحارس، وأخرجت المُدية من جيبي ليراها سبايفي وقلت: هل تعتقد أني استخدمت هذه مع ماريسون؟

كان يحدق في المُدية قبل أن يقول: أنت لم تقتل مارسون، لكن لعلك كنت تمتلك سببًا وجيهًا لقتله في

نهاية الأمر.

ابتسمت، كان يعلم أني لم أقتل ماريسون؛ وبالتالي هو يعلم من قتله، هو يعلم هويتهم، بكل بساطة، تلك هي الحقيقة، ثلاث كلمات فحسب من سبايفي، وأدركت أني أسير في الاتجاه الصحيح.. رفعت المدية قليلًا وأنا أضيف: هل تريد مني استخدامها معك؟

تلفت سبايفي حوله بوحشية، ورأى الحارس على بعد ثلاثين مترًا.

- هو لن يساعدك يا سبايفي، هو يكره كونك جبانًا وغير مبال بهم، أنت تملقت الإدارة وحصلت على الترقية، صدقني الحارس لن يتبول عليك لو كنت تشتعل بالنيران أمامه..

- ما الذي تريده؟

- أخبرني عن الصفقة.

- وما الذي ستفعله لو أخبرتك؟

- هذا يعتمد على ما ستقوله لي، لو أخبرتني بالحقيقة سأتركك تعود للداخل لكن لو كذبت فهذا شيء آخر.

نظر لي في تحدٍّ، معركة أعصاب، كان متأهبًا للغاية، ويتصبب عرقًا، سيخسر المعركة، أعصابه لن تتحمل كل هذا الضغط..

- حسنًا يا ريتشر سأخبرك، كل حين وآخر قمت

بمساعدة ماريسون، أُسدي له بعض الأعمال الجانبية أو الخدمات، واتصل بي قبل قدومكم ليخبرني أن هناك رجلين قادمين، وأنه بحاجة لإسكات بول هوبل وقتله، لم يذكر اسمك، كان من المفترض إيذاء هوبل فحسب، أقسم لك لم أكن أنتوي المساس بك..

- وما الذي حدث بعد هذا؟

- رجالي أفسدوا الأمر، واختلط عليهم الأمر، لقد كانوا في إثر الرجل الآخر وليس أنت.. لكنك خرجت سليمًا من الأمر دون ضرر، ولم يحدث شيء، فلماذا تصعب الأمور عَلَيَّ الآن؟

اقتربت منه بسرعة لم يتوقعها، ووجد نصل المدية أسفل ذقنه، تجمد مكانه في صدمة، وفي الثانية التالية انسالت دماء سميكة وداكنة من أسفل وجهه، سألته: لماذا؟

- لم يعطني سببًا.. ولم أسأل أبدًا عن سبب أنا أفعل فحسب ما هو مطلوب مني..

- أنت تنفذ الأوامر فقط.

- أنا أنفذ الأوامر فقط.. ولا أريد معرفة الأسباب..

- ومن الذي أعطاك الأوامر؟

- ماريسون.. ماريسون هو من أعطاني الأوامر..

- ومن الذي لقن ماريسون تلك التعليمات؟

رفعت المُدية صوب وجهه وعيني نتأكد من أن الحارس لا يرانا، كان سبايفي يرتعد في خوف، حدقت في عينيه الثعبانيتين، كان يعرف الإجابة وبدا هذا واضحًا، واضحًا في عينيه وفي خوفه، سبايفي يعرف هُوِيَّة الشخص الذي أعطى ماريسون تعليمات القتل..

- من الذي أعطى الأوامر لماريسون يا سبايفي؟

- لا أعلم، أقسم لك بروح والدتي لا أعلم..

تفحصته مرة أخرى بعيني وهززت رأسي.

- كذب، أنت تعلم وستخبرني الآن.

كان هذا دور سبايفي ليهز رأسه، ووجهه الأمر يزداد احتقانًا..

- سيقتلونني لو أخبرتك بشيء.

اقتربت من المدية باتجاه معدته تلك المرة وهمست: سأقتلك لو لم تخبرني.

كنت أعلم أن رجلًا مثل سبايفي سيفكر في المدى القريب فحسب، لا هو يفكر على المدى البعيد ولا يخطط، كل ما يعلمه أنه لو أخبرني فسيكون ميتًا عندما يحين الغد، ولو لم يخبرني سيموت الآن، تلك هي طريقة حسبان رجال مثل سبايفي للأمور، وهو قد قرر أن يخبرني، تحركت حنجرته في توتر استعدادًا للكلام، كان يبدو مثل رجل في فيلم بوليسي على وشك الإدلاء بسر خطير.. أو

كرجل في فيلم رعاة بقر يزحف وسط الصحراء القاحلة ويلمح سراب المياه، لكنه كان على وشك إخباري، ثم تغير كل شيء ولم يخبرني سبايفي بشيء، سمع كلانا محرك حافلة السجن تقترب، ولوى سبايفي عنقه لينظر لمخلصه من تلك اللحظة، الحافلة الضخمة، وعندما أعاد نظره إليَّ رأيت تعبير التحدي يعود لوجهه.

- من هو يا سبايفي؟ أخبرني الآن وإلا سأعود لك لاحقًا..

تراجع سبايفي للخلف وهو مولي ظهره للحافلة ناظراً إليَّ في صمت حتى وصل للبوابة واختفى عن بصري.. تنهدت في حنق وصعدت داخل البنتلي وأدرت المحرك قبل أن أزفر بقوة..

في طريق العودة شعرت كأن العاصفة القادمة تطاردني أنا، وتزايد حنقي، لقد كنت على وشك معرفة كل شيء من سبايفي، والآن عُدت لنقطة الصفر..

لم يكن لَدَيَّ دعم حقيقي ولا خُطَّة احتياطية، لا مساعدة، لا أستطيع الاعتماد على روسكو أو فينلاي، هما لن يوافقا أبدًا على خُططي الخاصة في الانتقام لمصرع جو، كما أنهما يواجهان مشاكلهما الخاصة مع تيل، ما التعبير الذي قاله فينلاي؟ العمل تحت سلطة العدو.. ولا أستطيع توقع الكثير من بيكارد أكثر مما فعله لأنه قلق للغاية بشأن وظيفته..

الشخص الوحيد لذي أستطيع الاعتماد عليه هو نفسي، لا توجد قوانين لأقلق بشأنها، لا مشتتات ولا أشياء لأخسرها.. لا جمع أدلة من أجل مدعٍ عام ولا تحقيق رسمي، لا حقوق متهمين، سأفعل الأمور كلها بطريقتي، سأقتلهم جميعًا.. وليكن هذا هو العدل، هم أشرار بكل بساطة، قتلوا أخي، ناهيك عما فعلوه بزوجة ماريسون والآخرين..

توقفت بالسيارة أمام منزل روسكو، الأخيرة لم تكن هناك، شردت بين أفكاري، كنت أريد الابتعاد عن مارجرايف وولاية جورجيا بأكملها، وجدت خارطة في الصندوق الصغير المقابل لمقعد السائق، تفحصتها، أردت أن أخذ روسكو ونرتحل سويًّا لألاباما، هذا ما أردت وتوقت لفعله، نذهب ونقضي الأمسية في بار به حفلة موسيقية، ستكون تلك أمسية رائعة لو كانت روسكو هي محورها، جلست أنتظرها، وأنا أشعر برجفة من نسيم البرد، في السادسة شعرت بتململ شديد وبدأت أطرق سقف السيارة بيدي، لم تَأْتِ العاصفة فقط ظلت ترسل تحذيراتها، بعد هذا سادت العتمة، روسكو لم تظهر بعد، استمرت العاصفة في تهديداتها لمدة عشرين دقيقة قبل أن أرى سيارة روسكو تلوح في الأفق، احتضنتها فور أن خرجت من السيارة وسألتها: أنت بخير؟

- أعتقد هذا، لقد كان يومًا حافلًا.

- منزعجة؟

دخلت البيت وواصلت الحركة وهي تغلق الستائر، وأجابتني: أسوأ صباح مر عَلَيَّ في حياتي بأسرها، لكني سأخبرك بشيء لم أخبر به أحدًا من قبل، أنا لم أكن منزعجة بسبب ما حدث لماريسون، لا يمكنك أن تنزعج من حدوث شيء سيئ لشخص مثله، ما حدث لزوجته هو ما يؤلمني، من السيئ أن تكون زوجة لماريسون ولكن أن تكون نهايتك كذلك، وبسببه.. أمر بشع أليس كذلك؟

- نعم.. ولكن ماذا عن تيل؟ ألا يزعجك ما يحدث منه؟

- لست مندهشة من تيل، شجرة عائلته كلها عبارة عن جماعة من الأوغاد، لماذا سيكون هو مختلفًا؟ لكني ممتنة أن الباقي في القسم ليسوا متورطين.. هذا أفضل من الشك بالجميع..

ذهبت روسكو للمطبخ، تبعتها في صمت، وقفت أمام الثلاجة وفتحتها، كانت متماسكة لكنها لم تكن سعيدة، التفتت وحاولت إعطائي ابتسامة..

- هل تريد أن تدعوني للعشاء في الخارج؟

- بالتأكيد ولكن ليس في ماجرايف، لنذهب لألاباما..

أخبرتها بما كنت أفكر فيه وأعجبتها الخُطة، ذهبت لتستحم، وتذكرت أني بحاجة لواحد أيضًا فانضممت إليها، ولكن كل خططي وأولياتي تغيرت فور انضمامي إليها، استلقيت على الفراش بعدها وروسكو ترتدي ملابسها أمام

المرآة، ارتدت قميصًا صيفيًّا أبيضَ وسروال جينز، كانت جذابة بشكل لا يصدق..

بعد نصف ساعة من مرورنا بالسجن خارج مارجرايف وصلنا لألاباما، وتوقفنا عند أول بار في طريقنا..

كانت حانة على الطريق، وبدت جيدة بالنسبة لنا، كبيرة ومتسعة وساطعة بالإضاءة، سمعت الموسيقى تدوي من الداخل، وقالت اللافتة بالخارج: حفلات موسيقية مباشرة طيلة الأسبوع، جلسنا في الركن الأيسر بجوار النافذة، وطلبت الجعة، كانت هناك نادلات تكاد ترتدي اللاشيء، والكثير من شطائر اللحم المقدد، ابتسمت لروسكو وكذا فعلت هي وأدرنا رؤوسنا في المكان قبل أن نتلاقى أعيننا، سألتني هي: ما الذي تنتوي فعله بشأن جو؟

أجبتها في عقلي أني سأنهي ما بدأه واقتلهم جميعًا لكن روسكو شرطية ملتزمة بالقوانين ولا يسعني قول هذا لها..

أردفت هي: ستحاول أن تجد قاتله أليس كذلك؟

- وبعد أن أجده؟

لم نكمل حديثنا الذي انقطع بعدما اعتلت الفرقة الموسيقية خشبة المسرح، الفرقة كانت صاخبة للغاية ولم يكن هناك طريقة لكي نسمع بعضًا فاستمعنا إليها..

قضينا وقتًا ممتعًا وشربنا الكثير من الجعة، رقصنا سويًّا بعدها، لم أستطع مقاومة موسيقى الفرقة، وازدادت الغرفة

حرارة وازدحامًا.. تعالت الموسيقى أكثر وتمايلت النادلة بجسدها يمينًا ويسارًا مع الإيقاع، روسكو كانت تبدو جذابة للغاية في ملابسها البسيطة والخفيفة وهي ترقص، لقد كنت في حفلة موسيقية ببار مع فتاة جذابة للغاية، بدت ماجرايف ومشاكلها على بعد ملايين الأميال في تلك اللحظة، بإمكان كل شيء أن ينتظر للغد، لم أرد لتلك الأمسية أن تنتهي..

خرجنا متعانقين للسيارة وروسكو تضحك وتدفن رأسها في كتفي، قدنا في الطريق ونحن نضحك ونتبادل القبلات قبل أن نرى فندقًا على الطريق، كان عتيقًا ومن ثلاثة طوابق والليل يحيط به من كل جانب، ركنت السيارة في باحة الانتظار ودخلنا سويًّا ونحن لازلنا متعانقين، نقدت الموظف المال وأخذت مفتاح الغرفة وروسكو وذهبنا للغرفة، دخلنا الغرفة التي كانت دافئة عكس الجو البارد بالخارج ولم أرد لروسكو أن تصاب بالبرد فأخبرتها أن تخلع قميصها المبلل، ضحكت وهي تفعل هذا، فقلت لها مداعبًا: لا أريدك أن تمرضي بما أني خبير طبي في حالات الطوارئ.

- هاها.. وهل تلك حالة طوارئ؟

- ستكون كذلك إن لم تفعلي ما أخبرك به.

واحتضنتها ضاحكًا.. كانت جميلة وجذابة للغاية..

استلقينا بعدها وتسامرنا طيلة الليل، أخبرتني روسكو عن

أفكارها وأحلامها وعائلتها، وكيف أنها تأتي من عائلة من المزارعين في مارجرايف الذين خسروا أراضيهم بسبب عائلة تيل الثرية، كنت أتوقع هذا، تيل يحمل هالة جشع محيطة به، حكيت لها بعدما انتهت عن حياتي وعن جو قبل أن ننام وذراع كل منا يحيط بالآخر..

وفي الصباح عندما بزغت الشمس شعرت كأنها رجل يطرق باب غرفتنا، استيقظ كلانا واستحممنا وتناولنا القهوة والإفطار قبل أن نرحل، وظللنا صامتين في طريق عودتنا لمارجرايف.. وإن تمنيت سرًّا أن ترغب روسكو في ليالٍ مشابهة للبارحة قريبًا..

مررنا جوار السجن وبعد عشرين دقيقة كنا بجوار مطعم إينو في مارجرايف وبعده تمثال تيل، توقفنا أمام بيت روسكو، ونظرنا إليه في صمت..

الباب الأمامي للبيت كان مفتوحًا على مصراعيه، والقفل كان مهشمًا، وضعت روسكو يدها على فمها لتكتم شهقة، واتسعت عيناها، جذبتها برفق من كتفها مطمئنًا، ثم تحركنا لنتفحص ما حدث.. تفقدنا كل ركن في البيت ولم نجد شيئًا مسروقًا أو مهشمًا، كل شيء على حاله، ولا يوجد أحد في الأرجاء، حتى مسدس روسكو لا يزال في موضعه، تفقدت هي الأدراج وغمغمت: لا شيء مفقود، لكني لمحت شيئًا، آثار أقدام.. العديد منها.. لقد اقتحم البيت عدد غفير من الرجال، وانتشرت آثار أقدامهم في المكان، وقد كانت تمطر عندما فعلوا هذا، آثار أقدام تعود

لأربعة رجال، يرتدون أحذية مطاطية، مثل تلك التي كان يرتديها قتلة ماريسون وزوجته.

***

الفصل السادس عشر

لقد أتوا إلينا في قلب الليل، وهم ينتوون إراقة الكثير من الدماء، أتوا بمعدات القتل الخاصة بهم، المطارق والسكاكين والأحذية المطاطية، لقد أتوا ليفعلوا بروسكو مثلما فعلوا مع زوجة ماريسون، لقد كانت تلك هي غلطتهم الأخيرة، الآن هم في عداد الموتى، سوف اصطادهم واحدًا تِلْوَ الآخر بابتسامة على وجهي وأنا أقتلهم لأن هجومهم هذا إهانة لذكرى وفاة جو، هو ليس هنا ليدافع عني، هم قتلوه والآن يبغون قتلي كذلك..

نظرت لروسكو التي كانت تنظر لآثار أقدامهم وتأتي برد فعل تقليدي وهو الإنكار وعدم التصديق لما تراه، أربعة رجال اقتحموا بيتها بنية ذبحها، وقد كانت تتعامل مع تلك المعلومة بطريقة اللاتعامل وهذا ليس بأسلوب سيئ في تقبل بعض الأمور، لكنه لن يفيد لأن الأمر لم ينتهِ بعد، وبدا واضحًا أنهم بحثوا عنا كثيرًا في البيت، وقد اختفت آثار أقدامهم خارج البيت بسبب الأمطار، كان غضبي يتزايد وظللت صامتًا وأنا أنظر لروسكو منتظرًا للسد أن ينهار، هي رأت جثتي ماريسون وزوجته، وتعلم ما كان ينتظرها، همست روسكو: هل كانوا في أثري أنا أم أنت أم كلانا؟

- كلانا، لقد خمنوا أن هوبل تحدث إليَّ، ونحن في السجن وأني تحدثت إليك بدوري، وبما أننا نعرف ما

يعرفه هوبل فكان لا بد من إسكاتنا للأبد..

هزت روسكو رأسها، وانزوت في ركن كالقطة وهي تزداد شحوبًا، ثم بدأت تبكي، احتضنتها وبللت دموعها ملابسي..

همست باكية: حمدًا لله أننا لم نكن هنا بالأمس.

كنت أعلم أني يجب أن أبدو واثقًا أمامها، الخوف لن يفيدها في شيء، الخوف سينتزع منها طاقتها، عليها الاستعداد للمواجهة، قلت لها ببطء: أنا أتمنى لو كنا هنا ليلة البارحة، كنا سنحصل على إجابات وافية لما يحدث

نظرت إليَّ روسكو كأني مجنون وقالت: ما الذي كنت ستفعله؟ تقتل أربعة رجال.

- كنت سأقتل ثلاثة فقط واستجوب الرابع.

قلتها بثقة عالية وقناعة تامة كأنه لا يوجد أي احتمال آخر كنتاج للموقف. ظلت روسكو تنظر إليَّ، أردتها أن ترى رجلًا ضخمًا وقويًّا وواثقًا من نفسه، جنديًّا سابقًا، بخبرة ثلاثة عشر عامًا في الحياة العسكرية، بعينين باردتين، وقد حاولت أن أعكس إليها كل هذا، كل القدرات والمهارات الخاصة بالنجاة والقتل، أردتها أن تشعر بأني قادر على حمايتها، وأن تشعر بالأمان، بعد كل ما أعطتني هي إياه، لم أرد لها أن تشعر بالخوف بل بالأمان.

همست لها وأنا أضع يدي على وجهها: سيتطلب الأمر

أكثر من أربعة رجال للتغلب عَلَيَّ، لقد واجهت ما هو أسوأ من هذا بكثير، إنهم حمقى ليعتقدوا أن أربعة رجال فحسب قادرون على قتلي، ولو أتوا هنا مرة أخرى مفكرين في إيذائك فكوني واثقة أن تلك آخر فكرة ستدون في عقلهم.

كان الأمر ينجح ورأيت الاقتناع يتسلل لملامحها الجميلة، وعينيها المبهورتين تشعان بروحها العائدة..

- أنا أعني ما أقوله يا روسكو، أنتِ بخير، ولن أترك شيئًا يحدث لك.

حدقت روسكو إلى وجهي وهمست: أتعدني بهذا؟

حبست أنفاسي وأنا أشم رائحتها، وقلت: أعدك يا فتاتي..

ابتسمت روسكو ببطء، لقد مرت الأزمة، قلت لها: والآن علينا الخروج من هنا، لا يمكننا البقاء كأهداف واضحة في مرمى البصر..

- حسنًا ولكن ألن نصلح باب البيت قبل الرحيل؟

فكرت في سؤالها، كانت تلك خطوة مهمة، أجبتها: كلا، لو أصلحنا فسيعرفوا أننا رأينا ما حدث هنا واتخذنا الحيطة، أريدهم أن يفكروا أننا غافلون عن حقيقة أننا في خطر، أريد لعنصر المفاجأة أن يكون معنا.. لو اعتقدوا أننا حمقى، ولا نعرف أننا في خطر فسيتصرفون بإهمال.

- حسنًا.

لم يبدُ عليها الاقتناع تلك المرة لكنها كانت توافقني على أية حال..

- خذي ما تحتاجينه فحسب في حقيبة واحدة وهيا بنا.

لم تبدُ متحمسة وهي تفعل هذا، نظرت أنا لانعكاس وجهي، اللعبة قد بدأت، لا أعرف بعد من هو خصمي ولا عدد اللاعبين، لكني أعرف شيئًا واحدًا وهو أني يجب أن أكون دومًا متقدمًا عليهم بخطوة...

- هل يجب أن أذهب للعمل اليوم؟

- نعم، عليك أن تتصرفي كأن كل شيء طبيعي، وعلينا التواصل مع فينلاي، لقد كان ينتظر ردًّا من واشنطن بخصوص ما كان جو يفعله هنا، أريد أن أعرف إن كان قد حصل على تلك المعلومة أم لا، وربما يكون قد حصل على معلومات بخصوص القتيل الثاني، شيرمان ستولر، ولا تقلقي هم يهجمون في الليل فحسب، مصدر القلق الوحيد هو تيل لا تتواجدي معه بمفردك في مخفر الشرطة، احرصي على تواجد فينلاي، أو بايكر، أو ستيفينسون في الأنحاء طيلة الوقت..

- حسنًا.

احتضنتني روسكو موافقة على ما أقول وذهبت استحمت وارتدت زيها الرسمي، وعادت وهي مستعدة لليوم، همست: تعدني أني سأكون بخير؟

سألتني بمزيج من الطلب والاعتذار والرغبة في التأكيد، غمزت لها كما فعلت هي أول مرة في مخفر الشرطة وقلت: بالتأكيد!

غمزت لي بدورها مبتسمة، ثم خرجنا من البيت تاركين الباب الأمامي في الحالة التي وجدناه عليها..

خبأت السيارة البنتلي في المرآب لكي لا يراها أحد ويعرف أننا عدنا للبيت واستقللنا سيارة روسكو الخاصة بالعمل، وفي طريقنا مررنا جوار شاحنة مكتوب عليها: تابعة لمؤسسة كلاينر..

سألت روسكو: ما هي قصة تلك الشاحنة؟

- مؤسسة كلاينر تمتلك الكثير من الشاحنات.

- وما الغاية منها؟

- القصة طويلة ومعقدة، العجوز كلاينر يمتلك مارجرايف، لقد ابتاع الأراضي والمخازن، وأنشأ مجتمعًا يعمه الرخاء هنا، وتيل يدير أعمال كلاينر كعمدة البلدة، والشاحنات تخدم تجارتهم.

- تيل يدير أعمال كلاينر؟ لكن تيل هو العدو..

- هو يدير أعمال كلاينر لأنه عمدة البلدة، ليس لشخصه، تجارتهم تشمل إنشاء المباني، وتطوير الأراضي، والعناية بالحدائق، والمحلات التجارية، دفع الأقساط الاتئمانية، وتمويل قسم الشرطة..

- هذا يعطي تيل الكثير من النفوذ.. وما هي قصة ابن كلاينر؟ لقد حاول تحذيري بالابتعاد عنك

تنهدت روسكو..

- إنه أخرق، وأنا أحاول تجنبه قدر المستطاع، وعليك فعل المثل..

كانت تدور بعينيها في كل صوب وهي تقود السيارة بحثًا عن أي مصدر خطر محتمل، ومتوقعة أن يهاجمنا أي أحد في أي لحظة، حياتها الهادئة في مارجرايف بجورجيا قد انتهت، فسدت تمامًا، بعد أن اقتحم رجال مسلحون بيتها في منتصف الليل، أوقفنا السيارة أمام مطعم إينو وجلسنا جوار النافذة كالمعتاد وطلبنا القهوة ومزيدًا من الإفطار من النادلة..

ومن النافذة لمحت شاحنة أخرى تخص كلاينر تركن أمام المطعم، لكنها ليست الشاحنة التي يقودها ابنه، السائق كان في العقد السادس من العمر، بشعر رمادي ووجه سقيم، كان يرتدي زيًّا كمزارع قديم، وبدا أنه عاش أغلب حياته يتنقل في الخارج.. يعتاد أشعة الشمس أكثر من ضوء المنزل..

ورغم ابتعادي عنه ووجود النافذة بيننا كعائق، لكني شعرت بقوته وسطوته وثقته، عيناه تقولان الكثير، نكزتني روسكو هامسة: هذا هو كلاينر.. الرجل الكبير بنفسه.

دخل كلاينر مطعم إينو، توقف بعد أن فتح الباب ونظر

يسارًا ثم يمينًا، قبل أن يتجه ببطء ويجلس في المنتصف، خرج إينو من المطبخ مرحبًا به وتحدث الاثنان لوهلة، وقد انحنى إينو بالقرب من كلاينر ليتأكد من أن أحدًا لا يسمع حديثهما، وبعدها وقف كلاينر، وعاد متجهًا لباب الخروج وأدار مقبضه، التفت يسارًا ثم يمينًا وخرج بعدها، لكنه أوقف عينيه على روسكو لثوانٍ قبل أن يفعل هذا، وعندما مرت عيناه عَلَيَّ شعرت أني أتعرض للتفتيش بواسطة كشاف شرطة، تابعته بعيني لحين رحيله التام ثم قلت لروسكو: أخبريني بالمزيد عن كلاينر وقومه.

بدت عصبية وهي تجيب: لماذا؟ نحن نقاتل من أجل حياتينا وأنت تريد الحديث عن كلاينر؟

- أنا أبحث عن المعلومات وهو يبدو رجلًا مثيرًا للاهتمام، اسمه وشاحناته تنظر لي في كل صوب، وقد رأيت زوجته، تبدو تعيسة ومضطربة، أنا أتساءل لو كان لهم علاقة بكل ما يحدث..

- كلا أنا لا أرى أي علاقة لهم بما يحدث أعني كيف سيتسنى أن يكون لهم أي ارتباط بكل جرائم القتل تلك؟ هم وافدون جدد في البلدة على كل حال، خمسة أعوام فحسب في ماجرايف، على أية حال عائلة كلاينر كونت ثروتها من المتاجرة في القطن لخمسة أجيال متتالية، وسبب شهرتهم أنهم اخترعوا تركيبًا كيميائيًّا جديدًا، معادلة ما لا أذكر تفاصيلها، شيئًا له علاقة بالصوديوم، وتزايدت ثروتهم لكنهم مروا بمشاكل مع هيئة حماية البيئة بسبب التلوث

الكيميائي، كانت هناك أسماك تموت أو شيء كهذا بسبب نفايتهم التي يتخلصون منها في النهر..

- وما الذي حدث بعد هذا؟

- أغلق كلاينر نشاطه التجاري بجوار نهر ميسيسيبي وانتقل لمارجرايف، بدأ بإنشاء المخازن، بإمكانك اعتبار مارجرايف مخزنًا كبيرًا لنشاطه التجاري، وأصبح يتاجر في السلع الاستهلاكية والإلكترونيات وخلافه، كلاينر وعائلته ليسوا محليين كما قلت لك، هم هنا منذ خمسة أعوام فحسب، لم أرَهم أبدًا في مارجرايف قبل هذا، ولا أعلم الكثير عنهم سوى أن كلاينر رجل صُلب وربما قاسٍ، لكنه غير مؤذٍ طالما أنك لست سمكة في نهر الميسيسيبي..

- إذن لماذا كانت زوجته خائفة؟

علت الدهشة وجه روسكو وقالت: هي ليست خائفة أعتقد أنها مريضة فحسب، ربما هي خائفة لأنها مريضة وستموت، لكن هذا ليس ذنب كلاينر.

أتت النادلة حاملة أطباق الطعام، كان لذيذًا للغاية، إينو هذا لديه طريقة في جعل البيض شيئًا متميزًا جِدًّا.

سألتني روسكو: ألا تعني كلمة بلورياس أي شيء لك؟ لم تمر عليك الكلمة أبدًا من قبل؟

اعتصرت ذهني، ثم هززت رأسي نفيًا.

- أليست تلك كلمة لاتينية؟

- ربما هي جزء من شعار الولايات المتحدة، «أي بلورياباس اونام» على ما أعتقد شعار لاتيني يعني المتميز من بين الكثيرين، أمة واحدة مكونة من مستعمرات سابقة..

- إذن «بلورياباس» تعني الكثير؟ هل كان جو يجيد اللاتينية؟

تنهدت وأجابت: لا أعلم، لكنه كان ذكيًّا، وأتوقع أنه على الأقل كان يعرف القليل من اللاتينية لكني غير متأكد..

- وليس لديك أي تخمين عن سبب تواجد جو في مارجرايف؟

- ربما اختلاس الأموال، أو التهريب؛ لأنه كان يعمل في وزارة المالية حسبما أعرف، وهوبل كان يعمل لدى مصرف، العامل المشترك هنا هو المال.. ربما سنفهم من واشنطن ما الذي كان جو يفعله هنا.. لو لم نحصل على معلومة مفيدة منهم، فعلينا العودة لنقطة الصفر والبحث من البداية.

- حسنًا، هل هناك شيء ستحتاجه؟

- ملف اعتقال شيرمان ستولر.

- لكن هذا قديم بعمر عامين.

- ربما يفيدنا في شيء لو احتجنا العودة للبداية.

- حسنًا سأطلبه من فلوريدا.. أي شيء آخر؟

- سأحتاج إلى مسدس.

لم ترد روسكو، تركت المال على المنضدة وخرجنا من المطعم.

قلت لها مرة أخرى ونحن في السيارة: سأحتاج لمسدس، لا أستطيع ابتياع واحد دون رخصة..

- حسنًا، سآتي لك بواحد.

- بشكل غير رسمي، أنا لا أمتلك ترخيصًا.

- لا بأس، لن يعلم أحد.

وفور أن وصلنا لمخفر تبادلنا نظرة طويلة وعميقة قبل أن نخرج من السيارة، وفور دخولنا وجدنا فينلاي كأنه كان ينتظرنا وقال في عُجالة: عَلَيَّ أن أعود للمشرحة، وأريدكما أن تأتيا معي، هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن نتحدث بشأنها.

***

مثلما حدث من قبل قادت روسكو السيارة ووفينلاي جوارها، بينما قبعت أنا في الخلف، قال فينلاي: تلقيت مكالمة طويلة من وزارة المالية في واشنطن، مكالمة استغرقت عشرين دقيقة، ربما نصف ساعة، كنت متوترًا للغاية بشأن تيل وأنا أحدثهم.

- ما الذي قالوه لك؟

- لا شيء، استغرقوا نصف ساعة كاملة لعِينة ليخبروني بلا شيء.

- لا شيء؟ كيف؟

- لم يبوحوا بأي شيء، أرادوا تصاريح رسمية، وطلبات من تيل قبل أن يفصحوا عن معلوماتهم.

- لكنهم أكدوا لك أن جو كان يعمل لديهم أليس كذلك؟

- بلى، كان يعمل في المخابرات العسكرية قبل انتقاله لوزارة المالية، لقد انتقوه بالاسم ووظفوه.

- لماذا؟

- لم يخبروني، لكنه بدأ في العمل على مشروع خاص لديهم منذ عام، وهذا المشروع سري للغاية، شيء مهم هناك، كان عليك الاستماع لطريقة تحدثهم يا ريتشر، كأنهم يتحدثون عن سر الخلق..

صمت لوهلة وأنا أفكر في أني لا أعرف أي شيء عن جو...ثم قلت: إذن هذا كل ما حصلت عليه؟

- كلا، ظللت ألح حتى تواصلت مع امرأة تدعى مولي بيث جوردون، هل سمعت هذا الاسم من قبل؟

- كلا، هل من المفترض عَلَيَّ معرفتها؟

- لقد بدت لي كأنها كانت مقربة للغاية من جو، أعتقد

أنها كانت على علاقة معه، لقد كانت تبكي وهي تتحدث معي..

- وما الذي أخبرتك به إذن؟

- لا شيء، لم يكن مصرحًا لها أن تخبرني بشيء، لكنها وعدتني بأنها ستتحدث إليك أنت وتخبرك بكل ما تريده لأنك أخوه..

- هذا جيد، متى سأستطيع الحديث إليها؟

- اتصل بها في الواحدة والنصف، استراحة الغذاء، سيكون مكتبها خاليًا حينئذ، هي ستخاطر بكل شيء بحديثها معك، هذا ما قالته لي..

- حسنًا، هل قالت لك أي شيء آخر؟

- شيء واحد فحسب فلت منها، وهو أن جو كان لديه اجتماع مهم، إخبارية سيُدلى بها للوزارة يوم الاثنين.

- الاثنين؟ اليوم الذي سيلي الأحد؟

- نعم.. يبدو أن هوبل كان محقًّا، هناك شيء ما مهم سيحدث يوم الأحد.. وأيًّا كان هذا الشيء اللعين، فيبدو أن جو كان يعرف هذا وينتظره، لكنها لم تضف شيئًا آخرَ، لقد قاطع أحدٌ حديثها أو خافت من أن يسمعها أحدهم، فقط لا تعقد آمالًا كبيرة عليها، ربما هي لن تستطيع الحديث أو لا تعرف القدر الكافي من المعلومات يا ريتشر..

- تبًّا للبيروقراطية.. حسنًا علينا التصرف كأننا وحدنا مرة، لكننا سنحتاج لبيكارد مجددًا.

- أعلم هذا، لقد اتصل بي بالأمس، آل هوبل في أمان للحظة الحالية، وهو باقٍ معهم ليحميهم، سيدعمنا لو احتجنا إليه.

- عليه تقفي آثار جو السابقة، لا بد أنه كان يستخدم سيارة فأين هي؟ وحجز الفندق والطائرة من واشنطن لجورجيا، كل تلك التفاصيل، هل أجر جو سيارة عند وصوله من المطار؟ أين هي؟ ربما تقودنا لغرفة فندقه ونجد شيئًا هناك، ملفات أو شيئًا من هذا القبيل..

- لن يتمكن بيكارد من فعل كل هذا دون تصاريح فيدرالية يا ريتشر، وليس وجود تيل ليعيق عملنا.

- علينا التحقق من تلك الأشياء، لا يوجد سبيل آخر، أخبر تيل بأي حجة، قل له إن السجين الهارب الذي قتل ماريسون استخدم سيارة مؤجرة، وأنك بحاجة لإيجادها، هو لن يستطيع رفض طلب كهذا، وإلا سيكون بذلك يعيق التحقيق الوهمي الذي صممه بنفسه.

- حسنًا، سأجرب تلك الطريقة فربما تفلح.

- الوريقة التي وجدناها في حذاء جو كانت مقطوعة من ورقة أكبر، ورقة مطبوعة، أين الباقي؟ ربما في غرفة فندقه، وبها أرقام أخرى مهمة.. علينا أن نجد السيارة وغرفة الفندق.. ولا بد أن يساعدنا بيكارد.

- سأحاول قدر استطاعتي..

***

وصلنا مرتفعات «يالو» حيث المستشفى، ووقفت أمام المشرحة في تردد، لم أرد الدخول، جو لا يزال بالداخل وأنا لا أريد رؤيته مرة أخرى في تلك الحالة، أخذت نفسًا عميقًا ودخلت معهم حيث كان الطبيب ذو المعطف الأبيض في انتظارنا، لا يزال مرهقًا وبائسًا.. سأله فينلاي: ما الذي توصلت إليه؟

تنهد الطبيب المرهق وهو يستعد للإجابة، وقد بدا من طريقته أنه يستعد لمحاضرة طويلة، التقط ثلاثة ملفات من أمامه وهو يغمغم بشيء لم أتبينه قبل أن يقول: أول ملفين يخصان ماريسون وزوجته، النمط واضح للغاية حيث إنه تم تعذيبهما ثم قتلهما.. بكل ما تحمله كلمة سادية من معانٍ.. لقد قيدوا الزوجة، بواسطة رجلين، كل رجل منهم يمسك بإحدى ذراعيها، الكدمات تزايدت مع محاولتها في المقاومة حتى بعد توقف الدورة الدموية، أتفهموا ما أقوله؟

هززنا رؤوسنا، كنا نفهم ما يقوله.. استطرد: استغرقت عملية التعذيب عشر دقائق كاملة، وهما يكبلان المرأة، الزوج تم صلبه على الحائط، كلاهما كان عاري الجسد على ما أعتقد - لقد كانوا في رداء النوم قبيلة الاقتحام أليس كذلك؟

- كانا يرتديان منامات حريرية ومعاطف نوم خفيفة..

لقد كانا يتناولان الطعام.

- إذن القتلة جردوهما من ملابسهما، وفعلوا فعلتهم بماريسون، بعدها قاموا بقطع أصابعه، وإجبار زوجته على ابتلاعها.

نظرت بطرف عيني لروسكو، كانت شاحبة اللون كمعطف الطبيب، وأغمضت عينيها في ألم وهي تتخيل، لقد كانت تسمع عما كان مخططًا أن يحدث لها في ليلة البارحة، قال فينلاي للطبيب: أكمل.

- بعدها قاموا بتقطيع جسد الزوجة وذبحوها ثم ذبحوا ماريسون بعد ذلك، الجروح في العنق هي الأخيرة في الترتيب.

صمتنا جميعًا، ونحن نستوعب تفاصيل تلك المجزرة ثم سألته: ما الأسلحة المستخدمة؟

نظر لي الطبيب بعينين مرهقتين: أشياء حادة لا ريب، بطول ٥ سم على الأقل

- أمواس حلاقة؟

- كلا، أكثر حدة، بنصل قوي وسميك.

- ما الذي يجعلك تفترض هذا؟

- الجروح الغائرة في الجلد، لم تستغرق عملية القطع سوى تحريك الأداة مرتين فحسب، كأنك تقطع سمكة قمت باصطيادها..

لم أجد ما أرد به، ولم أشأ النظر لفينلاي أو روسكو..

ثم قلت في النهاية: وماذا عن الملف الثالث؟ يخص شيرمان ستولر أليس كذلك؟

التقط الطبيب الملف الثالث وعقد حاجبيه قائلًا: لم أكن أعرف أن اسمه ستولر، لقد وضعناه باسم جون دو(5) ، ولو كانت أنثى يكون الاسم «جان دو» لحين اتضاح الْهُوِيَّة».

رفعت روسكو رأسها وعلقت: لقد أرسلنا إليك فاكسًا باسمه بعد أن تعقبنا بصماته.

ذهب الطبيب وتفحص جهاز الفاكس العتيق الخاص به وقرأ وريقة بيضاء وبعدها ورقة طويلة، ثم عاد وحذف اسم جون دو ليستبدله بشيرمان ستولر قبل أن يقول: لقد وصلتني جثة السيد ستولر يوم الأحد، لقد أكلت الفئران الكثير من جثته، لكن رغمًا عن هذا حالته أفضل من جو ريتشر، وبالتأكيد ليس في سوء حال آل ماريسون، وقد أخبرتكم بشأن الرصاصات من قبل.. لا إضافات بخصوص تلك الجزئية..

انتقلت عيناي من الطبيب للملف ثم إليه مرة أخرى، الملف سميك ولا يشي أنه سيحتوي على تلك المعلومات فقط، سألته: لقد كان سائق شاحنة أليس كذلك؟

- بلى.

رفع فينلاي رأسه باهتمام، كان يعشق عملية الاستنباط، كان مولعًا بها في الحقيقة، وقد استشففت هذا من ردة فعله عندما خمنت بشأن دراسته في هارفارد وطلاقه وإقلاعه عن التدخين، أردف الطبيب بعد أن أخبره فينلاي أن يتابع الحديث: حسنًا باختصار لقد وجدت عوامل مقنعة لوظيفة تتطلب الجلوس وتحميل الجهد على اليدين، وآثار وقود شاحنات على حذائه، ترهل في الجسد، وغذاء غير صحي كالوجبات السريعة، هذا رجل أمضى حياته خارج بيته، ورأيي أنه سائق شاحنة، وليس سيارة بسبب نوع الوقود.

أوقفناه أنا وفينلاي فبدا عليه الاضطراب من صحة تخمينه، وبدا أيضًا أنه يمتلك الكثير من المعلومات: لكنه كان عاطلًا لفترة طويلة قبل مقتله.

سأله فينلاي: لماذا؟

- لأن كل تلك الأدلة التي ذكرتها قديمة، أعتقد أنه لم يَقُد شاحنة لتسعة أشهر، أو ربما عام قبيل مقتله.

- عمل رائع أيها الطبيب أهنئك، هل لديك ما قلته في صورة تقرير لنا؟

سأله فينلاي وأعطاه الطبيب مظروفًا ضخمًا يحتوي على التقارير، فور أن تلقى فينلاي التقارير أردت الابتعاد عن المشرحة، لم أرد رؤية جثة ماريسون وزوجته، وبعد أن استشعر كل من فينلاي وروسكو هذا تحركا معي وخرجنا

مسرعين دون أن يبدي الطبيب أي اندهاش؛ فهو قد تعود على رغبة البعض في الابتعاد مسرعين عن مكان عمله، دلف ثلاثتنا للسيارة بعد خروجنا.

أخرج فينلاي التقارير من المظروف، ووضعها في جيبه وهو يقول: تلك تخصنا نحن فقط الآن، لن يراها تيل، أعتقد أنها ستكون مفيدة.

- وأنا سأحصل على سجل اعتقال ستولر من فلوريدا غدًا، وربما عنوانه، وقد يقودنا هذا لرخصته وسجله الطبي.

- حسنًا يا روسكو لنأمل.

نظرت من النافذة، وعدنا لمارجرايف في صمت، مخفر الشرطة كان شبه خالٍ باستثناء شرطي الاستقبال، إنه موعد استراحة الغذاء في واشنطن، وفي مارجرايف كذلك لأنه التوقيت نفسه(6) ، دخلنا مكتب فينلاي وأعطاني ورقة بها رقم، ثم تركني وحدي وكذا فعلت روسكو، وقمت بالاتصال بحبيبة أخي الميت.

***

عندما أخبرت مولي بيث جوردون باسمي بعد أن أجابت هاتفها مسرعة، بكت هي وقالت: صوتك يشبه جو.

لم أرد، لم أرد الانجراف وراء العاطفة في تلك اللحظة؛ لأنها تجازف وتخاطر بعملها بمجرد حديثها معي..

سألتها: ما الذي كان جو يفعله في مارجرايف؟

سمعتها تسعل وتستنشق وتستجمع قواها قبل أن تقول مسرعة: لقد كان يجري تحقيقًا.

- بخصوص ماذا؟

- لا أعلم على وجه التحديد.

- في أي مجال؟ ما هي وظيفته؟

- ألا تعلم وظيفته؟

- كلا، لم نكن مقربين في الآونة الأخيرة، حاولي أن تشرحي لي ببساطة ومنذ البداية.

صمتت طويلًا وهي تستوعب ما قلته لها، ثم همست: لا يجب أن أخبرك بما أنا على وشك قوله دون تصريح، لكني سأفعل من أجل جو، لقد كان يعمل في قسم تزوير الأموال، لقد كان يدير قسم مكافحة تزوير الأموال بالوزارة..

- تزوير الأموال؟

- نعم وكما قلت لك كان يدير القسم كله بطريقة لم يرها أحد من قبل، لقد كان بارعًا بشكل لا يوصف.

- ولكن لماذا ذهب لمارجرايف في جورجيا؟

- أنا حقًّا لا أعرف، لكني سوف أتوصل لتلك الإجابة، سأنسخ ملفاته كلها من أجلك لتراها، لو كنت بارعًا مثله، فربما أمكنك فهم ما كان يحاول عمله في تلك البلدة

المشؤومة..

قطعت هي حديثها مرة أخرى، والآن أنا أعرف شيئًا عن مولي بيث جوردون، كضابط عسكري سابق فأنا قد قضيت وقتًا في دراسة علم النفس الخاص بشفرات الحواسب الآلية، الطريقة التي يؤلف بها المرء كلمة السر الخاصة به، أغلب المستخدمين يتخذون القرارات الخاطئة بشأن كلمات السر الخاصة بهم، الكثيرون منهم يكتبون شفراتهم في ورقة ويلصقونها بحاسبهم كي لا ينسوها، والأذكياء يستخدمون اسم زوجتهم، أو حيوانهم الأليف، أو نوع سيارتهم المفضل، أحيانًا نجمهم الرياضي الأقرب لقلبهم، بعضهم، الرومانسيون منهم يكتبون اسم الجزيرة التي قضوا بها شهر العسل، أو اسم الفتاة التي كانوا معجبين بها، أما الأذكياء بحق فيستخدمون أرقامًا وأحرفًا غريبة لا توجد صلة منطقية بها، آخرون يستخدمون تواريخ أعياد ميلادهم، أو ذكرى يوم زواجهم، لكن كما قلت الأذكياء حقًّا يستخدمون أحرفًا وأرقامًا وشفرات غير منطقية لا يعرفها سواهم، وسيكون جو من ضمن القائمة الأخيرة، الأذكياء بشدة، وكلمة السر الخاصة به ستكون عبارة عن أحرف، وأرقام، وعلامات ترقيم، أحرف كبيرة وصغيرة، ستكون معقدة للغاية، ولن يعرفها أحد غيره، وبما أن مولي تعرف كلمة السر الخاصة -هذا ما استنتجته من كلامها- فهذا يعني أن جو أعطاها كلمة السر؛ وبالتالي هما كانا مقربين للغاية، لقد كان يثق بها؛ ولذا جعلت صوتي

متعاطفًا ورقيقًا وأنا أقول لها: أشكرك يا مولي سيكون هذا رائعًا فأنا حقًّا بحاجة لتلك المعلومات.

- أنا أعلم أنك بحاجة إليها، أنا آمل بالحصول عليها في الغد، سأتصل بك حينئذ فور أن أتوصل لشيء.

- هل هناك تزوير أموال يجري هنا في مارجرايف؟ هل هذا هو ما يحدث؟

- كلا، تلك ليست كيفية مجرى الأمور، تزوير الأموال لا يتم داخل الولايات، سيكون هناك طرف خارجي يقوم بالعملية بالخارج، كل ما تعرفه عن رجال بنظارات سوداء ومخازن سرية عبارة عن محض هُراء، كما أن جو تمكن من إيقاف عمليات تزوير الأموال في واشنطن ونيورك، لقد كان عبقريًّا بحق، لقد وضع إجراءات خاصة بالتعقب تجعلنا قادرين على إيقاف أي شخص يحاول الإدراج بتلك التجارة، طباعة الأموال المزورة داخل الولايات لم يعد يحدث، هذا جزء من الماضي، كل شيء يتم بالخارج، ويتم شحنة الدفعات من الأموال المزورة إلينا، هذا ما كان جو يحاول إيقافه عبر المنظمات الدولية، أما عن سبب كونه في مارجرايف، جورجيا، فأنا حقًّا لا أعلم، لكني سأعرف السبب، أعدك بهذا.

أعطيتها رقم مخفر الشرطة، وأكدت عليها ألا تتحدث مع أي أحد سوى فينلاي أو روسكو، وجلست أحاول تخيل شكلها بعدما أنهينا المكالمة، لمحت تيل في مكتبه ومعه

كلاينر الكبير، كانوا يتبادلان حديثًا خافتًا، بالطريقة نفسها التي تحدث بها كلاينر مع إينو في المطعم، روسكو وفينلاي كانا يقفان متجاورين بانتظاري، ذهبت ووقفت بينهما قائلًا: تزوير أموال، هذا ما يجري هنا، تزوير أموال.. جو كان يلاحق منظمة دولية تضخ بشحناتها لمارجرايف؛ لأنه يدير قسم مكافحة تزوير الأموال بوزارة المالية، هل تعرفان أي شيء عن تزوير أموال يتم هنا؟

تنهد الاثنان وهزا رأسيهما نفيًا، سمعت حركة من خلفي فالتفت لأجد كلاينر يرحل وتيل في طريقه إلينا، قلت لهما: أنا راحل من المخفر الآن، وداعًا

مررت جوار تيل وخرجت مسرعًا، لأجد كلاينر يقف أمام الباب بابتسامة واسعة تظهر كل أسنانه، لقد كان ينتظرني..

- مستر ريتشر أنا آسف لخسارتك، تعازي الحارة!

صوته هادئ وواثق بنفسه، رجل متعلم ومثقف، ثم أردف: أنت أزعجت ابني يا مستر ريتشر.

- هو أزعجني أولًا.

سأل كلاينر بحدة: كيف؟

- لأنه كان حيًّا ويتنفس، هذا أمر مزعج جِدًّا.

رحل كلاينر دون كلام إضافي، استقل شاحنته، قاد شمالًا ثم يسارًا باتجاه بيت روسكو، استقللت أنا البنتلي

وقدتها يمينًا، توقفت عند متجر الملابس وابتعت ثيابًا بمصاريف تشارلي هوبل، قميصًا وسروالًا وسترة رمادية، حُلَّة رسمية دون ربطة عنق، مررت بعدها بمحل الحلاق الذي كان على بعد ثلاث بنايات، أوقفني الحلاق العجوز -الأصغر سنًّا من الآخر- ووضع يده على كتفي بودية سائلًا: ما هو اسمك يا ولدي؟

لم أجد سببًا يمنعني من الإجابة.

- جاك ريتشر.

- هل لديك أصدقاء لاتينيون في المدينة؟

- كلا، لماذا؟

- لأن لديك الآن، أصدقاء لاتينيين أعني أن اثنين منهما، يبحثان عنك في كل صوب.

نظرت إليه، كان يبحث بعينيه في الشارع ويمسح المنطقة كلها بناظريه عندما قلت له: من هما؟

- لم أرهما من قبل، صغار الحجم من أمريكا اللاتينية، أو إسبانيا، لديهما سيارة بنية اللون ويرتديان قمصانًا صيفية غريبة، هما في أنحاء مارجرايف بأسرها، يسألان عنك، يبغيان إيجادك بشدة، لكننا قلنا لهما مرارًا وتكرارًا: إننا لا نعرف أحدًا باسم جاك ريتشر.

- متى كان هذا؟

- هذا الصباح، بعد أن تناولنا الإفطار.

- حسنًا، شكرًا لك.

فتح باب المحل ودعاني للداخل مضيفًا: انضم إلينا، سيعتني بك رفيقي.

- حسنا.. شكرًا لك مرة أخرى.

هز يده بمعنى لا شكر على واجب، ورحل هو بينما دخلت أنا محل الحلاقة صوب زميله الأكبر سنًّا، الرجل الذي غنت أخته مع بلايك الأعمى، الموسيقار الذي قادتني ذكراه لمارجرايف..

- صباح الخير يا صديقي.

نظرت له مندهشًا، وقلت: أتتذكرني؟

- بالطبع، لقد كنت آخرَ عميل لدينا، وأنا دومًا أتذكر آخر عميل..

طلبت منه حلاقة وجه سريعة، وقلت له وهو يعمل: أنا كنت آخر عميل لديك إذن، لكن هذا كان يوم الأحد واليوم هو الثلاثاء، هل العمل دومًا بهذا السوء هنا؟

توقف الرجل عن الحلاقة وهو يلوح بالموس في يده هاتفًا: لقد كان العمل راكدًا بهذا الشكل لأعوام، العجوز تيل لم يعد يأتي ليحلق هنا، وكل ذوات الْبَشَرَة البيضاء في البلدة يقتدون بما يفعله العمدة العجوز، ما عدا السيد جراي، فكان يحلق هنا دومًا، جراي كان رئيس المحققين بقسم الشرطة، كان عميلًا رائعًا قبل أن يشنق نفسه،

ليرحمه الله، ويريح روحه، أنت أول رجل أبيض يزورنا من موت السيد جراي، هذا بالتأكيد يا سيدي، أنت أول رجل أبيض أراه في محلنا المتواضع منذ موت السيد جراي..

- ولماذا لا يأتي تيل ليحلق عندك؟

- لأنه وغدُ عنصري، لا يريد أن يجلس تحت منشفة زنجي يحلق له لحيته اللعينة وشعر رأسه السقيم.. ربما هو قلق بحدوث شيء سيئ له؟

- حدوث شيء سيئ له؟

- هاها.. لأنه وغد متطير.

- إذن لديك عملاء سود الْبَشَرَة كافون لكسب قوط يومك؟

- نحن لسنا بحاجة لعملاء يا رجل.

- حقًّا؟ لماذا؟

- نحن نحصل على مال خدمة المجتمع.

- كم؟

- ألف دولار.

- ومن الذي يعطيك إياها؟

- مؤسسة كلاينر..

همس بالإجابة وأردف: لديهم برنامج لخدمة المجتمع، وإعطاء المنح، نحن نحصل على المال منه لخمسة أعوام.

- هذا جيد، لكن ألف دولار سنويًّا لن تكفيك..

كنت أجري محادثة عابرة مثلما يفعل الجميع مع الحلاقين.. لكن الرجل العجوز تحمس للحديث، كان يرتجف من الحماسة، وهذا تسبب بعطلة كبيرة بالنسب لإنهاء الحلاقة، كنت أحدق به بحرقة في المرآة، ستكون نهاية مفجعة بعد نجاتي من ليلة البارحة أن أموت؛ لأن حلاقًا عجوزًا متحمسًا نحر عنقي بالخطأ..

- اسمعني يا رجل، لا يجب أن أخبرك بما أنا بصدد قوله لك، إنه لسر كبير، لكن بما أنك صديق أختي، فسوف أخبرك.

كان مشوش الذهن كذلك فأنا لست بصديق أخته، أنا لا أعرفها، هو أخبرني بشأنها فحسب، كان يقف بالموس في يده، ونتبادل النظرات في المرآة، قال الرجل: المبلغ ليس ألف دولار سنويًّا.

ثم انحنى وهمس في أذني: إنه ألف دولار أسبوعيًّا.

ثم ضحك كشخصية شيطانية في فيلم كرتون، ورطب وجهي بالمسحوق وواصل الحلاقة، ثم مسح وجهي بالمنشفة وهو يردف ضاحكًا: لهذا نحن لا نحتاج لعملاء.

نقدته ماله ورحلت، صاح وأنا في طريقي للرحيل: قل

مرحبًا لأختي عندما تراها..

لقد كان الرجل مخبولًا..

***

الفصل السابع عشر

بوجهٍ حليق والسترة التي ابتعتها، ذهبت لأطلانطا حيث يقع المصرف الذي يعمل به بول هوبل، الرحلة استغرقت خمسين ميلًا، قرابة ساعة من الزمن، قادني الطريق السريع مباشرة لمدينة أطلانطا، وبعدما سألت شرطي مرور عن مكان المنطقة التجارية، أو منطقة البنوك حسبما يسمونها، تبعت إرشاداته، مصرف «صن رايز» الدولفي كان يمتلك مبنى خاصًّا به، بناية زجاجية فارهة، تكاد تنطح السحاب، مدخل المصرف كان من الرخام الفاخر، يحاول جاهدًا أن يبدو كمدخل مصرف في لندن، سألت في الاستقبال عن مكتب بول هوبل، نظرت لي موظفة الاستقبال واعتذرت بلباقة قائلة إنها جديدة في المصرف ولم تحفظ كل الوجوه بعد، وأن عَلَيَّ الانتظار للحظة لحين استخراجها لتصريح هُوِيَّة زائر من أجلي، والتقطت سماعة الهاتف متحدثة وهي تضع يدها على فمها قبل أن تسألني: هل لي أن أعلم سبب الزيارة؟

- شخصي، أنا صديقه.

استأنفت الفتاة وبعدها قامت بتوجيهي لأحد المصاعد، وجدت نفسي بعد أن استقللته في ردهة استقبال أخرى بالطابق السابع عشر، والذي بدا بدوره كنادٍ ريفي للرجال بدلًا منه مصرف، خرج رجل متأنق واستقبلني وسألني بودٍّ بعد أن شد على يدي وعرف نفسه أنه مدير شيء ما

هنا: كيف يمكنني مساعدتك؟

- أنا أبحث عن بول هوبل.

- هل لي أن أعرف السبب؟

- هو صديق قديم، وقد تذكرت أنه أخبرني أنه يعمل هنا، والحقيقة أني كنت أمر في المنطقة ولذا فكرت في زيارته.

- الحقيقة المؤسفة يا سيدي أن مستر هوبل لم يعد يعمل معنا، لقد اضطررنا لتسريحه منذ ثمانية عشر شهراً.

استوعبت تلك المعلومة ببطء، ولم أظهر أي تعبير أو ردة فعل، لو سألت هذا الرجل أي سؤال سيتحول لمحامٍ رسمي ولن يعطيني أي معلومات أخرى؛ لذا قررت تركه يعتقد أني صديق هوبل الذي يشعر بالأسى من أجله؛ لأني أعلم أن هذا الرجل يحب إبهار من يحدثهم، هو ثرثار وينتمي لمدرسة النميمة؛ لذا اعتلى وجهي تعبير من الأسى..

- لم يكن ما حدث خطأ بول، لقد كان يؤدي وظيفته بشكل رائع، لكنه كان يعمل في مجال اضطررنا للتخلي عنه، كان قرارًا استراتيجيًّا من مجلس الإدارة، وكان لهذا القرار وقع مؤسف لكل الأشخاص المعنيين مثل بول..

هززت رأسي كأني أفهم ما يعني جَيِّدًا وقلت: الحقيقة أن الاتصال بيني وبين بول كان منقطعًا منذ فترة طويلة، لم أعلم أن هذا حدث له، أنا لم أعلم حتى ما هي وظيفته هنا.

وابتسمت متظاهراً بالبلاهة والجهل، وقد كان لتلك النظرة تأثير السحر على الرجل الذي قال: لقد كان يعمل في قسم البيع بالتجزئة.

- بيع بالتجزئة؟ قلتها وأنا أنظر له بمزيد من التشجيع كي يتحدث.

- صرف شيكات آجلة، وقروض شخصية للعملاء.

- وأنتم أغلقتم هذا؟ لماذا؟

- مكلف جِدًّا.

- آه وبول كان جزءًا مهمًّا في القسم؟

- بلى، لقد كان مدير قسم العملة.. لقد كانت تلك وظيفة مهمة...

- وما الذي كان يفعله بالضبط في تلك الوظيفة؟

بدت الحيرة على وجه الرجل الذي لم يجد طريقة سريعة وواضحة لشرح الوظيفة لي ثم سألني: هل تفهم عالم الأموال؟

- لَدَيَّ بعض المال، لكني لا أعرف إن كنت أفهمه على وجه التحديد.

وقف الرجل وأشار لي أن أتبعه، ووقف كلانا قبالة النافذة، أشار هو لرجل يسير في الشارع وقال: خذ هذا الرجل على سبيل المثال، لنخمن القليل عنه، هو في

الأغلب يحيا بحي فاخر، ولديه كابينة خاصة به للتصييف وقضاء الإجازة، سيارتان ووديعة مصرفية، أموال محفوظة ليدخل أولاده الجامعة، وخمسة أو ستة بطاقات ائتمانية، لنقل إن تقديره المالي سيكون قرابة النصف مليون..

- حسنًا.

- ولكن ما هو قدر المال النقدي الذي يمتلكه؟

- لا أعلم.

- حوالي خمسين دولارًا، وستجدهم في حافظة جلدية ثمنها مئتا دولار..

نظرت إليه بعدم فهم، لا أفهم ما يرمي إليه، كان الرجل صبورًا في شرحه وغير من طريقته متابعًا: الاقتصاد الأمريكي ضخم للغاية، حسابات الدائن والمدين هائلة، تريوليونات من الدولارات، لكن المال النقدي لا يمثلها بل الممتلكات والعقارات والودائع المصرفية، ما أردت قوله هو قيمة الرجل الذي أشرت إليه هي نصف مليون دولار، لكنه لا يحمل في حافظته سوى خمسين دولارًا، والباقي كلها أموال رقمية، الولايات المتحدة بأسرها لا تحتوي سوى على مئة وثلاثين بليونًا من المال النقدي.

- يبدو كرقم كافٍ بالنسبة لي.

نظر لي الرجل كأني معتوه وقال: احسب الكثافة السكانية، ثلاثة مئة مليون فرد، هذا يعني أربعمائة وخمسين

دولارًا للشخص الواحد، وتلك مشكلة يواجهها قسم البيع بالتجزئة يوميًّا في المصارف، أربعمائة وخمسون دولارًا مبلغ بسيط ومتواضع ولكن عندما يسحبه الجميع دفعة واحدة يوميًّا فلسوف تواجه مصارف الدولة أزمة عاتية.

توقف ونظر لي فقلت: فهمتك.

- كما أن أغلب المال النقدي ليس في المصارف، بل في حلبة رهانات السباق بلاس فيغاس، أو ما نطلق نحن عليه أماكن در الأموال النقدية للاقتصاد، ومهمة مستر بول هوبل -الذي كان بارعًا للغاية في وظيفته- هي إبقاء ما يكفي من المال النقدي في أنظمة المصرف، وتلك مُهِمَّة صعبة وشديدة التعقيد، عليه أن يجد أماكن المال النقدي، يشمهم ويتتبعهم، يحدد كيف يأخذها كودائع عندنا، ونظرًا للتكلفة وصعوبة الأمر اضطررنا آسفين لغلق هذا القسم وتسريح مستر هوبل.

- هل لديك أي فكرة أين يعمل الآن؟

- كلا للأسف.

- لكن لا بد أنه يعمل في مكان ما أليس كذلك؟

هز الرجل رأسه، وقال: عمليًّا لقد اختفى هوبل، أنا أعلم أنه لم يعد يعمل في مجال المصارف، أنا واثق من هذا، عضويته في الاتحاد سقطت، ولم نسمع عن مسؤول التوظيف يطلب استفسارًا عن طلب تقديم من بول، ولم يطلب بول نفسه أي ترشيح مكتوب منا، أنا آسف لأني

لا أستطيع مساعدتك في إيجاده، لو كان يعمل في مجالنا للحظتنا تلك لكنت علمت، أنا أؤكد لك، لقد غير مجاله.

تنهدت، لقد اختفى الأثر الذي كنت آمل أن أتتبع هوبل من خلاله، ومحادثتي مع الرجل قد انتهت، لغة جسده تقول هذا بوضوح، كان يتململ في جلسته استعدادًا للرحيل، شكرته وصافحته، ثم رحلت من المصرف..

في طريق عودتي لمارجرايف قمت بمراجعة المعلومات التي حصلت عليها في ذهني، أنا كنت مخطئًا، هوبل لم يكن مصرفيًّا يحرر الشيكات، ويقابل العملاء ويقوم بنشاط إجرامي إلى جانب هذا، هوبل لم يعمل في مصرف لمدة عام ونصف، لقد كان يعمل في النشاط الإجرامي بدوام كامل، ويحصل على أموال معيشته من تلك الوظيفة الجديدة، لقد كان في قلب الحدث ويعمل في نقطة مركزية تخص هذا النشاط غير القانوني الذي يدور في مارجرايف.

***

عدت لمخفر الشرطة، ركنت السيارة وذهبت بحثًا عن روسكو، تيل كان يقف يراقب الأمور خارج مكتبه لكن موظف الاستقبال غمز لي وأشار برأسه أن روسكو في غرفة السجلات، ذهبت هناك فنظرتْ لي في إعياء لكنها ابتسمت قائلة: آه مرحبًا يا ريتشر، تعال وخذني بعيدًا عن كل هذا..

- هل هناك جديد؟

- أشياء عدة، تيل سيحضر اجتماع مؤسسة كلاينر خلال عشر دقائق وفور رحيله سأحصل على الفاكس من فلوريدا، كما أننا ننتظر مكالمة من شرطة الولاية بخصوص سيارة جو..

- أين المسدس الذي أحضرتيه من أجلي؟

توقفت روسكو لبرهة وعضت شفتيها، وهي تتذكر لماذا احتاج لواحد، ثم قالت: في الدرج الأول بمكتبي.. انتظر لحين رحيل تيل، وخذه ستجده في صندوق، لا تفتح الصندوق كي لا يراك أحد..

خرجنا من غرفة السجلات وذهبنا لمكتبها، وجلسنا ننتظر، لمحت اسم ماريسون معلقًا على باب مكتب تيل، مرت خمس دقائق، وعشرة، ثم أتى بايكر وابتسم لنا لأرى سنه الذهبية وقال: لقد رحل تيل.

ذهبت روسكو لآلة الفاكس والتقطت سماعة الهاتف لتتصل بفلوريدا، واتصل فينلاي بشرطة الولاية ليقتفي أثر سيارة جو عن طريق البحث خلال السيارات المهجورة التي وجدوها مؤخرًا، جلست أنا واتصلت بتشارلي هوبل، الرقم الذي تركه جو في وريقة بحذائه قبل أن يهشموا عظامه، لم أتلقَّ ردًّا، مجرد بريد آلي، نظرت لروسكو وقلت: هاتف تشارلي اللعين مغلق.

لمحت بايكر يقف بالقرب منا وينظر إلينا فذهبت لروسكو

وسألتها: هل يريد بايكر الانضمام إلينا؟

- يبدو الأمر كهذا، فينلاي جعله يتصرف كحارس لنا ليس أكثر، هل نجعله ينضم إلينا؟

فكرت بحرص وبشدة ثم هززت رأسي نفيًا.

- كلا، كلما كانت الأعداد قليلة كان هذا أفضل في الوقت الحالي.

حاولت الاتصال بتشارلي مرة أخرى، هاتفها مغلق، تبًّا.. قلت لنفسي محنقًا. وأردفت: أنا بحاجة لمعرفة أين كان يقضي هوبل أيامه في آخر عام ونصف، لربما تعرف هي عن طريق فاتورة مطعم أو متجر، ربما تتذكر كلمة بلورياس، لكن كلا عليها أن تغلق هاتفها..

- ريتشر.

التفت لروسكو التي أردفت: لقد حصلت على معلومات بخصوص شيرمان ستولر.

كانت تحمل أوراق الفاكس القادم من فلوريدا في يديها.

- رائع!

أتى فينلاي بدوره بعد أن أنهى مكالمته مع شرطة الولاية.. وغمغم: سيعاودون الاتصال بي بشأن السيارة أعتقد أنهم قد يتوصلون لشيء.

- رائع!

عدنا بسرعة لمكتب فينلاي وفردنا أوراق الفاكس، ثم انحنى ثلاثتنا لنقرأ ما بها في الآونة نفسها.. أول شيء طالعته عيناي كان تقرير اعتقال خاصًّا بشيرمان ستولر ومكان الواقعة في «جاكسونفيل» بفلوريدا، غمغمت: بلايك الأعمى ولد في جاكسونفيل، هل كنتم تعرفون هذا؟

- من هو بلايك الأعمى؟

سألت روسكو وأجابها فينلاي: مغنٍّ.

- كلا، لقد كان عازف جيتار يا فينلاي.

أوضح سجل الاعتقال أن شيرمون ستولر كان يقود شاحنته مسرعًا، وتم إيقافه من قبل سيارة دورية شرطة بشبهة القيادة تحت تأثير الخمر، وتم تفتيش الشاحنة بواسطة كلب بوليسي والشرطي نفسه، لم يكن هناك سوى عشرين صندوق مغلقة بختم المصنع وأرقام تسلسلية، أعطاهم شيرمان عنوانه في أطلانطا، وأخبرهم أن وظيفته هي قيادة الشاحنة، وأجرى مكالمة هاتفية، وبعد عشرين دقيقة أتى محامٍ يدعى بيريز من شركة قانون كبيرة، وتم إخلاء سبيل شيرمان.

- يتم القبض على سائق شاحنة في منتصف الليل على بعد مئات الأميال من منزله فيأتيه محامٍ باهظ التكلفة ليخلي سبيله في دقائق؟ هذا أمر مثير للاهتمام جِدًّا!

- أوافقك يا فينلاي، روسكو هل حصلتِ على عنوانه التفصيلي؟

- كلا ولكن بإمكاني أن أجده.

انفتح الباب وأطل علينا بايكر برأسه هامسًا: شرطة الولاية على الهاتف يا فينلاي، لقد وجدوا السيارة التي تبحث عنها، يريدونك أن تذهب إليهم وتتفقدها.

تفقد فينلاي ليرى إن كان الوقت سيكفيه قبل عودة تيل، وغمغم: حسنًا..

قمنا مسرعين ورتبنا المكتب آخذين الملفات كي لا يجدها تيل وخرجنا، نادى بايكر من خلفنا: ما الذي أقوله لتيل عندما يعود؟

- أخبره أننا وجدنا السيارة التي استخدمها المجنون الهارب الذي قتل ماريسون وذهبنا لنتفقدها، أخبره أننا نجري تقدمًا رهيبًا في التحقيق.

***

قاد فينلاي سيارته المطابقة لسيارة روسكو، وصلنا لمنطقة صيانة وتفكيك وإعادة هيكلة سيارات على الطريق السريع بعد مرتفعات «يالو»، وركن فينلاي سيارته مشيرًا أمامه: ها هي ذي، لقد لاحظوها هذا الصباح، لم تكن هنا من قبل، لم تكن في المنطقة يوم الخميس هم واثقون من هذا، ربما تكون سيارة جو..

اقتربنا من السيارة وتفحصناها، كانت مفككة بالكامل، أغلب المعدن تم التخلص منه، خمن فينلاي أنها قد تكون «جينرال موتورز» لكني لم أستطع التحديد، كانت متوسطة الحجم، صيدان، دخلت في النصف الأمامي وبحثت برأسي بينما تولى كل من فينلاي وروسكو الخلف، سألني: ما الذي تعتقده؟

- ربما تكون هي، لنفترض أن جو قام بتأجيرها يوم الخميس يوم وصوله من المطار، نعم يبدو الأمر منطقيًّا، وهم تخلصوا من السيارة عن طريق وضعها في منطقة إعادة الهيكلة، أعني لا بد أن كل الرجال المحليون يعرفون عنوان منطقة الصيانة تلك..

ظلت روسكو صامتة، ووافقني فينلاي قبل أن يقول: لنعد للمخفر..

- انتظر.

قلتها وأنا أنحني للأمام مرة أخرى، لأتفحص الانبعاج أسفل ما تبقى من الصندوق أمامي، والتقطت ورقة بيضاء مدونًا عليها شيء ما، أخذتها واعتدلت واقفًا، نظر كل منهما لما أحمله في يدي، كان هناك رقم دوِّن على الورقة..

***

فور أن عدنا لقسم الشرطة قال بايكر لفينلاي: تيل يريد رؤيتك في مكتبه..

تنهد فينلاي وبدأ يسير صوب مكتب تيل عندما أمسكت ذراعه وهمست: ماطله بالداخل، أعطي روسكو الوقت لتتصل بالرقم الذي وجدناه بالسيارة، «حسنًا» قالها فينلاي ودخل مكتب تيل، وبدأت روسكو في إجراء المكالمة لكني قاطعتها هامسًا: أعطني المسدس قبل أن يخرج تيل من المكتب، أدارت روسكو عينيها الجميلتين للتأكد من أن أحدًا لا يراها وأخرجت مفتاحًا من الحزام المعلق على خاصرتها وفتحت الدرج، أعطتني الصندوق في صمت وذهبت لإجراء المكالمة، مسحت بيدي على وجهها، ثم خرجت وجلست في السيارة البنتلي، تفحصت المسدس، كان مكتوبًا عليه: جراي..

جراي هو رئيس المحققين الذي شنق نفسه، والآن أنا أمتلك سلاحه..

كان الصندوق فارغًا اللهم إلا من السلاح والرصاص، كان مسدسًا قويًّا بحق، من نوعية «صقر الصحراء»، وهو أشبه بالبندقية ذات الدفع الثنائي في قوته الارتطامية، هنا لمحت سيارة سوداء خلفي، بها الرجلان اللاتينيان اللذان يبحثان عني في كل صوب حسب ما قاله الحلاق، يجلسان في السيارة وأعينهما ترتكزان عَلَيَّ، حدقت بهما لخمس دقائق كاملة، لم يبدُ أنهما ينتويان فعل شيء الآن سوى مراقبتي؛ لذا عدت بعيني للسلاح، ماسورة ١٤ سم، تفحصت الرصاص، عيار ٤٤، هذا يزيد من ثقل السلاح، ليس مثل عيار رصاصات ٣٨ في سلاح

الشرطة المعتاد، لكن سرعة الرصاصات لن تختلف، هذا سلاح وحشي وقوي وبالتأكيد جراي لم يحصل عليه من قسم الشرطة، لقد كان جراي جامعًا للأسلحة بلا شك، قمت بتعبئة السلاح بالرصاصات وجذبت المشط مرتين للتأكد من فعاليته.

ثم عدت بعيني إلى الرجلين في سيارتهما اللذين لا يزالان يراقبانني، تبادلنا النظرات مرة أخرى، كانا جالسين مسترخيين، خرجت من السيارة وعدت لمخفر الشرطة، التفت للخلف قبل أن أدخل، لا يزالان يراقبانني..

لوحتْ لي روسكو بحماس فور أن دخلت، وأشارت لي أن أنتظر، كانت لا تزال تتحدث عبر الهاتف، لا بد أنها توصلت لشيء ما، ولكن فور أن أنهت المكالمة خرج تيل مجمَّر الوجه وحانقًا من مكتبه يتبعه فينلاي، خرج تيل فسألت فينلاي: ما به؟

- كان يحاول أن يضغط عَلَيَّ، وسألني ما الذي كنا نفعله وأي سيارة نتتبعها لكني قلت له إن بايكر سمعنا بشكل خاطئ، وإن ما قلته له: إننا ذاهبون لجولة سريعة ليس أكثر لكنه خلط بين كلمة جولة سريعة وسيارة .(7)

- كن حذرًا يا فينلاي، إنهم يقتلون القوم، لا تستهن بهم.

- الأمر كله يثير جنوني يا ريتشر..

- لا يوجد جديد من بيكارد؟

- كلا، يعتني بالعائلة فحسب.

- هل أرسل رجلين للمراقبة؟

- ليس دون أن يخبرني، لماذا؟

- هناك رجلان يراقبان المكان وأنا بالأخص بالخارج الآن.

أتت روسكو قبل أن يرد، وأغلقت باب مكتبه خلفها كأن تيل سيحاول اللحاق بها واقتحام المكان، وتأكدت هي من إحكام موصد الباب، ثم قالت: لقد اتصلت بيدترويت، هم يتعقبون بيانات التسجيل الخاصة بالسيارة وتأجيرها، قلت لهم أن يسلموا المعلومات لبيكارد في أطلانطا.

شعرت كأننا نقترب، أكاد أسمع صدى صوت جو وهو يقول لي إني أقترب من فهم ما حدث له..

- عمل رائع يا روسكو، اعتنيا ببعضكما واحترسا لحين أعود، سألقاك في تمام السادسة يا روسكو، الوداع الآن.

- إلى أين أنت ذاهب؟

- سأتجول في مارجرايف، هناك بعض الأصدقاء الذين ينتظرونني بالخارج.

- ها؟

- فينلاي سيشرح لك.

***

عندما خرجت وجدتهما في السيارة كما تركتهما وأعينهما تراقبني، استقللت البنتلي، أدرت المحرك وقدت السيارة، لتبدأ اللعبة..

***

الفصل الثامن عشر

كانا في إثري يزيدان من سرعتهما كلما زدت أنا من سرعتي..

كانا يقتفيان أثري بشكل واضح دون حاجة لمرواغة أو اختباء، يحتفظان بمسافة أربعين مترًا بيني وبينهما، كنت أمر جوار مطعم إينو عندما نظرت إليهما في المرأة الخلفية، بادلاني النظرات بهدوء.. واصلت القيادة وتبعانني حيثما ذهبت، شمالًا وجنوبًا، في كل أرجاء مارجرايف.. غير عالمين أني أقودهما لشَرَك..

قدت السيارة لعدة كليومترات، وأنا أبحث عن مكان مناسب.. ناءٍ ومنعزل، ثم وجدت البقعة المناسبة، كنت قد لمحتها أول مرة وأنا في الحافلة المتجهة للسجن، الأشجار تحيط بها من كل صوب، أرض خالية ومهجورة، شبه مختفية.. قدت السيارة إليها، وتبعني الرجلان في سيارتهما، زدت من سرعة السيارة واختفيت بين الأشجار، وثبت دواسة البنزين بالصندوق الخالي ثم قفزت من السيارة التي تسير ببطء وسط الأشجار والمسدس في يدي، كنت أزحف عبر الأعشاب بين الأشجار حين توسطت سيارتهما البقعة المهجورة، وظللت أراقبهما..

كان هذا هو دوري أنا في مراقبتهما، كانا لا يزالان يتبعان البنتلي، ثم أوقفا سيارتهما عندما كفت الأخيرة عن الحركة، لا بد أن الصندوق قد انزلق، ظل الاثنان في

سيارتهما، كانا على قدر كافٍ من الذكاء لاتخاذ الحيطة، رفعت رأسي قليلًا، لأراهما بشكل أفضل..

رأيت واحدًا منهما فحسب، لقد قفز الآخر مثلما فعلت قبل أن ينعطفا ليبحث عني، لقد خمنا أني قدتهما إلى هنا وخرجت من السيارة، لا بد أن سرعة الأخيرة قد دعمت تلك النظرية، واتبع أحدهما السيارة بينما بحث عني الآخر لكنه لم يجدني وسط الأعشاب، والآن هو عائد نحو السيارة، النظرية كانت خاطئة، وهما يعتقدان أني لا أزال بالسيارة، وبدت فكرتهما في الهجوم ذكية ومناسبة لو كنت حقًّا في السيارة، كان السائق يترجل من السيارة ويتجه نحو المقعد الأمامي، بينما زميله يلتف من الخلف ليباغتني، هذا في حالة لو كنت في السيارة بالطبع..

توقف الاثنان وتبادلا نظرة طويلة، أعتقد أنهما يظنان أني منبطح أمام السيارة في انتظارهما..

تقدم كلاهما ببطء للأمام من كل جانب بعد أن استلا سلاحيهما من غمديهما وصوباها لمقدمة السيارة، لا أحد هناك، عاد الاثنان، بإمكاني التخمين من طريقتهما أنهما من ميامي أو فلوريدا، رجال عصابات لاتينيون معتدون بأنفسهم وذوو خبرة، وقف الاثنان ينظران للسيارة في حيرة، كان هذا حين وقفت أنا، وأطلقت عليهما الرصاص من الخلف لأسقط كليهما صرعى..

رصاصتان استقرتا برأس كل منهما، كان صوت انطلاق

الرصاص من صقر الصحراء أشبه بانفجار قنبلة يديوية، سقط كل منهما أرضًا، تقدمت للأمام ونظرت إليهما، لأجد أن تعبير «البلاهة الفارغ من الحياة» قد اعتلى وجهيهما.. كانا ميتين وأنا رأيت الكثير من الجثث من قبل، التقطت أغلفة الرصاصات ووضعتها في جيبي، كان هناك دماء في كل ركن، تنهدت وأنا أنظر لجثتيهما وتذكرت جو..

ذهبت لأفتش سيارتهما، لم أتوقع أني سأجد ما وجدته في صندوق السيارة، كنت أبحث عن بندقية آلية أو شيء كهذا، لكن بدلًا من هذا، وجدت جثة سبايفي في صندوق سيارتهم الخلفي..

حالة جثته تقول بوضوح إنه ميت منذ ساعات قليلة، وهناك فجوة رصاصة في رأسه والدماء متجلطة على وجهه، فركت إصبعي على جلد وجهه ووجدت الرماد الخاص بالرصاصة، لقد أطلقوا النار عليه وهم على مسافة قريبة جِدًّا منه، كان يتحدث معهم وفجأة استل أحدهما المسدس وفجر رأسه.. ولا يزال هناك الجرح أسفل ذقنه عندما جرحته بمُدية ماريسون، عيونه الثعبانية مفتوحة على مصراعيها، وهو لا يزال يرتدي زيه الرسمي الرمادي، لقد كان رجلًا ضخمًا وقد قاما بكسر ساقيه لكي يتسع لصندوق سيارته.. شعرت بالغضب وأنا أنظر لما تبقى من سبايفي، لقد كان يعرف الحقيقة لكنه لم يخبرني، والآن قد قتلوه، رغم أنه لم يخبرني وهذا يدل أنهم قلقون،

يقتلون الجميع من أجل إسكاتهم، بينما الوقت يمر ويقترب من يوم الأحد، نظرت مرة أخرى لأعين سبايفي كأن هناك معلومات دفينة تكاد تخبرني بهما هاتان العينان.. ذهبت بعدها وفتشت السيارة، وجدت هاتفًا خلويًّا وبطاقة ائتمان وعقد تأجير السيارة من مطار أطلانطا، ومالًا نقديًّا، أخذت كل شيء، هما لن يصرفا هذا المال على أية حال..

تخلصت من «بطارية» هواتفهما، ثم جررت جثتيهما للسيارة، ووضعتهما في الصندوق مع سبايفي، لم تكن تلك بمهمة سهلة على الإطلاق، حقيقة أنهما لم يكونا فارعي القامة، لكن كون المرء ميتًا يجعله أثقل حجمًا، اضطررت لحشرهما في المساحة الخالية التي تركها سبايفي في الصندوق، وأخذت سلاحيهما، وقمت بمسح بصماتي بعدما أحكمت غلق سيارتهما ورحلت..

قدت البنتلي عائدًا لمارجرايف، واستغللت وقت الرحلة كي أهدأ، كان هناك غضب عارم يجتاحني من مرأي جثة سبايفي، والأدرينالين لا يزال يفتقد في جسدي، يداي ترتعشان مع اضطراب عام، كما أن صوت المسدس كان صاخبًا ولا يزال هناك طنين في أذني، لكني شعرت بأني قد أتممت المهمة بشكل جيد رغم كل هذا، هذان الرجلان لن يتبعاني بعد الآن..

ركنت السيارة ووضعت المسدس في الصندوق الأمامي، ودخلت المخفر بينما الشمس تغرب، روسكو كانت

جالسة قبالة مكتبها، أخذتها لغرفة خالية ثم سألتها: أي جديد من فلوريدا بخصوص السيارة؟

- ليس بعد، غدًا في الأغلب، بيكارد يبذل قصارى جهده للحصول على المعلومات..

- هل هناك أي معلومات بشأن الفنادق القريبة من المطار التي يحتمل أن يكون جو قد أقام بها؟ أنا واثق أننا سنجد شيئًا في غرفته؟

- لقد حضَّرتُ لائحة.

نظرت للائحتها واخترت أول فندق، والأقرب للمطار ثم أخبرتها عما حدث مع الرجلين، فيما سبق كانت لتعتقلني فورًا لاعترافي هذا، ولكن الآن، بعدما اقتحموا منزلها ليلًا بنية تمزيق جسدها فقط أومأت رأسها وابتسمت بتشفٍّ فحسب..

- اثنان من الأوغاد موتى، هذا عمل جيد يا ريتشر، هل هما ممن اقتحموا بيتي؟

- كلا، هذان ليسا من مارجرايف، لا نستطيع حسبانهما من العشرة الذين تحدث عنهم هوبل، هؤلاء مساعدة خارجية قام العشرة بالاستعانة بخدماتهما.

- هل كانا بارعين؟

- ليس بالدرجة الكافية، لكني وجدت جثة سبايفي في صندوق سيارتهما.

ارتعدت روسكو ثم قالت: يا إلهي؛ إذن سبايفي كان واحدًا من العشرة؟

- كلا، لم يكن بتلك الأهمية، كان مساعدة خارجية كذلك.. سأتصل بمولي، حبيبة جو، أنا بحاجة لما تعرفه.

***

جلست في المكتب الخالي واتصلت بمولي.

- أنا ريتشر، هل تستطيعين الحديث؟

- ريتشر الوقت لا يزال مبكرًا، طلبت منك أن تمهلني للغد، و..

- أنا بحاجة فقط لبعض المعلومات التوضيحية، لماذا يحدث كل هذا في مارجرايف طالما أن تزوير الأموال يجري خارج الولايات؟

صمتت مولي وهي تهضم السؤال، ثم أجابت: أعتقد أن جو كان لديه نظرية بهذا الصدد، إن مركز التحكم يقع في مارجايف، عملية التزوير نفسها تتم في الخارج، هل قُدر المال النقدي الموجود في الولايات يا جالك؟

تذكرت ما قاله لي موظف المصرف وقلت: مئة وثلاثون بليون دولار.

- هذا صحيح وضعف هذا المبلغ موجود في ودائع نقدية خارج الولايات.. في مصارف لندن، وروما، وأوروبا الشرقية.. والآن هل تعلم السبب؟

- كلا.

- لأن الدولار هو العملة النقدية الحائزة بثقة العالم كله، الكل يثق في الدولار كاستثمار جيد، ويريدونه، وطبعًا الحكومة سعيدة للغاية بسبب تلك الثقة..

- آه طبعًا هذا يرضي «الأنا» الخاصة بهم..

- الأمر ليس عاطفيًّا ولا يتعلق بالكبرياء.

قالتها وهي تغير سماعة الهاتف من يدٍ لأخرى، أكاد أرى عينيها تتلفت حولها بحرص وهي تردف: الأمر متعلق بالتجارة، فكر في الأمر يا جاك، إنه عمل مدر للربح للحكومة، تبادل العملات، القوم يشترون الدولار ويبدلون عملاتهم به، وطالما الكل يثق بالدولار فالحكومة الأمريكية ستظل ذات النفوذ الاقتصادي المهيمن.

- إذن؟ أين المشكلة؟

- عندما يتدفق السوق العالمي بدولارات زائفة لن تقع مشكلة، ولكن عندما يكتشف القوم هذا سيهلعون، ولن تكون هناك ثقة في الدولار، سيحولون أموالهم للعملة اليابانية، أو الألمانية، وسيقع الاقتصاد الأمريكي في أزمة كبيرة.

- مشكلة كبيرة.

- تلك هي الحقيقة، ومن المنطقي أن عملية التزوير تجري بالخارج، هناك مصانع مخبأة، في دول أجنبية بعيدة، ونحن

لا نعلم عنها شيئًا، والأجانب يستخدمون تلك الأموال المزيفة بسعادة لأنهم لا يعرفون شكل الدولار الحقيقي.. لذا لا يستورد المهربون العملات المزيفة للولايات عدا الجيد منها بحق الذي من الصعب تمييزه عن الدولار الحقيقي..

- ما هو مقدار المورد للولايات؟

سمعتها تتنهد قبل أن تجيب: ليس بمقدار هائل، قرابة البليون كل حين وآخر.

- هذا ليس بمقدار كبير؟

- نقطة في المحيط يا جاك، من وجهة نظر الاقتصاد الدولي، ومقارنة بحجم الاقتصاد العالمي.

- وما الذي تفعله الحكومة بشأن هذا الصدد؟

- تفعل شيئين، إيقاف الأمر من جذوره، والتظاهر بأن كل هذا لا يحدث للحفاظ على ثقة العالم بالدولار.

بدأت أفهم الآن لماذا أرادت واشنطن إبقاء مُهِمَّة جو سرية..

- لو حاولت الاتصال بالوزارة مثلًا يا جاك سينكرون كل شيء، وسيقولون في دهشة: عن أي تزوير تتحدث؟!

أنهيت المكالمة بعدما شكرت مولي، عدت لروسكو، وخرجنا نحن الاثنان، أخبرتها أن تقود للبقعة التي تركت بها سيارة الرجلين، وطبعت قبلة على وجنتها ونحن في

الطريق..

تركتها وقُدت سيارتهما، لقد حان وقت التخلص منها، ومن كل الأدلة بشكل نهائي.

***

وقفت أعلى التلة وأنا أنظر للسيارة التي تركتها وسط مئات السيارات المهجورة والخردة في منطقة إعادة الهيكلة والتصنيع، لم أعد أستطيع تمييز أي سيارة هي، فالتفت واستقللت حافلة عائدًا، إلى الفندق الذي اتفقت مع روسكو على اللقاء به.. الفندق المجاور للمطار والذي - حسب نظريتي- أقام به جو قبل مقتله..

كانت روسكو تنتظرني في الردهة، ذهبت للاستقبال ودفعت ثمن الغرفة نقدًا بمال الرجلين اللذين قتلتهما، ثم أخذت روسكو واستقللنا المصعد، ومن زجاجه رأيت المطار، همست روسكو فور أن دلفنا للغرفة: في البداية نأكل.

- في البداية نستحم..

استحممنا ومكثنا سويًا ثم تناولنا الطعام.. كانت روسكو تبدو صُلبة وممتلئة بالحياة بعد ذلك، النادل كان رجلًا أجنبيًّا مبتهجًا، ونقدته الكثير من البقشيش بعدما تناولنا الطعام، خرجنا بعدها وقادت روسكو السيارة متجهين لعنوان شيرمان ستولر في أطلانطا..

***

دلفنا للبناية وقالت روسكو مخاطبة سيدة عجوز جالسة: مساء الخير، نحن نبحث عن شيرمان ستولر.

نظرت لي روسكو فور أن قالت هذا، كان يجب عليها أن تقول إننا نبحث عن منزله، نحن نعلم أين شيرمان ستولر الآن، هو في المشرحة، نزيل خاص جِدًّا، جثة صفراء شاحبة، سألتنا السيدة العجوز بأدب: من أنتما؟

- نحن شرطة يا سيدتي.

- حسنًا، ادخلوا، هو في المطبخ يتناول الطعام.

سألتها روسكو بدهشة: من؟

نظرت إليها السيدة بحَيْرة وهي ترد: شيرمان، وأليس هذا من تبغيان لقاءه؟

لم نرد، تبعناها للمطبخ، حيثما جلس رجل مقارب لعمرها يتناول الطعام.

- هؤلاء من الشرطة يا شيرمان.

رفع الرجل رأسه ونظر إلينا..

سألته: هل هناك شخص آخر باسم شيرمان ستولر؟

- نعم، ابننا...

- وهو في منتصف العقد الثالث؟

- بلى.

قالها الرجل ووقفت زوجته جواره بعد أن وضعت يدها على كتفه في قلق، الآباء.. دومًا يتصرفون بالطريقة نفسها.

- ابننا لا يقطن هنا معنا، هل هو في مشكلة؟

- هل يمكنك أن تعطينا عنوانه؟

وكعادة المسنين كانوا يحترمون القانون والسلطة لذا أعطونا العنوان وابتلعوا أسألتهم، وغمغم الأب: هو لم يُقِم هنا منذ عامين.

كان خائفًا، وقلقًا بشأن ابنه، هززت رأسي له وخرجنا، سمعت الرجل ينادي: لقد رحل من هذا البيت منذ عامين.

خرجنا واتجهنا لعنوان شيرمان ستولر، الابن.

سألتني روسكو ونحن في الطريق: ما رأيك فيهما؟

- الأب والأم؟ كانا يعرفان أن ابنهما شخص سيئ، وأنه قد ارتكب شيئًا خاطئًا.. لكنهم لا يعرفان أي تفاصيل.

- لقد اقتربنا.

قالتها روسكو وهي تدير المقود لتدخل بنا السيارة في شارع واسع على يمينه صف من البنايات، بينما لا يقع سوى العراء على اليسار..

أوقفت روسكو المحرك وجلس كلانا في السيارة، التفتت لي روسكو وقالت: ساعة شيرمان ستولر كانت هدية من امرأة تدعى جودي، لقد حفرت اسمها على الساعة وأهدته إياها..

- علينا أن نجدها.

كنت مرهقًا ومسحت بيدي على ظهر روسكو، أردت الاسترخاء والنوم لكننا بحاجة لإيجاد جودي.. علينا أن نخبرها أنهم قتلوا حبيبها، وتركوه لينزف وتأكله الفئران على الطريق..

- هل تعتقد أن شيرمان بحالته الاجتماعية كان ليتحمل تكلفة الحياة في شقة ببناية كتلك؟

- ربما كان عالة على جودي، أو الاحتمال الآخر.

- وهو؟

- نشاط غير شرعي تسبب في قتله.

البناية التي احتوت على شقة شيرمان كانت الأخيرة، وبدت لي أنها الأقدم، دلفنا إليها وصعدنا للطابق ثم رننت جرس الباب، سمعنا أحدهم قادم، جودي، كانت تقارب الثلاثين من العمر وإن بدت أكبر من هذا، مرهقة وقصيرة ومتوترة، كانت شقراء بصبغة واضحة..

- نحن من الشرطة يا سيدتي، ونبحث عن محل إقامة شيرمان ستولر.

تفحصتنا المرأة بعينين ساخرتين ثم قالت: حسنًا.. لقد وجدتماه.

- هل بإمكاننا الدخول؟

سألتها روسكو بلطف، للمرة الثانية ساد الصمت، فتبادلنا أنا وروسكو نظرة سريعة، تحركت المرأة لتفسح لنا مجالًا للدخول، دخلت روسكو خلفها فتبعتها وأغلقت باب الشقة، جلسنا في غرفة المعيشة، والتي كانت ذات حجم متناسب مع الشقة، أثاث باهظ الثمن، تلفاز ضخم، لم يكن هناك كتب، كأنما أحدهم قد أمضى عشرين دقيقة يفرش الشقة بأثاث حديث بعد تأجيرها، نظرت روسكو لمضيفتنا وسألتها بالطريقة نفسها اللطيفة: هل أنتِ زوجته؟

- يمكنك قول هذا، ليس بشكل رسمي على أية حال، كما أن هذا ليس بالأمر المهم.

تدخلت أنا في الحديث فسألتها: هل أنتِ جودي؟

- نعم.. أنا جودي.

وظلت تومئ برأسها بعد أن أجابت وهي تفكر ثم قالت بغتة: شيرمان قد مات أليس كذلك؟

لم أجبها، روسكو أكثر براعة مني في تلك الجزئية، ظللت صامتًا، وكررت جودي بصوت أعلى: لقد مات أليس كذلك؟

- نعم.. لقد مات.. أنا آسفة جِدًّا.

ظلت جودي تومئ برأسها، وهزت بيدها في إشارة لا معنى لها، سألتها روسكو: هل لنا أن نسألك بعض الأسئلة؟ نحن في حاجة لفعل هذا..

لم ترد جودي وظلت تهز رأسها فازدادت الرقة بصوت روسكو وهي تردف: جودي، هل نستطيع أن نسألك بعض الأسئلة؟

- حسنًا.

- منذ متى وأنتِ تعرفين شيرمان؟

- أربعة أعوام، قابلته في فلوريدا، كنت أعيش هناك، وانتقلت هنا معه بعدها، نحن نحيا في هذا البيت منذ أربعة أعوام..

- وما هي وظيفة شيرمان؟

زفرت جودي بيأس.. وبدا البؤس على وجهها واضحًا وهي تجيب: سائق شاحنة.. لقد انتقلنا إلى هنا بعد أن وقع عقد طويل الأجل لقيادة شاحنة هنا في أطلانطا.. كان هذا منذ أربعة أعوام، ابتعنا تلك الشقة، وابتعنا بيتًا كذلك، انتقل إليه أهله، لقد كان يجنى الكثير من الأموال، ثم فجأة توقف عن العمل منذ عام وأصبح عاطلًا، كان بالكاد يعمل منذ هذا الحين.

تفقدت عيناي الشقة، كنت أعتقد أنها مؤجرة لكنه يمتلكها، نعم، لقد كان متورطًا في نشاط إجرامي.. وهذا

ما تسبب بقتله.. انتبهت من أفكاري على صوت روسكو وهي تسأل جودي: أنتم تمتلكون كلا البيتين؟

- أنا لا أمتلك شيئًا، شيرمان هو المالك.

- إذن شيرمان كان ذا وضع مالي جيد في الأعوام الأولى هنا في أطلانطا؟

- وضع مالي جيد؟ لم لا تنضجان وتكفان عن السذاجة، لقد كان لصًّا، لا يوجد سائق شاحنة قادر على جني كل هذا القدر من المال..

- هل أنتِ متأكدة من كونه لصًّا؟

التفتت برأسها لتنظر لي كأنها قد تقيم قطعة بالية تهم بالتخلص منها وردت: المرء لا يحتاج لكونه عبقريذًا ليفهم أنه كان لصًّا، لقد امتلك بيتين وأثاثًا وسيارات في ثلاثة أعوام فقط، الله وحده يعلم ما الذي امتلكه بخلاف هذا، هل تعلم نوعية الجيران الذين يجاورونا هنا؟ أطباء ومحامون، وشيرمران استطاع الاندماج بينهم بكل ما يجنيه من أموال، لو ستقول لي إن كل تلك مدخرات عمله السائق ليس أكثر فدعني أضحك وأرد بأني السيدة الأولى(8)

كانت جودي تنظر لنا بتحدٍّ، ولسان حالها يقول: لن تستطيعا إنكار حقي في لومه.. سألتْها روسكو: مع من تعاقد على العمل قبل أن يترك الوظيفة؟

- شركة ما تدعى «الجزيرة للمكيفات الهوائية».. ربما ذهبوا لجزر فعلًا الحقيقة أني لا أعرف الكثير عنهم، لكني واثقة من كونه كان يسرق منهم، تبًّا هناك صندوقان في المرآب، الركن المخصص لسيارتنا به أقصد، أتريدان رؤيتهما؟

لم تنتظر ردنا وقامت مسرعة فتبعناها ونحن نشعر أننا لو لم نسرع ستتركنا وتذهب، بعد دقائق كنا في الأسفل نقف خلفها في المرآب أمام صندوقين مكتوب عليهما «شركة الجزيرة للمكيفات الهوائية» اقتربت من الصندوق الأول وانحنيت، كان خاليًا، وهناك رائحة عطبة به، وأعلاه استقر رقم متسلسل خاص بالتصنيع، وكانت هذه حال الصندوق الثاني، كانت جودي تنظر إلينا عاقدة ذراعيها على خاصريها وتعبير وجهها يقول: لقد أعطيت زوجي ساعة ذهبية مصنعة له خصيصًا وفي المقابل لم يعطني هو سوى المشاكل..

تفحصت روسكو الصناديق بدورها ثم عدنا للأعلى، وفور أن جلسنا مرة أخرى في غرفة المعيشة سألتنا جودي: ما الذي حدث لشيرمان؟

كان سؤالًا بسيطًا ويستحق إجابة بسيطة...

أجبتها كاذبًا: رصاصة في الرأس، مات فورًا دون ألم.

أومأت جودي برأسها كأنها ليست مندهشة وسألتني: متى؟

- ليلة الخميس، عند منتصف الليل.. هل قال لك أين كان ينتوي الذهاب تلك الليلة؟

- كلا، لم يكن يخبرني بالكثير في المعتاد.

- هل ذكر لك مقابلة مع محقق؟

- كلا.

- وماذا عن كلمة بلورياس؟

- ها؟ أهذا نوع من المرض؟ شيء يصيب الرئتين؟ كلا لم يذكر الكلمة أمامي.

- وماذا عن يوم الأحد؟ هل ذكر لك أي شيء بخصوص الأحد القادم؟

- كلا، كما قلت لك آنفًا هو لا يخبرني بالكثير.

وشردت جودي وهي تنظر لصورها مع شيرمان المعلقة على الحائط فسألتها روسكو: هل كان يعرف محامين في فلوريدا؟

- محامون؟ في فلوريدا؟ لماذا سيعرف شيرمان محامين في فلوريدا؟

- لقد تم القبض عليه في جاكسونفيل لتجاوز سرعة القيادة، وأتى محامٍ وساعده في إسقاط التهم الموجهة إليه.

تنهدت جودي بحزن، فترة عامين تبدو إليها وكأنها ذكريات من حياة أخرى وزمن سحيق.

- لماذا هذا أمر مهم؟ هناك محامون يبحثون عن العمل ويشمون رائحته في كل قسم شرطة..

- هذا الرجل لم يكن بمطارد للإسعاف(9) لقد كان محاميًا مهشورًا وشريكًا في شركة كبرى.. هل لديك أي فكرة كيف استطاع شيرمان التواصل معه؟

فكرت جودي بمزيج من تعبير الحزن والقنوط على وجهها ثم قالت: ربما الشركة التي يعمل لديها هي من تواصلت مع المحامي الكبير، لقد كانوا يدفعون تأميننا الطبي وكل شيء، وكان شيرمان يأخذني للطبيب كلما أردت.

كانت قد انتقلت من مرحلة النظر إلى صورة في الحائط إلى التقاط ألبوم صور خاص بهما وتصفح محتوياته، سألتنا: أتريدان رؤية صورة شيرمان؟

ذهبت إليها في صمت وانحنيت لأنظر للصورة التي أشارت هي إليها، حيث وقف رجل ثلاثيني مبتسم أمام شاحنة وكان يتناول المثلجات..

قالت جودي برقة: تلك هي الشاحنة التي كان يقودها..

لكني لم أكن أنظر لا لشيرمان ولا الشاحنة، كنت أدقق النظر في شكل شخص ما يقف في الخلفية، هو خارج تركيز الصورة ومستدير بجسده نصف استدارة لكني عرفته، لقد كان هذا هو بول هوبل في تلك الصورة، أشرت لروسكو أن يأتي وينظر معي، ورأيت تعبيرًا من الدهشة يعتلي وجهها عندما ميزت هي هوبل بدورها.. ثم

تضاعفت دهشتها عندما ميزت شيئًا آخر إلى جانب وجود هوبل في الصورة وسألت روسكو: متى تم التقاط تلك الصورة؟

قطبت جودي جبينها وهي تتذكر ثم همست: الصيف الماضي على ما أعتقد.

أشارت روسكو لهوبل مردفة: هل قال لك شيرمان من هو هذا الرجل؟

- مديره الجديد، لقد بقي في الوظيفة لستة أشهر، ثم طرد مؤخرًا شيرمان من الشركة بعد ذلك.

- مديره بشركة الجزيرة للمكيفات؟ ولماذا طرد شيرمان؟

- نعم، إن كل ما قاله شيرمان أنهم لم يعودوا بحاجة إليه بعد الآن ولم يبغوا تجديد عقد ثلاثة أعوام.

- وهل هذا مقر الشركة؟ في المكان الذي تم التقاط الصورة به؟

- أعتقد ذلك، شيرمان لم يتحدث عنهم كثيرًا.

- نحن بحاجة للاحتفاظ بتلك الصورة لو سمحتِ لنا، وسنعيدها لك فور انتهاء حاجتنا إليها.

- لا داعي احتفظوا بها.

قالتها وهي تخرج الصورة من الحافظة البلاستيكية متابعة: أنا لا أريدها.

أخذت روسكو الصورة ووضعتها في جيب سترتها، وبينما هي تعود لمقعدها قالت جودي: أطلقوا عليه الرصاص في رأسه، هذا ما يحدث عندما تعبث بما لا يجب العبث به، لقد حذرته مرارًا وتكرارًا.. قلت له: سوف تتأذى يا شيرمان لو لم تتوقف عن أيٍّ كان الذي تفعله.

أومأت روسكو برأسها لجودي في تعاطف، وقالت: سنبقى على تواصل معك، قد نحتاج منك تعرفًا رسميًّا عليه، وترتيبات الجنازة كذلك..

حدقت جودي بنا وقالت بحدة: أنا لن أذهب لجنازات، أنا لم أكن زوجته، ولست بأرملته الآن، سوف أنسى أني قد عرفته من الأساس، هذا الرجل لم يكن سوى مشكلة تِلْوَ الأخرى.. وظلت تحدق بنا نخرجنا مسرعين، وبينما نحن في المصعد سألت روسكو: ما هو الشيء الآخر الذي استرعى انتباهك في الصورة؟

- انتظري وسأريك في السيارة

***

الفصل التاسع عشر

أضاءت روسكو نور السيارة فور أن دخلنا وأخرجت الصورة من سترتها، ودققت هي النظر بها بسرعة ثم أعطتني إياها هامسة بعينين متسعتين: انظر أعلى اليسار، في الركن الأعلى.

نظرت للصورة، شيرمان يقف مبتسمًا، الشاحنة خلفه، بول هوبل يستدير، رفعت عيني لأعلى الصورة واتجهت يسارًا، ورأيته.. في الآن نفسه قالت روسكو: مخزن كلاينر.. أعلى الطريق الريفي.. حيث وقعت جرائم القتل.

- أنتِ واثقة؟

- أنا أعرف تلك الأشجار المحيطة بالمخزن جيدًا.

نظرت للأشجار، هي بعيدة للغاية، وخارج مجال رؤية الصورة، فقالت روسكو مجددًا: هذا هو مخزن كلاينر، لا شك في الأمر.

ورفعت سماعة هاتف سيارتها وأجرت مكالمة، تم تحويلها لقسم المرور الخاص بأطلانطا، أفصحت عن هويتها، وأعطتهم رقم شاحنة شيرمان في الصورة، وفور أن أنهت روسكو المكالمة قالت: رقم الشاحنة مسجل باسم شركة كلاينر، والشخص الذي قام بالتسجيل هو زاكيريس بيريز.. المحامي من فلوريدا الذي قام بإخراج شيرمان تلك الليلة.

- حسنًا، لنرتب كل شيء، تحقيق جو، بول هوبل.. تزوير الأموال.. الشاحنة وشيرمان.

- هم يزورون الأموال داخل مخزن كلاينر؟

- كلا، عملية الطبع والتزوير تتم خارج الولايات، هذا ما أكدته لي مولي بيث، وهذا مجال عملها، لقد قالت لي: إن جو صعب الأمور على المزورين وجعل من المستحيل أن يتم أي تزوير داخل الولايات، أي كان ما الذي فعله ستولر، فقد أخبرتنا زوجته أنه توقف عن فعله منذ عام، ونحن نعلم أن جو بدأ عمله على هذا الأمر منذ عام.. قرابة الوقت نفسه الذي طرد فيه هوبل ستولر من عمله..

- نحن بحاجة لمساعدة مولي يا ريتشر، علينا رؤية ملفات جو.

- أو مساعدة بيكارد، ربما نجد غرفة جو الفندقية، إنه سباق والفائز هو من سيتصل بنا الأول، مولي، أم بيكارد.

بعدما أطفأت روسكو الإضاءة وتحركت بالسيارة، وجلست أنا أتثاءب جوارها، سألتني: هل لديك المسدس يا ريتشر؟

كنت أعلم سبب انزعاجها، الليل يقترب والمشتتات التي تحيدها عن التفكير عن هجوم ليلة البارحة قد نفدت، والليل قد حل مرة أخرى.

- إنه في صندوق السيارة، في الصندوق الخاص به، أنتِ

وضعتيه هناك أنتذكرين؟

- أحضره، سأشعر بالتحسن لو كان هنا.

- سيشعرني أنا أيضًا بالتحسن، إنه مسدس رائع.

قلتها وأنا أنحني للخلف وأنبعج وأمد يدي لأفتح صندوق السيارة من داخل سيارة الشرطة المعدة لتلك الآلية وأجلب السلاح.

لم نتحدث طيلة الرحلة ولا عندما ركنا السيارة أمام الفندق، ظللنا صامتين في المصعد، وفي الغرفة وضع كل منا مسدسه على الكومود المجاور للفراش وخلدنا للنوم..

استيقظت في الصباح المبكر وأنا أفكر في جو، نحن في صباح يوم الأربعاء، وقد مرت خمسة أيام على مقتله، وجدت روسكو مستيقظة بالفعل، كانت تقف في منتصف الغرفة وتتمطى، كلا، كانت تشد جسدها بالكامل، نوع ما من تمرين «اليوجا» كانت قد استحمت بالفعل وارتدت ملابسها، وكانت مولية ظهرها لي وهي تمارس التمرين، لم أعد أفكر في جو بتلك اللحظة..

- روسكو.

- ماذا؟

- أنتِ أجمل امرأة في الكوكب كله.

ضحكت هي ووجدت نفسي أتجه إليها بحماس، كانت الضحكة هي القشة التي قصمت ظهر البعير.. بعدما انتهينا

استلقينا لدقائق ثم استحممنا، وارتدت روسكو ملابسها بالكامل، وابتسمت لي كأنها تقول: لقد عافيتك من الإغراءات تلك المرة، أنت حر طليق..

وبينما نحن في طريقنا للخروج سألتني: أعنيت ما قلته؟

- عم تتحدثين؟

- أنت تعلم ما أقصده، إني امرأة جميلة.

- أنا لم أقل إنك امرأة جميلة، لقد رأيت الكثير من النساء الجميلات، أنا قلت أنكِ أجمل امرأة في الكوكب اللعين بأكمله.

- ولكن هل تعني هذا؟

- بالطبع أعنيه، لا تستهيني بقوة جاذبيتك يا روسكو، تحت أي ظرف..

ثم توقفنا أمام الباب وسألتها: القليل من الكسل؟ إفطار في الفراش؟

طلبنا الإفطار من خدمة الغرفة، وتناولناه في الشرفة ونحن ننظر للسماء الزرقاء الخالية من السحب، كان صباحًا جميلًا، وكان الضوء منتشرًا في الغرفة.. المشهد كان رائعًا، المطار أمامنا والمدينة كلها خلفه، مشهد جميل بحق، وأخي ليس هنا ليراه، لن يتسنى له مشاهدة صباح كهذا أبدًا.

اتصلنا بفينلاي، أعطيناه رقم الغرفة في حالة لو اتصلت

به مولي أو بيكارد، لم أرَ داعيًا لعودتنا لمارجرايف؛ لأنهم فور أن يتصلوا بنا سنعود مجددًا لأطلانطا لاقتفاء أثر ما توصلوا إليه، أنهينا المكالمة مع بيكارد وأكلت المزيد من الشطائر المحلاة -بينكاك وشربت القهوة ثم استلقيت على الفراش، وشعرت بالتململ، لقد كان من الخطأ أن نختار خُطَّة الانتظار وفعل اللاشيء، ورأيت أن روسكو تشعر بالشيء ذاته، ذهبت والتقطت صقر الصحراء وتحسسته بيدي، المسدس الذي كان يخص جراي الذي شنق نفسه، المحقق المكتئب، سألت روسكو: أخبريني عن جراي

- جراي؟ لقد كان ملمًّا بالتفاصيل.. ومنظمًا للغاية.. ملفات في القسم تخصه وتعود لخمسة وعشرين عامًا.. لقد كان محققًا جَيِّدًا جِدًّا.

- لماذا شنق نفسه؟

- لا أعلم، لم أفهم ما حدث أبدًا.

- هل كان مكتئبًا؟

- ليس بشكل جاد، لقد كان دومًا يعاني نوعًا من الاكتئاب على ما أظن، يبدو عليه الملل، صامت، لكنه كان محققًا بارعًا وذكيًّا وتم إهدار طاقته في مارجرايف، لكني كنت مندهشة بحق عندما سمعت خبر انتحاره..

- هل كنتم مقربين؟

- نعم، بطريقة أو بأخرى كنا مقربين جِدًّا، لقد كان دومًا يحافظ على مسافة بينه وبين الآخرين، لا يمكنك الاقتراب منه حقًّا، لم يتزوج، عاش وحيدًا، لا أقارب، لم يكن يخرج ليتناول الجعة أو أشياء كتلك، كان صامتًا، ممتلئًا قليلًا، ناحل الرأس، لحية غير مشذبة، كان منعزلًا وانطوائيًّا، لكننا كنا نستلطف بعضنا، وهناك صداقة حقيقية بيننا..

- ألم يقل لك أي شيء من قبل؟ فقط شنق نفسه دون مقدمات؟

- هذا ما حدث، صدمة عاتية، لم أفهم أبدًا ما حدث.

- لماذا كان معك مسدسه؟

- لقد طلب مني الاحتفاظ به، لم يكن يمتلك مساحة في أدراج مكتبه، كما قلت لك كان منظمًا ومؤمنًا بالتقارير جِدًّا، كما أن هذا كان سلاحه الشخصي، ولم يكن القسم ليوافق على امتلاكه لسلاح كهذا؛ بسبب حجم عيارات الرصاص.. كان الأمر سرًّا بيننا؛ ولذا احتفظت بمسدسه..

وضعت سر الرجل الميت -المسدس- في مكانه، وقبل أن نصمت رن جرس الهاتف، مددت يدي بسرعة وأجبت.. كان فينلاي هو المتحدث

- ريتشر.. بيكارد تتبع السيارة.

أطلقت تنهيدة ارتياح وأومأت لروسكو، ثم قلت: هذا رائع يا فينلاي، أخبرني بالقصة كلها.

- اذهب لمقابلة بيكارد في مكتبه، سيخبرك بكل شيء، لن أستطيع إطالة الحديث.

أغمضت عيني وشعرت بالحماس يغمرني ثم قلت: شكرًا يا فينلاي، سأتحدث معك لاحقًا.. اعتنِ بنفسك.

- وأنتما أيضًا، توخيا الحذر.

أنهى المكالمة، وتركني ممسكًا بسماعة الهاتف وهناك ابتسامة تعلو وجهي..

وضحكتْ روسكو قائلة: كدت أفقد الأمل في بيكارد، لكن ثماني عشرة ساعة وقت ليس سيئًا بالنسبة للمكتب الفيدرالي.

- لنذهب ونقابله.

***

بعد قرابة نصف الساعة كنا في ردهة استقبال المبنى الفيدرالي الواسعة، وبالخارج سيارتنا وبها صقر الصحراء..

قدم بيكارد وكاد يملأ القاعة بحجمه وشد على يد روسكو قائلًا بصوته الغليظ: لقد أخبرني فينلاي بالكثير عنك، سعيد بمقابلتك..

ثم جلس جوارنا وتحدث مسرعًا: السيارة التي وجدها

فينلاي تم تأجيرها من شركة «بونتياك» باسم جو ريتشر، من مطار أطلانطا في تمام الثامنة مساء يوم الخميس..

- رائع يا بيكارد، رائع.. شكرًا لك.. هل لديك أي تخمين بخصوص مكان تسليمها؟

- لَدَيَّ ما هو أفضل من التخمين يا صديقي، لَدَيَّ الموقع المحدد الذي تسلم فيه جو السيارة، اسم الفندق الذي كان مقيمًا به.

وأعطاني اسم الفندق الذي كان على بعد أميال من الفندق الذي أقمنا به، كنت مخطئًا في تخميني بشأن الفندق، ولكن ليس لحد كبير.

- شكرًا يا بيكارد، أنا مدين لك.

- لا عليك، اعتنِ بنفسك.

***

وصلنا الفندق ورفعت روسكو إشارتها لموظف الاستقبال، بحث الأخير في سجل بيانات الحاسوب، وأخبرنا أن رقم غرفة جو هو ٣٠٥، بالطابق السادس، وأنه قد أبلغ المدير الذي سيقابلنا عند الغرفة بعدما وصفها بأنها تقع آخر الممر..

صعدنا للغرفة ولم نضطر للانتظار فقد حضر المدير وفتح لنا الغرفة بسلسلة من المفاتيح، كانت الغرفة شاغرة بالطبع، أنيقة ومرتبة، وبدت أنها مستعدة لنزلاء جدد.

سألت المدير: أين مقتنياته؟

- لقد أخلينا الغرفة يوم السبت، الرجل قد حجز ليلة الخميس، والمفترض أن يرحل الجمعة صباحًا، ما نفعله هو أننا نعطي النزلاء يومًا إضافيًّا إن لم يظهروا، ستندهشون من كم النزلاء الذين يختفون ويتركون مقتنياتهم.

- وأين هي الأشياء؟ في خزانة ما بالأسفل؟

- نعم.

- نحن بحاجة لرؤيتها.

***

في القبو وقفنا أمام موظفة المخزن، وقالت لها روسكو بينما أنا أحبس أنفاسي من فرط الحماس: الغرفة ٦٠١، لقد تم إخلاؤها يوم السبت ونحن هنا من أجل المقتنيات.

- لقد أتى وأخذها بالفعل.

زفرت بقوة، لقد كنا متأخرين، سألت الموظفة بخيبة أمل: من الذي أخذها ومتى؟

- النزيل، صباح هذا اليوم، دعوني أرى السجلات.. آه في تمام التاسعة والنصف.

- من هو؟

بحثت هي مرة أخرى في السجلات قبل أن ترفع رأسها قائلة: جو ريتشر، لقد وقع بهذا الاسم.

- وما هو شكله؟

- أجنبي، لاتيني، أو كوبي، قصير القامة وأسمر اللون، لديه ابتسامة لطيفة ومؤدب جِدًّا.

- ألديك قائمة بمقتنياته؟

بحثت الموظفة قليلًا ثم قالت: حقيبة سفر واحدة، ثماني قطع من الملابس، حقيبة ظهر، أربعة أحذية

رحلنا بعدها وعدنا للردهة ثم خرجنا من الفندق وقابلت وجهي أشعة الشمس لكن اليوم لم يعد رائعًا كما كان..

كنت أفكر بلا توقف وقلت لروسكو أن تنتظر، نظرت لي في عدم فهم، وعقلي يحاول تقمص ما قد يفعله جو، سيكون حريصًا ولن يحتفظ بشيء ذي أهمية بالحقيبة لأنها هدف سهل وواضح، سألت روسكو: لو كنتِ أنتِ الرجل الذي أخذ مقتنيات جو ورحل ما هو أول شيء ستفعلينه؟

- ممم، سأتخلص من الملابس واحتفظ بالحقيبة.

- هذا ما كنت سأفعله لو كنت مكانه أيضًا وأين كنتِ ستتخلصين منها؟

- أول مكان مناسب أراه.

أشرت لزقاق بجانبي به صناديق قمامة وسألتها: لو رأيتِ هذا الشارع هل كنتِ ستتخلصين من الملابس بها؟

- نعم ولكن ليس الحقيبة.

- ربما نحن لا نبحث عن الحقيبة، ربما جو أكثر حرصًا مما يظن الجميع، تذكري رقم هوبل كان في حذائه..

تنهدت روسكو بغير اقتناع وذهبنا للزقاق وبدأنا عملية بحث طويلة في صناديق القُمامة.

الصندوق الأول كان خاليًا، والثاني ممتلئًا بأشياء لم أسعد برؤيتها، وعندما بحثت في الصندوق الثالث وجدت ما نبحث عنه، حقيبة ظهر بها ملابس، مكتوب عليها: ريتشر.. قلت لنفسي: حسنًا يا جو، لنرى إن كنت ذكيًا كما آمل..

كنت أبحث عن الأحذية، وجدتها في جانب الحقيبة، زوجان منها، أربعة أحذية، كما كان مكتوبًا في قائمة الموظفة، بحثت بداخلهم، وعند الحذاء الثالث وجدت انبعاج ضخم بداخله كيس قماشي صغير، فتحته لأجد أوراقًا مطبوعة من الحاسب مطوية بعناية لتتسع داخل الكيس والحذاء، ضحكت وأنا أخرجها قائلًا: ذكي كعالم فيزياء يا جو..!

***

الفصل العشرون

كدت أرقص مع روسكو من فرط الحماس ونحن نقف في الزقاق، ثم أخذنا الملفات وعدنا أدراجنا للفندق فقط لنجد الهاتف يرن، كان المتصل هو فينلاي، قال بحماسة: ميلي بوث جوردون قد اتصلت بي، هي قادمة لمارجرايف، أخبرتني بأشياء رائعة، ستصل في مطار أطلانطا في تمام الثانية ظهرًا، سأقابلكم هناك، هل أعطاكم بيكارد شيئًا مفيدًا؟

- نعم، بيكارد رجل رائع، لقد حصلنا على مطبوعات جو على ما أعتقد.

- على ما تعتقد؟

- لقد وصلنا الغرفة في تلك الثانية، لم يتسَنَّ لي تفحصها.

- وما الذي تنتظره؟ تفقدها الآن.

- حسنًا، أراك في خلال ساعات يا خريج هارفارد.

جلست أنا وروسكو أمام منضدة في الغرفة وفردنا الأوراق المطوية..

الورقة الأولى كان طرفها مقطوعًا ومكتوبًا عليها: العملية اينيم أي..

غمغمت روسكو: اينيم أي بلورياس.

بعدها حروف: ب. ه.

- بول هوبل، ورقمه المقطوع الذي وجدناه.

بعدها وجدنا «و. ب» و «ك. ك» ورقمين مسجلين أمام الأسماء المختصرة.. وأمام رقم «ك.ك» استقر رمز نيورك..

ولم أميز رمز منطقة «و. ب» في الرقم المكتوب..

بعد ذلك وجدنا «ج. س» برمز منطقة نيو أورلينز، ثم «م. ب. ج».

غمغمت: مولي بيث جوردون، رمز واشنطن.

لم يكن هذا رقمها التي اتصلتُ بها عليه، في الأغلب رقمها الشخصي إذن، آخر قطعة وجدنا بها جملة: مرآب ستولر، وبعد ذلك «ملف كلاينر»، «ملكية جراي».

تنهدت وأنا أشعر بطريقة كتابة جو الاحترافية، ثم قلت: مولي بيث جوردون قادمة إلينا الآن، لنشطبها من القائمة، وكذلك بول هوبل فهو ميت.. ولقد رأينا مرآب ستولر بالفعل، لم يكن به سوى صناديق فارغة، يتبقى أمامنا ملف كلاينر الخاص بجراي، والثلاثة أرقام، لا يزال الوقت مبكرًا على وصول مولي، لنبدأ الآن.

- حسنًا.

- لنبدأ بالعنوان.. اينيم أي بلورييباس.

- هذا شعار الولايات أليس كذلك باللاتينية؟

- كلا، هذا هو الشعار بالعكس، المعنى أقصد، لن يكون

أمة تتكون من الكل أو تتميز من بين الجميع، سيكون معناه، الكثيرون سيتكونون ويسطعون من أمة واحدة..

- هل من المحتمل أن يكون جو قد أخطأ كتابته؟

- أشك في هذا، ليس جو.. لا بد أن هناك معنى مقصودًا هنا..

- لا أستطيع التفكير في أي معنى للجملة.

- إذن ننتقل للخطوة التالية، هل امتلك جراي ملفًا بخصوص كلاينر؟

- غالبًا، لقد كان يمتلك ملفات عن الجميع، لو بصق أحد على الرصيف فلسوف يمتلك جراي ملفًا عنه.

اتصلت بيفنلاي لأطلب منه جلب ملف جراي عن كلاينر، لكن بايكر أخبرني أن فينلاي قد رحل، فجربت الاتصال بالرقم في مطويات جو المسجل باسم «و.ب».

كان الرقم يخص نيو جيرسي، جامعة برينستون، كلية التاريخ المعاصر، أنهيت المكالمة بعد سماع الرد الآلي، لم أرَ رابطًا بين الكلية وما يحدث، اتصلت بعدها برقم «ك. ك» في نيورك، رن مرة واحدة قبل أن يأتيني صوت متعجل: قسم المحققين، الفرقة الخامسة عشرة، كيف يمكنني مساعدتك؟

- محققون؟ أهذا رقم شرطة نيورك؟

- الفرقة الخامسة عشرة، أيمكنني مساعدتك؟

- أنا أبحث عن «ج. س».. تلك هي الحروف الأولى من الاسم.

- ج.س؟ لَدَيَّ ثلاثة أفراد بهذا الاسم، مَن منهم تريد؟

- لا أعلم، هل اسم جو ريتشر يعني أي شيء لك؟

- أي هُراء هذا؟ لعبة عشرين سؤالًا؟

- اسألهم فحسب، الثلاثة، من منهم يعرف جو ريتشر، سأتصل بك لاحقًا، شكرًا.

تنهدت ونظرت لـ روسكو التي قالت: ننتظر مولي؟

أومأت برأسي، كنت متوترًا بشأن مقابلة مولي، الأمر أشبه بمقابلة شبح..

مررنا الوقت بمشاهدة الشمس والسماء عبر النافذة، وتفحص مطويات جو مرة أخرى.. كنت أفكر في جملة «اينيم أي بلورياس».. من الواحد سيأتي الكثيرون.. هناك شيء مهم في تلك الجملة وجو فقط كان يعرف معناه.

- لنتحرك.

قالتها روسكو بتململ.. كنا مبكرين لكن لم يُطق أي منا الانتظار أكثر من هذا.. جمعنا أشياءنا، استقللنا المصعد، ودفعت فاتورة المكالمات بأموال الرجلين المقتولين، ثم ذهبنا لسيارة روسكو، الطريق كان مزدحمًا ولكننا بجانب المطار، قالت روسكو وهي تقود السيارة: نحن لا نعلم

شكل مولي.

- لكنها تعلم شكل جو وأنا أشبهه.

المطار كان أكبر من بعض المدن التي زرتها، سرنا سويًّا وقطعنا تذاكر دخول، ثم قالت روسكو: انعطف يسارًا

منذ قليل ونحن في السيارة قلت لها أن تنعطف يمينًا عندما لمحت سيارة سوداء تتبعنا، وانتقلنا من حارة لأخرى والسيارة تواصل تتبعنا قبل أن تختفي وسط الزحام.. ولم أرها تركن خلفنا أو يترجل منها أحد عندما فعلنا نحن..

بالداخل تزايد الزحام، قابلنا فينلاي الذي حيانا، وانضم إلينا ونظر ثلاثتنا لشاشة المطار التي أعلنت عن وصول الرحلة دلتا من واشنطن، رحلة الثانية ظهراً، اتجهنا حيثما أرسلتنا إرشادات الشاشة، ووقفنا نترقب، خرج المسافرون من باب الطائرة، يمرون بممرات زجاجية يختفون بداخلها ويخرجون من الناحية الأخرى ليعانقوا أصدقاءهم وأقاربهم..

تقدمنا للأمام ونحن نصارع الزحام محاولين الوصول، شعرت بتوتر متزايد، لم أرْتَح لتلك السيارة السوداء التي كانت تتبعنا..

وصلنا لأحد الممرات المباشرة للطائرة، وأنا أبحث بين وجوه الوافدين، ومن بين تيار القوم القادم رأيت سيدة قادمة في منتصف العقد الثالث، قد تكون هي مولي، حاولت الوقوف بشكل واضح راغبًا في أن تتعرف عَلَيَّ،

لكنها لوحت لرجل واتجهت إليه لتقبله وتحضنه، بعد ذلك شعرت أن بإمكان أي امرأة من حولي أن تكون مولي، الكثير من الشقراوات وذوات الشعر الأسود، فارعات القامة، ومتوسطات الطول، جميلات، حسناوات، جذابات، بعضهن مرهق، راقبتهن جميعًا، بعضهن يقابلن أزواجهن أو أحباءهن، البعض الآخر يقابل زملاء العمل، الكثيرات منهن ينظرن أمامهن فحسب، إحداهن استرعت انتباهي، كانت ترتدي زيًّا بنفس لون حقيبتها وتحمل حقيبة سفر ثقيلة، شقراء متحمسة، وصغيرة الحجم، أبطأت من حركتها وهي تنعطف عند الناحية الأخرى من الممر، ومرت عيناها عَلَيَّ ثم عادت بنظرها لي فجأة، وحدقت بي، ثم كفت عن الحركة، بينما المارة يتجمعون خلفها، كانت تقاوم الاندفاع من الزحام خلفها، وتحركت أنا بالقرب من الناحية المقابلة الزجاجية، ابتسمت هي لي ابتسامة واسعة وأنا أحرك شفتي متسائلًا من خلف الزجاج: مولي؟

كانت ابتسامتها حقيقية جِدًّا وهي تحيي أخا حبيبها الميت.

كانت تحمل الحقيبة كأنها جائزة بين يديها وهزت رأسها، وهي تبتسم بحماسة، ثم فشل جسدها في مقاومة الزحام وتدافعت معهم للمدخل، التفتت برأسها وهي تندفع للأمام، كان ثلاثتنا يحاول اقتحام الزحام بدورنا لكي نصل إليها..

رأيتها شعرها الأشقر يختفي وسط الزحام اللعين.. كنا نسير عكس التيار ونقاوم طاقة الدفع الهائلة الخاصة بالوافدين..

قفزت جانبًا وتعلقت بجانب السور ثم استقررت بالجهة الأخرى، الآن كنت أسير في الطريق المزدحم، بزحام أكثر أمامي، ظللت أدفع القوم يمينًا ويسارًا وأنا أزيد من سرعتي للحد الأقصى، سقطت أرضًا في انفعال ولمحتها مرة أخرى وأنا أفعل هذا، كانت تندفع وسط الزحام لغرفة فحص الأمتعة، لم أرد لها أن تذهب لتلك الغرفة، لقد سافرت في عُجالة ولم يتسنَّ لها الوقت لتسجيل أمتعتها، اعتدلت واقفًا بعد أن كدت أحبو وسط الزحام، وواصلت طريقي إليها بينما فينلاي وروسكو يحاولان اللحاق بي.. قفزت مرة أخرى على السلم المتحرك لاكتشف أني بالاتجاه المعاكس والأرضية المتحركة تحاول التهام حذائي، زدت من اتساع خطواتي حتى خرجت من السلم، كنت اقترب من مولي.. وصلت أخيرًا لغرفة تفقد الأمتعة شديدة الاتساع، وأدرت رأسي يمينًا ويسارًا بحثًا عنها دون أن أجدها، بمعجزة ما وصلت روسكو جواري، وسألتني: هل خرجت بعد؟

فينلاي كان يلهث ويقف خلفنا وهو يستند على ركبتيه..

- كلا.

- سأذهب للجهة للأخرى من الممر وأنتظر هناك.

قالها فينلاي ورحل مسرعًا ليختفي وسط أكوام البشر..

وقفت أنا وروسكو بينما الجميع يمر من جوارنا عدا مولي، لمحت سيدة قعيدة يجر كرسيها المتحرك أحد موظفي المطار، رأيتهم يتوقفون أمام شيء في الركن قبل أن ينعطف الموظف بالمقعد تفاديًا لهذا الشيء، دققت النظر فوجدتها حقيبة ملقاة أرضًا، سرت للأمام وتبينت الحروف على مقدمة الحقيبة: م. ب.ج.

غمغمت: مولي بيث جوردون.

وسرت للأمام مسرعًا بينما روسكو تتبعني، بعد دقائق كنا نقف عند الحقيبة، وزحام القاعة قد خف تمامًا، تبادلنا نظرات حائرة، لقد خلت القاعة تمامًا اللهم إلا منا وحقيبة مولي، تذكرت السيارة السوداء وتزايد انفعالي، انحنت روسكو وفتحت الحقيبة، المحتويات كانت ملابس ومناديل وصورة كبيرة في برواز لجو، كان يبدو مثلي لكنه أكثر نحافة وحليق الوجه تمامًا، شعر مهندم وابتسامة واسعة، تلفتنا حولنا، لم يكن هناك سوى باب تفريغ الحمولة وقد كان موصدًا.

سمعنا سرينة تحميل وتفريغ الحقائب، دوَّت للحظات ثم توقفت، مع بدء دوران خط سير الحقائب القادم من غرفة التحميل، هنا لمحت آثار قَطْع على جانب خط السير، كأن أحدهم خدشها في عجالة، قفزت بسرعة فائقة

وعدوت فوق خط السير ثم أخذت قفزة أخرى كأني أغوص في مسبح لأسقط داخل غرفة التحميل، دارت بي الأرض للحظات وارتطمتْ بي الحقائب فسقطتُ بينها ثم اعتدلت وقفزت للمرة الثالثة جانبًا، ووقفت أتلفت حولي باحثًا عن مولي، وناديت عليها بأعلى صوتي، لا أثر لها، ثم وجدت حذاءها الأيسر، كان ملقى في ركن مظلم من غرفة تحميل الحقائب الآلية، كنت أتنفس بصعوبة وأنا أُهرع لكل ركن باحثًا عنها ومرأى السيارة السوداء التي تبعتنا للمطار لا يفارق ذهني، وجدت حذاءها الأيمن في الجهة الأخرى من الغرفة، ثم وجدت دماءها، الكثير منها، أسفل لافتة مدخل الغرفة، تقدمت للأمام ببطء ودقات قلبي تتزايد، وأمام الباب وجدت مولي غارقة في دمائها، لقد غرز أحدهم مدية في معدتها ، كان هناك الكثير من الدماء، لكنها كانت لا تزال حية، انحنيت جوارها، ونظرت لوجهها الشاحب، شفتاها ترتجفان، وتبصقان دمًا، رأسها ثابت لا يتحرك، عيناها تحدقان بالفراغ، ثم استقرت عيناها عَلَيَّ، وضعت يدي برفق أسفل رأسها، حدقت مولي وأجبرت نفسها على الحديث: اذهب وادخل.. قبل.. قبل يوم الأحد..

ثم ماتت مولي بيث جوردون بين ذراعي في غرفة تحميل الحقائب..

***

الفصل الحادي والعشرون

أنا لم أعرف مولي، لم أسمع عنها قبل عدة أيام، لكن مقتلها تسبب في انفجار غضب عارم بداخلي، فوضى رهيبة، أشبه بتلك التي تحدث إبان دراستك للكيمياء في المدرسة عندما ترمي شيئًا خاطئًا في المحلول فيحترق كل شيء.. ويهرع جميع الطلبة بكل صوب خوفًا من الانفجار.. ما حدث لمولي كان يثير غضبي بشكل عاتٍ، ما حدث لجو كان مختلفًا، هو يعلم المخاطرة وقد مات إبان تأدية عمله لكن مولي أمر مختلف، لقد أتت بابتسامة حنون وحزينة لأنها كانت تحبه، أتت حاملة صورته لتقابل أخاه، وهي تحمل حقيبتها بسذاجة كطفلة تحمل هدية، لم يكن عليها محاولة مساعدتنا، ولم يكن عليها نسخ الملفات، لقد خاطرت مولي بكل شيء من أجلي أنا وجو وقد دفعت حياتها ثمنًا لهذا، كنت أشعر أن كل هذا الغضب بداخلي يوشك على الفتك برأسي.

ما حدث بعد أن وجدتها يبدو كذكريات متلاحقة داخل عقلي، وصول فينلاي وروسكو، الصدمة والصمت على وجوهنا، رغبة فينلاي في البقاء لحين وصول السلطات لأن هذا واجبه، غضبي وصراخي به أننا سنرحل الآن، اضطررت لجذبه بعيدًا من مرفقه، وأنا أصيح: ما سنفعله في الثواني الآتية سيحدد الفائز والخاسر، علينا الرحيل، علينا الوصول لملف جراي..

الآن كنا نقف جوار السيارة أمام المطار، صامتين، واجمي الوجوه، لا نزال نستوعب ما الذي حدث لمولي بالداخل بسببنا..

كررت لهم: علينا الوصول لملف جراي.

قال فينلاي بيأس: هذا كل ما نملك الآن.

- هيا بنا إذن.

قالتها روسكو، ودلفنا أنا وروسكو لسيارتها، وركب فينلاي سيارته.

لم أتبادل حرفًا مع روسكو طيلة رحلة العودة لكني لمحت فينلاي في سيارته أمامنا يتحدث مع نفسه بغضب ويلوح بيده يمينًا ويسارًا، يؤنب نفسه دون توقف لما حدث لمولي.

***

وصلنا لمخفر شرطة مارجرايف، تيل كان بالداخل، نظر لثلاثتنا ونحن ندخل لمكتب فينلاي، جلست بإرهاق فوق المقعد بينما فينلاي يغلق الباب، روسكو ظلت واقفة، أخرجت المطويَّة من جيبي وأريتها لفينلاي.

- ما الذي يعنيه هذا، العملية اينيم أي بلورياس؟

- لا أعلم، ربما الكثيرون سيأتون من الواحد.

دخل بايكر علينا وهمس: تيل خارج من المخفر الآن، هو يتحدث مع ستيفينسون أمام الباب الرئيسي، هل تحتاجون

لشيء؟

أعطاه فينلاي المطوية وقال ببطء: انسخ لي تلك الورقة.

خرج بايكر، وتصفح فينلاي باقي المطويات قبل أن يقول: ماهية كل تلك الأحرف الأولى؟

- نحن نعلم أن حرفين منها يخصان الموتى، هوبل، مولي بيث، لكنَّ اثنين يخصان جامعة برينستون وكولومبيا، الرقم الأخير يخص محققًا في نيو أورلينز..

- وماذا عن مرآب ستولر؟ هل تفقدتموه؟

- لا شيء مفيد به، صناديق خالية من العام السابق عندما كان يسرق من شركته حسب كلام صديقته..

زمجر فينلاي في صمت، وعاد بايكر وأعطاه المطوية والنسخة منها قبل أن يقول: لقد رحل تيل.

تبادلنا نظرة سريعة، حان وقت إيجاد ملف جراي.

كانت مارجرايف بلدة صغيرة، لكن جراي كانت قد احتفظ بملفات لكل شيء قد وقع خلال الخمسة والعشرين عامًا الماضية، لم أرَ هذا القدر من الملفات والأوراق في حياتي، ظللنا نبحث في قسم «كلاينر»، ولم تكذب روسكو عندما قالت إن جراي كان شديد التنظيم.

لكننا لم نجد أي شيء مفيد بعد ساعة من البحث الشاق، ملفات عتيقة وتعليمات شرطة تخص لائحة العمل في حالة إطلاق الاتحاد السوفيتي صاروخًا صوب

أطلانطا، أو محاولة رجل أسود الجلوس في مقدمة الحافلة، تبًّا تلك تعليمات تعود للستينيات، لن نجد شيئًا مجزيًا هنا، وقالت روسكو كأنما هي قد قرأت أفكاري: لقد سبقونا وأخذوا الملف.. لقد أخذوا كل ما يخص كلاينر واستبدلوه بهذا الهُراء

وافقها فينلاي لكني قلت: هذا ليس منطقيًّا، الطبيعي أن يأخذوا صندوق ملفات كلاينر ويتخلصوا منه، لماذا عملية التبديل تلك؟ كلا، جراي هو من قام بعملية التبديل تلك، لقد أخذ الملفات المهمة وأبدلها بهذا الهُراء كي يخبئها، أنتِ قلتِ: إنه كان بارعًا..

- آه لا أعلم، ربما أنت محق، لقد خبأ مسدسه معي، هو كان جيدًا في تخبئة الأشياء..

نظرت إليها بتركيز، شيئًا قالته قد دق ناقوسًا في عقلي، سألتها: متى أعطاكِ مسدسه؟

- بعد الكريسماس، ليس بفترة طويلة قبل موته.

- هناك شيء خاطئ في هذا، الرجل كان محققًا لخمسة وعشرين عامًا، محققًا بارعًا، وذا احترام، لماذا سيشعر أن مضطر لتخبئة اختياره الشخصي لسلاحه؟ الأمر لم يكن حقًّا مشكلة، كلا، جراي أعطاكِ الصندوق وبه المسدس لأنه كان في حاجة لتخبئة شيء آخر وقد استغل الصندوق لفعل هذا.

- لقد كان يخفي مسدسه يا ريتشر كما قلت لك و..

- كلا، أنا لا أصدق هذا ولو للحظة، الأمر كله كان خدعة، ليتأكد من احتفاظك بالصندوق، هو لم يكن في حاجة لتخبئة السلاح، رجل مثل جراي بإمكانه الاحتفاظ بسلاح نووي لو أراد، السر الكبير يكمن في الصندوق.

- لكن لا يوجد شيء آخر في الصندوق، أليس كذلك؟

تبادلنا نظرة واحدة ثم جرينا نحن الثلاثة خارجين من المخفر صوب السيارة التشيفي، فتحت روسكو صندوق سيارتها الخلفي وأخرجت العلبة بحرص، فتحتها بدوري وأعطيت صقر الصحراء لفينلاي، ثم مزقت الصندوق إرْبًا وأنا أبحث بجنون، لا شيء بالداخل.. لا شيء على الإطلاق، بحثت بدقة، بحرص وعناية، كسرت الصندوق إلى أجزاء، جثوت على ركبتي وأنا أبحث وهم يقفان حولي، ثم سقط مفتاح صغير من المستحيل رؤيته أو الوصول لمكانه، سقط من الصندوق على الأرض، مفتاح صغير خبأه الرجل في الصندوق قبل موته.

كان المفتاح صغيرًا للغاية، لن يدخل في باب أو شيء من هذا القبيل، وقد استثنينا فكرة أنه يخص مكتبًا أو درجًا في المخفر، أو يخص باب منزل جراي، كلا، الرجل كان حريصًا ولن يستخدم المفتاح لشيء واضح كهذا، أغمضت عيني وتخيلت أني جراي، رسمت صورة ذهنية كاملة له، ها أنا ذا أعطي المفتاح في الصندوق وصقر

الصحراء لروسكو، أراقبها بحذر وهي تُحكم غلق الصندوق وتأخذه، تضعه في درج مكتبها وتحكم غلقه أيضًا، فأتنهد في ارتياح..

فتحت عيني، لقد أخبرتني الصورة الذهنية بالإجابة، قلت لهم: محل الحلاقة..

وبينما نحن في السيارة متجهين لمحل الحلاقة سألتني روسكو: لماذا هناك؟

- لأنه كان الوحيد الذي يذهب هناك بشكل منظم ومستمر.. وهو شعر أن تلك منطقة أمان محايدة بعيدًا عن تيل وكلاينر.. كما أنك قد قلتِ سابقًا إنه كان أصلع وله لحية غير مشذبة، هو لم يذهب للحلاق للعناية بشكله، لقد كان يحب الذهاب هناك وقد وثق في أصحاب المكان وأعطاهم أشياء ليخبئونها..

وصلنا لمحل الحلاقة ودخلت مسرعًا، المحل كان خاليًا من الزبائن، به الرجلان فحسب، قلت لهما: لقد أتينا من أجل أغراض جراي.

- لا أستطيع إعطاءك إياها يا رفيق..

دخلت روسكو خلفي بعدما ركنت السيارة، والمفتاح في يدها، نظر إليها الحلاق الأصغر سنًّا وقال: الآن أستطيع إعطاءك إياها.

وأردف وهو يقترب منها ويأخذ المفتاح: لقد وصانا

السيد جراي أن نعطي الصندوق لصديقته مسز روسكو لو أتت إلينا ومعها هذا المفتاح الصغير..

ثم نظر لفينلاي الذي ظل صامتًا وذهب الحلاق لركن بعيد، فتح درجًا ما وأخرج ثلاثة ملفات، أعطاني واحدًا، وفينلاي واحدًا، والأخير لروسكو..

امتلأ الملف الذي حملته بتقارير شرطية، تم نسخها كلها وإرسالها بالفاكس؛ وبالتالي لم يكن الكلام عليه بهذا الوضع لكني تمكنت من قراءته، قرأت مذكرات وتقارير اعتقال تخص المحقق جيمس سبيرينز، الفرقة الخامسة عشرة، نيو أورلينز، تم تعيينه في جريمة قتل، ثم سبع جرائم قتل بعدها، ولم يحل أيًّا من الجرائم الثمانية، كان الأمر عبارة عن فشل تام، لكن فيما يبدو أنه حاول بشدة، الضحية الأولى كان صاحب مصنع، متخصص يعمل في تصنيع الغزل والنسيج، الضحية الثانية كان زميل الأول، لقد عمل معه ثم استقل وحاول إقامة مشروع خاص به، والضحايا الست الآخرون كانوا موظفين حكوميين، العامل المشترك بينهم هو إجراؤهم لتحقيق بخصوص تلوث نهر المسيسيبي، وموت السمك، وتم تتبع سبب التلوث، مصنع غزل ونسيج، يتخلص من الكيماويات في النهر، مواد سامة مثل هيدروكسيد الصوديوم وهيبكولوريت الصوديوم والكلور، مكونين مزيجًا سامًّا وقاتلًا في النهر، الثمن ضحايا ماتوا بالطريقة نفسها، طلقتين في الرأس من مسدس مزود بكاتم للصوت، عيار ٢٢، مسرح الجريمة نظيف ولا توجد

بصمات أو أعيرة رصاصات، وقد افترض المحقق سبيرينز أن تلك جرائم نفذها قاتل محترف، وبحث عن القاتل بكل الطرق المتاحة، والقتلة المحترفون ليسوا بتلك الكثرة، وقد استخدم معارفه ليحاول التحدث معهم واستجواب الجميع.. ولكنَّ أحدًا لم يعرف شيئًا...

ما جربه سبيرينز بعد هذا هو الطريقة الكلاسيكية، ابحث عن المستفيد، والدافع.. طبعًا كن هذا هو صاحب مصنع الغزل والنسيج المسؤول عن التلوث، أول اثنين من الضحايا كانا منافسين له ويهددانه بشكل تجاري، والستة الآخرون هددوه بشكل قانوني.

وهكذا أصبح كلاينر، صاحب مصنع الغزل والنسيج، هدفًا لا يتغير للمحقق سبيرينز، لقد ظل يفعل كل ما في وسعه لمدة عام، قلب الدنيا كلها على رأس الرجل، وأدخل مكتب التحقيق الفيدرالي وهيئة الضرائب والتحقيق في الأموال في الأمر، قام بملاحقة كلاينر لعام كامل محاولًا إثبات التهم على الأخير، وبعد انتهاء العام أصبح سيبيرينز مقتنعًا أن كلاينر قد قتل زوجته، ضربها حتى الموت وتزوج من أخرى بعد ذلك، وأرسل سبيرينز تحذير لقسم الشرطة المحلي بالبلدة التي انتقل إليها كلاينر ليحذرهم من كلاينر ومن ابنه، قال لهم سبيرينز إن ابن كلاينر أشد خطورة من أبيه، الفتى مختل نفسيًّا، قادر على قتل عشرين طفلًا دون أن يطرف له جفن، في النهاية فقد المكتب الفيدرالي اهتمامه بالقضية، وكذلك هيئة الضرائب

ووجد سبيرينز نفسه وحده دون أدلة يستطيع بها جذب اهتمام المدعي العالم للقبض على كلاينر فأنهى القضية بدوره، وحفظها في هذا الملف إلى أن اتصل به محقق يدعى جراي من مارجرايف ليسأله عن عائلة كلاينر.

انتهيت من الملف في نفس لحظة انتهاء فينلاي الذي نظر لي قائلًا وهو يلوح بالملف في يده: مؤسسة كلاينر كلها عبارة عن واجهة لشيء آخر، هذا ملخص ما هو مكتوب في الملف، جراي اكتشف الأمر، مؤسسة كلاينر واجهة لنشاط غير قانوني، وهناك ملايين يتم صرفها دون أي مراجعة ضريبية، أو اعتماد من مراجع خارجي..

وأعطاني ورقة من الملف وهو يردف: انظر لهذا.

نظرت للورقة، كانت قائمة مدخولات ومصروفات، وأكمل فينلاي: يا إلهي انظر للمصروفات.

- نعم رقم كبير بالفعل، وفي الأغلب هم يصرفون أكثر منه، الحقيقة يا فينلاي إني لففت العالم ورأيت مدنًا وأماكن لا تعد ولا تحصى، لم أرَ مكانًا في مثل نظافة وتنظيم مارجرايف، ولا حتى البنتاجون، صدقني.

- أعلم هذا.

- كما أن مارجرايف مكان غريب، لا توجد حياة حقيقية هنا، لا نشاط تجاريًّا حقيقيًّا، كأنها حياة صناعية والكل يجني مالًا.

بدا عدم الفهم على وجهه فأردفت موضحًا: فكر في الأمر، مطعم إينو دومًا شبه خالٍ، رغم نظافته وجودته، النادلات هناك أكثر من الزبائن، كيف يدفع إينو مصاريفه؟ طبق هذا على كل المتاجر.. والحلاق كذلك.. لقد أخبرني أنه لم يحظَ بأي زبائن ليومين متواصلين..

ثم صمتُّ وتذكرتُ ما قاله الحلاق الأكبر سنًّا، قطبت جبيني وأردفت: هناك شيء آخر، كنت أعتقد أنه مجنون لذا لم أخذ ما قاله بجدية، لكن الحلاق قال لي: إنهم ليسوا في حاجة لجني الأموال؛ لأنهم يجنون ألف دولار وقد افترضت أنها سنويًّا، وقال لي: إنها تأتيهم من مؤسسة كلاينر.. ثم بعدها قال: إنها تأتيهم أسبوعيًّا، وإن هذا لسر كبير لكنه يثق بي لأني أعرف أخته.

قال فينلاي بدهشة: أنت تعرف أخته؟

- كلا، كان مشوش الذهن، كل ما حدث هو أني قد سألته عن بلايك الأعمى، عازف الجيتار إياه، وهو قال: إن أخته غنت مع بلايك، ثم اختلط عليه الأمر بعد هذا وافترض أني أعرف أخته.

- ولكن ألف دولار أسبوعيًّا، كيف؟

- لا أعلم، لقد افترضت أن الرجل مجنون حينذاك، ولكن الآن أنا أعتقد ببساطة أنه كان يقول الحقيقة.

كرر فينلاي: ألف دولار أسبوعيًّا، تلك منحة هائلة، هذا يعني اثنين وخمسين ألف دولار سنويًّا، هذا قدر هائل

من المال، يا إلهي هل ابتاعوا المدينة بأكلمها؟ هل هم في حاجة لصرف مال مزيف أم ماذا؟ لقد أصبحت البلدة كلها معتمدة على مؤسسة كلاينر.

- هذا حقيقي لقد أصبحت المؤسسة الدجاجة التي تبيض ذهبًا، لن يجازف أحد بقتلها، سيصمت الجميع وينظرون بالاتجاه الآخر بينما تفعل المؤسسة ما تشاء..

- بإمكانهم قتل أي أحد والإفلات من العقاب.

نظرت لفينلاي وقلت لقد ارتكبوا جرائم قتل بالفعل.

- إذن ما الذي سنفعله؟

- في البدء علينا أن نفهم ما الذي يفعلونه.

نظر فينلاي إلي كأني مخبول وهتف: نحن نعلم الإجابة بالفعل، يطبعون أموالًا مزورة في المخزن.

- كلا، لا يوجد مزور محترف في الولايات، جو قد أنهى كل عملهم هنا والتزوير أصبح يتم بالخارج..

- لو لم يخص الأمر تزوير الأموال إذن فما الذي يحدث؟

- لكن الأمر يخص تزوير الأموال فعلًا..

التفت كلانا لروسكو التي قالت الجملة، وأشارت للملف في يدها مضيفة: جزء من الإجابة يكمن في هذا الملف، والجزء الآخر في تلك الجريدة..

ثم تنهدت روسكو وأرتنا بوجه عابس ما الذي يحتويه

الملف، تقارير مراقبة تفصيلية، تشمل العام كله لعدد هائل من الشاحنات تتحرك بمواعيد منتظمة لا تتغير، أول ستة أشهر تضم خط سير الشاحنات في المواعيد الصباحية والمسائية، الشهر السابع احتوى على خط سير ومواعيد مختلفة، ولكن كان هناك شيء مختلف في آخر اثني عشر يومًا في فبراير، وأنا أعلم أنها آخر اثني عشر يومًا في حياة جراي، وقد أدرج الاثني عشر يومًا في تقرير مراقبة آخر خمسة أشهر للشاحنات، في كل التقارير السابقة كان هناك شاحنات واردة، ولكن حسب آخر تقرير فكل الشاحنات في تلك الفترة كانت تخرج من مارجرايف فقط، العامل المشترك بين كل الشاحنات الواردة فيما سبق حسب ما تتبعه جراي أنها قادمة من موانئ..

- إذن؟

سأل فينلاي، فابتسمت روسكو وأجابت: أليس الأمر واضحًا؟ أتذكر مصنع كلاينر الجديد الخاص بالكيمائيات؟ أين مكانه؟ فينزويلا، هم يستوردون المال المزور من هناك، عن طريق شحنات بحرية وقوارب، ومن الميناء تقوم الشاحنات بنقل الأموال المزورة للنقطة المركزية ألا وهي مارجرايف، ثم تنطلق الشاحنات بقائمة التوزيع ليتدفق المال المزور داخل البلاد، يغرقون كل الولايات به: شيكاغو، لوس أنجيليس، نيورك، بوسطن.. إنها منظمة توزيع أموال مزورة دولية.. الأمر واضح يا فينلاي..

- هممممم.

- فكر يا فينلاي في الأمر، شيرمان ستولر قاد شاحنته لميناء قوارب بحرية في شاطئ جاكسونفيل، لكنه لم يصل لأنه تعرض لمخالفة سرعة مرورية، وتم القبض عليه، ولهذا أتى المحامي البارع بسرعة ليخرجه..

كان لايزال هناك عدم اقتناع على وجه فينلاي، فأردفت روسكو وهي تشرح له على الخريطة: انظر هنا، الجغرافيا صحيحة تمامًا، يتم تصنيع الأموال المزورة وتوريدها من أمريكا الجنوبية لنقطة مركزية، مارجرايف هي المخزن للعملية بأسرها، وكما رأينا في تقرير المراقبة الخاص بجراي، الشاحنات تفرغ تلك الأموال المزورة في كل أنحاء البلاد..

- ولكن حسب تقارير جراي لم تكن أية شاحنات واردة في الفترة الأخيرة؟

تألقت عينا روسكو وهي تشير للجريدة: هذا هو الجزء الآخر من الإجابة، انظر لهذا الخبر.. «خفر السواحل تكثف من جهودها ضد التهريب».. تلك هي إجابتك.. في هذا التاريخ نفسه توقفت الشاحنات عن التوريد لأن الشحنات البحرية قد توقفت.

- لكن الشاحنات استمرت في الخروج من مارجرايف، ما الذي كانوا يوزعونه لو لم يكن هناك شحنات واردة؟

- مخزون، وهذا المخزون اقترب من الانتهاء، كم تستمر عملية الحكومة ضد أي نشاط غير قانوني؟ كحملة أقصد؟

ثلاثة أو ستة أشهر أو عامًا صحيح؟ حسنًا.. انظر للتواريخ مرة أخرى، أعتقد أن عملية خفر السواحل ضد التهريب ستنتهي، وأول شحنة جديدة قادمة يوم الأحد..

***

الفصل الثاني والعشرون

هز فينلاي رأسه باقتناع تلك المرة وابتسم.. ومد يده ليصافح روسكو قائلًا: عمل رائع وتحليل مبهر يا روسكو، لقد قلت دومًا إنك ذكية، ألم أخبرك يا ريتشر أنها أفضل مَنْ نمتلك؟

ابتسمت موافقًا واحمر وجه روسكو، وكذلك فعل فينلاي، لكني رأيت أنه لا يزال يقيم نظريتها من كل الاتجاهات في عقله.. يبحث عن تناقضات وقد بدا أنه وجد أحدها عندما سأل: وماذا عن هوبل؟ ما دوره في كل هذا؟ لماذا سيوظفون رجلًا مصرفيًّا ليشرف على عملية توزيع شحنات.

قلت له: هوبل كان مدير قسم السيولة والنقدية في المصرف، وظيفته معهم هي كيفية توزيع الأموال المزورة وأماكن صرفها لأن هذا مجال خبرته.

- حسنًا، وشركة مكيفات الهواء؟ أنتم تعلمون أن هذا الجزء حقيقي، وقد رأيتم صناديق الشركة في مرآبه.. وعندما تم إيقافه بسبب السرعة كانت شاحنته ممتلئة بها.

- نشاط شرعي كواجهة وهمية لإخفاء النشاط غير القانوني.. تمويه.. وهذا النشاط الشرعي يبرر حركة وتنقلات الشاحنات المستمرة.. لن يكون الأمر منطقيًّا لو تحركت تلك الشاحنات بالأموال المزورة فحسب، لا بد من تمويه لعبور نقاط التفتيش المرورية.

- تفكير ذكي منهم.. نحن بحاجة لعينة من أموالهم المزورة.

ابتسمت له فنظر لي وقال: ماذا؟

- لَدَيَّ عينة بالفعل.

وأخرجت رزمة نقود من جيبي مضيفًا: تشارلي هوبل أعطتني تلك الأموال كمصاريف، وأنا واثق أنها أخذتهم من بول، وبالتالي تلك هي عينتنا.

- ولماذا تفترض أن بول يستخدم ماله المزور؟

- فكر بالأمر، كلاينر يحتاج للنقدية لتدوير عمليته، لا بد أنه دفع لبول أجره بالمال المزور..

رفع فينلاي النقود وتفحصها في الضوء فاقتربت منه أنا وروسكو لنفعل المثل..

وغمغمت روسكو: تبدو حقيقية لي..

هززت رأسي مؤكدًا: إنها مزورة، فئة المئة دولار هو ما يتم تزويره في المعتاد لأن أي فئة أصغر لا تستحق العَناء، وأي فئة أعلى ستكون مثيرة للشكوك، لماذا سيصرفون من مال حقيقي وهم لديهم طن من المزيف؟

ظللنا نتفحص الأموال ونقلبها يمينًا ويسارًا دون أن نجد أي اختلاف عن الحقيقية..

وفي النهاية غمغم فينلاي: لو تلك الأموال كانت هي

المزيفة فهي نسخة بارعة بحق لكن نظريتك منطقية.

ثم وضع النقود في جيبه وأضاف: سأعود للمخفر، لنتقابل غدًا في المساء بعد رحيل تيل.. سأتحقق من النقود لهذا الحين.

***

الخطة الآمنة دومًا في الاستمرار في الترحال، لا نتوقف، وهذا ما فعلته، أخذت روسكو وذهبنا لنزل آخر بعيدًا خارج البلدة، حجزنا غرفة وارتمينا على الفراش لننام في إرهاق، استيقظنا بعد وهلة وطلبنا القهوة، سألتني روسكو: «ما الذي سنفعله الآن؟»، لم أجبها، كنت أفكر في شيء آخر، فكرة وانتني فجأة، تفحصت روسكو تعبير وجهي قبل أن تقول: بمَ تفكر؟.. رفعت رأسي إليها وقلت: ما الذي فعله جراي عندما اكتشف الأمر؟

- شنق نفسه..

- هل شنق نفسه حقًّا؟

شهقت روسكو وعلا صدرها في انفعال وهي تهتف: أنت لا تعتقد..

- سياسة كلاينر هي قتل أي مصدر تهديد له، لو كان جراي قد اكتشف الأمر -وهذا واضح في تقاريره التي أخفاها- فأنا واثق من أنهم قتلوه وجعلوا الأمر يبدو كانتحار..

كانت روسكو ترتجف، ثم قالت: ولكن لماذا لم يخبرني؟ لقد كان يثق بي..

- أعتقد أنه أخبر ماريسون، والأخير يعمل لدى كلاينر.. أعتقد أن ماريسون أخبر تيل، والأخير أبلغ كلاينر فتم التخلص من جراي.

- يا إلهي، لقد كانوا جميعًا في جنازته، وتيل ألقى خطبة طويلة عن جراي، وكونه أفضل محقق في البلدة..

نظرت إليها في تعاطف ولم أعلق، لقد كانت روسكو تحب مارجرايف، وتشعر بالألفة مع هذا المجتمع الصغير، لكنها اكتشفت الآن أن هذا المجتمع متعفن وفاسد، ليس سوى مستنقع إجرامي..

- روسكو.

- نعم.

- علينا الحديث مع الطبيب الشرعي مرة أخرى، هو الذي فحص جثة جراي أليس كذلك؟ تقريره سيوضح هل قتلوه حقًّا أم لا؟..

***

كنت أشعر بالجوع عندما وصلنا للمشرحة، ولم تكن تلك أفضل حالة تصل بها لمكان كهذا، خرجنا من السيارة واتجهنا صوب المدخل، كانت أشعة الشمس لا تزال قوية، واليوم لطيف بالخارج لكننا تركنا كل هذا ودخلنا

المشرحة، قابلنا الطبيب بوجهه المرهق وقال: مرحبًا، كيف أستطيع مساعدتكما تلك المرة؟

جلسنا في المكان السابق نفسه، وتركت روسكو تتحدث، لا شأن رسمي لي هنا في نهاية الأمر، قالت هي له: هل تتذكر جراي رئيس المحققين الذي شنق نفسه في فبراير من هذا العام؟

- نعم.

قالها وذهب ليبحث بين سجلاته، ثم سحب ملفًا وعاد للمكتب، جلس وفتحه وعيناه تتفحص المكتوب ثم قال: أتذكره نعم، كانت تلك أول حالة انتحار بالشنق في مارجرايف في ثلاثين عامًا تقريبًا، لقد استدعوني لمنزله حيثما وجدوه معلقًا في مرآبه من عنقه..

صمتت روسكو وهي تغالب انفعالها ثم قالت: صحيح.

- حسنًا، ما هو الأمر؟

- هل كان هناك شيء.. مريب؟

- شيء مريب؟

قلت له: شيء غير منطقي، مريب، خاطئ في الجثة عندما فحصتها؟

تلاحت ابتسامة على وجهه، الابتسامة السابقها نفسها عندما كان يحلل ويخمن، وقال: شيء مثير للشبهات؟ أنتم تشكون أنه لم يكن انتحارًا، كلا.. لم يكن هناك شيء من

هذا القبيل، انتحار بالشنق، بكل بساطة.. وقف على حافة المنضدة في مرآبه بقدمين عاريتين ولف الحبل المتين حول عنقه ثم قفز، كما أن أقوال المحليين أكدت أنه كان يعاني الاكتئاب.. لقد قالوا إنه كان مكتئبًا لفترة طويلة، العمدة تيل، ورئيس الشرطة ماريسون هما أصحاب تلك الأقوال، لقد قالوا إنه كان معهما ليلة انتحاره، وأنه كان ثمل لدرجة لا توصف، وأخبرهم أنه سيقتل نفسه بسبب قضية فشل بها أو شيء كهذا.. وماريسون وقع باسمه على شهادته تلك.

- هل بدا لك ماريسون مقنعًا؟

- لا أعلم فأنا لم أعرف جراي نحن نتعامل مع عشرات أقسام الشرطة من عدة بلدان، ولم أرَ أي أحد من مارجرايف قبل تلك الواقعة، مكان هادئ بلا مشاكل كما تعلمون، على الأقل اعتاد أن يكون كهذا، لكن القصة منطقية، السُّكْر والاكتئاب معادلة ناجحة تؤدي للانتحار..

- وماذا عن الأدلة الجسدية؟

- كدمات على عنقه وساعديه، والجثة كانت مفعمة برائحة الويسكي

- هل أجريت تشريحًا على الجثة؟

- لم يكن هناك داعٍ لهذا، كانت مجرد حالة انتحار بسيطة، دعمتها أقوال الشهود وماريسون طلب التكتيم وسرعة الانتهاء من الأمر.

تبادلت نظرة ذات مغزى مع روسكو، وقال الطبيب: حسنًا يا رفاق مضطر للاستئذان لَدَيَّ أعمال لأقوم بها..

شكرناه ورحلنا من المشرحة.

***

فور أن دلفنا للسيارة صاحت روسكو بوجه غاضب: أولاد الملاعين قد قتلوه، جراي لم يشرب أبدًا في حياته، ولم يكن يعاني من الاكتئاب بتلك الدرجة، لم يفشل في أي قضية من قبل، وهو لم يطق أيًّا من تيل، ولا ماريسون، وبالتأكيد لم يكن ليقضي الأمسية معهما..

ثم صمتت وهي تتخيل كيف قتلوه قبل أن تسألني: هل تعتقد أن ماريسون الذي قتله أم تيل؟

- كلاهما ومعهم شخص آخر.. أتخيل أن الوقت كان ليلًا، فتح جراي باب منزله لتيل ليجد الأخير يستل سلاحًا، وظهر ماريسون والشخص الثالث وقيدوه، هذا تفسير منطقي للكدمات على ساعديه، وربما تيل هو من أفرغ زجاجة الويسكي في فمه، أو على ملابسه على الأقل.. ثم شنقوه..

ارتجفت روسكو، ثم قالت بغضب: لقد قتلوه.

- مثلما قتلوا جو.

تبادل كلانا النظرات، وقلت: سيدفعون الثمن.

كررت روسكو: سيدفعون الثمن.

قادت روسكو وهي تهز رأسها مغمغة: جراي المسكين، لقد كان ذكيًّا وحريصًا وحساسًا، لم يستحق تلك الميتة البشعة.

- لم يكن حريصًا بما يكفي، أنتِ تعرفين القاعدة الآن للنجاة في مارجرايف، لا تكوني وحدك أبدًا، لا تثقي بأحد، وكوني دومًا بجانب فينلاي..

- فينلاي؟ أتعلم ما لا أفهمه يا ريتشر؟

- ماذا؟

- تيل وماريسون يديران البلدة من أجل كلاينر وأعماله القذرة، وجراي محقق نزيه وبارع وموجود من قبل قدوم كلاينر، منذ خمسة وعشرين عامًا، لقد ورثوا جراي، لا خيار لديهم، لكن الخيار أضحى ملك أيديهم بعدما قتلوه، لماذا وظفوا فينلاي؟ هو أكثر خبرة من جراي، وذكي ومحترف ومصدر خطر لهم، أعني أنا لا أفهم تلك النقطة تمامًا، لماذا لم يختاروا شخصًا مثلهم أو شخصًا أخرق يصبح طوع أيديهم؟

- لقد كانوا يظنون أنهم يفعلون هذا عندما وظفوا فينلاي...

نظرت لي روسكو بعدم فهم فحكيت لها ما الذي حدث مع فينلاي، الحكاية التي قصها لي الأخير من قبل عندما كنا نتجول سويًّا، طلاقه، وقدومه إلى هنا، حالته المزرية في

المقابلة وتلعثمه، وعدم قدرته على قول شيء واحد واضح، وكيف أنه ظن أنها أسوأ مقابلة في التاريخ، واندهاشه من كونه قد حصل على الوظيفة، بلى، لقد كانوا يظنون أنهم وظفوا مغفلًا في وظيفة رئيس المحققين، وعندما بدأ فينلاي في استعادة هدوئه ورباطة جأشه مع بدء العمل وإظهار كونه بارعًا وذكيًّا كانت عملية اختياره قد تمت بالفعل.

رفعت روسكو حاجبيها في دهشة ثم ضحكت، وضحكتها تلك جعلتني أشعر بتحسن، ثم هزت رأسها وهي تقول ضاحكة: يا للمفارقة الساخرة..!

فور أن وصلنا لمارجرايف شعر كلانا أننا نرى البلدة الفاخرة بعين مختلفة، كل تلك البيوت والحدائق الجميلة والمتاجر، تمثال تيل.. بلدة قائمة على أموال قذرة، وصلنا لمخفر الشرطة، ولم نخرج من السيارة، لا أعتقد أننا أردنا هذا، وتلامست أيدينا كان كل واحد منا يتمنى حظًّا جيدًا للآخر، ثم خرجنا من السيارة ودخلنا المخفر، لتبدأ المعركة.

***

كان المخفر خاليًا، اللهم إلا من فينلاي وبايكر، الأخير كان يجلس على مكتبه، رآنا فينلاي فقدم إلينا ودخلنا مكتبه ليقول على الفور: لدينا مشكلة صغيرة، وتيل سيعود خلال عشر دقائق لذا علينا حلها بسرعة.. لقد اتصل بيكارد.. والمشكلة تكمن في المنزل الآمن حيث نتواجد

تشارلي هوبل مع طفليها، لقد أكد عليكم بيكارد سرية الأمر أليس كذلك؟

- نعم، لقد قال إنه يخاطر بوظيفته.

- هذا حقيقي.. والمشكلة أن بيكارد لا يستطيع أن يطلب من أحد زملائه مجالسة عائلة هوبل وهو لديه عمله، كما أنه قال لي إن الأطفال يخافون منه، وهو محرج من تشارلي بسبب كونها امرأة وكل هذا.. لذا..

ونظر فينلاي لروسكو في تساؤل صامت.

- أنت تريد مني الذهاب إلى هناك ومجالسة تشارلي وطفليها؟ بيكارد اقترح هذا أليس كذلك؟

- لمدة أربع وعشرين ساعة فحسب، هل تستطيع فعل هذا؟

تنهدت روسكو وابتسمت مجيبة: بالطبع.. فقط عدني أنك ستجلبني هنا فور أن يبدأ المرح.

- ثقي بهذا.. المرح لن يبدأ قبل الأدلة والتفاصيل، بمجرد أن نحصل عليها ويبدأ الأمر بشكل رسمي حينذاك سيرسل بيكارد رجاله لمجالسة تشارلي ولسوف يتولى هو قضية كلاينر بنفسه..

- حسنًا، متى سأذهب؟

- الآن، بيكارد سيصل في أي لحظة.

ابتسمت روسكو مرة أخرى قائلة: أنت تعلم بالفعل أني كنت سأوافق.

بادلها فينلاي الابتسامة، وأردف: كما قلت لريتشر، أنتِ أفضل مَنْ نمتلك يا روسكو..

***

خرجت مع روسكو لتأتي ببعض الأشياء من سيارتها التشيفي لحين قدوم بيكارد، قلت لها: كوني آمنة.

- لا يوجد مكان أكثر أمانًا من منزل آمن تابع للمكتب الفيدرالي، لا تقلق.

ثم احتضنتني بقوة وهمست: سأفتقدك، لم أتخيل أننا سنفترق الآن..

مسحت بيدي على شعرها مبتسمًا، خرج فينلاي من المخفر واتجه إلينا قائلًا لروسكو: أطلعي بيكارد على المستجدات.

- حسنا.

وصل بيكارد بعدها وحيَّانا ثم قال لروسكو بلطف: أنا ممتنٌّ لك حقًّا.

- لا داعي لهذا، أنت تساعدنا ونحن نساعدك هكذا تجري الأمور.

ثم سألته: أين هذا المنزل الآمن؟

ابتسم بيكارد نصف ابتسامة وهو يغمز لي: لن أستطيع إخبارك أمام مدنيين، أنا أخاطر بالكثير بالفعل ولا أريد أن أفقد وظيفتي، عندما ينتهي كل هذا لا تضغط عليها يا ريتشر لمعرفة مكان المنزل الآمن..

- لن أضغط عليها، ستخبرني هي من نفسها.

- هاها.. حسنًا.. وداعًا.

ركبتْ روسكو السيارة مع بيكارد واختفيا عن ناظرينا، بينما أنا وفينلاي نقف، لوَّحنا لهما، وظللنا واقفين حتى اختفت السيارة تمامًا ثم عدنا لمخفر الشرطة..

***

الفصل الثالث والعشرون

التفاصيل، جمع الأدلة، المراقبة، هذا هو أساس كل شيء الآن، عليك الترقب والصبر والانتظار لتحصل على ما تحتاجه، وبينما روسكو تعد أقداح القهوة لنفسها هي وتشارلي هوبل، جلست أنا وفينلاي في المكتب نضع خُطتنا، سيتحتم عَلَيَّ مراقبة المخزن، طيلة الوقت، ربما لن يحدث وربما تعود روسكو بينما أنا لا أزال أراقبه، وهأنا ذا الآن أدور بالبنتلي أمام المخزن بعدما تركت فينلاي وأبحث عن نقطة مراقبة جيدة بعدما حفظت جغرافية المكان.. ركنت السيارة عند تلك النقطة وجلست أراقب.

قدت السيارة حتى وجدت متجر أسلحة، خرجت من السيارة وأحكمت غلقها ثم ذهبت للمتجر، فتحت الباب ودخلت استقبلني البائع، كان أبيض اللون ذا لحية سوداء يرتدي معطفًا عسكريًّا وحذاءً جلديًّا طويلًا، ولديه جرح عميق في إحدى أذنيه، بدا لي كقرصان، ربما هو جندي سابق أو يتظاهر بكونه واحدًا، أومأ لي برأسه مرة أخرى، كان لديه كل ما أحتاجه، معطف عسكري طويل ومناسب للاختفاء والتمويه، ويتسع لصقر الصحراء، وزجاجة مياه بلاستيكية خاصة بالجيش، ومنظار مراقبة، وبينما أنا أخرج أموال هوبل من جيبي قلت للرجل: هل لديك «بلاك جاك»؟

نظر لي وللأموال في يدي ثم انحنى وأحضر السلاح

الفعال ذو الماسورة الطويلة ومعه الذخيرة، نقدت البائع ماله ورحلت.

***

ذهبت بعدها لسوق سيارات مستعملة وقمت بتبديل البنتلي بسيارة كاديلاك داكنة اللون، كانت صفقة لا بأس بها مع البائع، اتفقت معه على اقتراض الكاديلاك لعدة أيام في حين يقوم هو بتأجير البنتلي، والحصول على الفارق نقدًا.

تبقى أمامي شيء واحد قبل بدء عملية المراقبة، وهو ابتياع ألواح الشيكولاتة والمقرمشات..

وضعت صقر الصحراء في غمدي، والبلاك جاك داخل المعطف، ومدية ماريسون في جيبي الخلفي.. وأحكمت غلق المعطف العسكري..

ووضعت الشيكولاتة والمقرمشات في جيب المعطف.. ثم عدت لمارجرايف..

استغرقني الطريق ساعة كاملة، وركنت السيارة في البقعة التي اخترها التي لن يراها أحد سوى المسافرين على الطريق السريع والمارين بمارجرايف دون التوقف بها وهؤلاء لن يكترثوا لأمري..

رفعت الصندوق الأمامي للسيارة، أي أحد سيراها -لو لاحظوها من مارجرايف أو المخزن- فلسوف يعتقدون أنها

خردة عطلت على الطريق ليس أكثر.. انحنيت وزحفت جوارها واستقررت بين الأعشاب بالمعطف العسكري والمنظار وبدأت في المراقبة..

كانت نقطة ارتكاز ومراقبة فعالة للغاية، بإمكاني رؤية المخزن بأكمله، بكل الجوانب والتفاصيل.. هناك سياج عملاق يحيط به، سياج به أسلاك شائكة وحادة، الجزء الأعلى من السياج يحيط بالبوابة الأمامية، والمكان كله مكتظ بالنشاط البشري.

المخزن كان كبيرًا وأشبه بالمصنع وهو مكون من عدة مبانٍ صغيرة ومبنى رئيسي ضخم، وهناك فناء واسع يجمعهم سويًّا، ليحيط بهم السياج في النهاية، وهناك عدد غفير من الشاحنات أمام المبنى.

راقبت المبنى الأول الصغير ولم يبدُ أن هناك أي شيء مثير للشبهات، مجرد عمال يحملون أشياء زراعية لا أعرف كنهها للشاحنة دون توجس أو محاولة إخفاء لشيء، المبنى الأول الصغير كان بريئًا.

الشيء نفسه ينطبق على المبنى الثاني والثالث، بأبوابهما المفتوحة على مصاريعها، المبنى الرابع كان مبتغاي.

موقعه ممتاز وناءٍ وبعيد عن الأنظار، لم يكن هناك فلاحون ولا عمال ينقلون شيئًا منه، ثم لمحت التلة والشجرة التي تعرفتْ عليهما روسكو في صورة شيرمان ستولر مع هوبل، نعم.. هذا هو المبنى الذي أبحث عنه.

بوابة المبنى كانت مغلقة، وهناك اثنان من الحراس يتوليان نوبة حراسة ومراقبة بخطوات ثابتة ومواضع غير متغيرة.

انتظرت كثيرًا، وبدأت أشعر بالوقت يمر ثقيلًا أمام عيني، وكاد الملل يعصف بي فبدأت أغني لنفسي تزجية للوقت، بدأت بأغنية «أدندن في عقلي»، غنيت النسخة الأصلية في البداية، ثم انتقلت لكل النسخ الأخرى بعدها، هناك عشرات النسخ من تلك الأغنية لكن لا أحد يعلم من غناها الأول ولا من أين أتت، هي أغنية عن هؤلاء الرحَّالة الذين يتجولون ولا يمكثون في مكان واحد لفترة طويلة، مثلي، لقد قضيت أسبوعًا كاملًا في مارجرايف وتلك أطول فترة قضيتها -تطوعًا- في مكان ما، فكرت في روسكو، شعرت أني يجب أن أظل معها في مارجرايف، ستكون تلك حياة رائعة، ولكن سيكون هناك مشاكل، ستنهار البلدة كلها بعدما يتم سحب أموال كلاينر القذرة منها، وحينئذ سيبدأ الترحال مثلما تقول الأغنية، شعرت بكلمات الأغنية تسير في قلبي، كأنها قد كتبت خصيصًا من أجلي، أعتقد أن بلايك الأعمى هو من كتبها، لقد كان رحالة بدوره وتجول كثيرًا.

لقد اعتدت أنا وجو أن ندندن بتلك الأغنية، كنا نغنيها بشكل ساخر كإسقاط على حياة عائلتنا العسكرية، بعدما نترجل من طائرة ما مع والدينا ونذهب لمكان جديد، نبدأ في دندنة الأغنية كأننا نستعد للرحيل من هذا المكان

الجديد فور وصولنا؛ ولذا غنيت مرة أخرى؛ من أجل جو.

استغرقني الأمر ثلاثين دقيقة لأغني كل النسخ التي أتذكرها من تلك الأغنية العتيقة، مرة لي ومرة لأجل جو، وخلال هذا الوقت رأيت نصف دستة من الشاحنات تتجول صوب المبنى، لكني لم أحصل على أي معلومة مفيدة، ما حصلت عليه هو تصفيق بعدما انتهيت من الغناء، تصفيق ساخر وبطيء قادم من الظلام خلفي، التفت بسرعة وحدقت بالفراغ، توقف التصفيق وسمعت حركة، ثم تكون أمامي ظل رجل يخرج من العتمة، كان يرتدي معطفًا باليًا وقديمًا، وجه ملوث بالأتربة، ولحية قذرة طويلة، شعر رَمَادي يصل لمنتصف ظهره، بدا كمتشرد.. توقف الرجل ونظر لي.. قلت: من أنت بحق الجحيم؟

مرر الرجل يده في شعره وابتسم قائلًا: من أنت بحق الجحيم؟ تأتي لمكاني وتغني هكذا..

- هل هذا هو مكانك؟ أنت تعيش بالأسفل هنا؟

تنهد وهو يجلس القرفصاء مجيبًا: بشكل مؤقت.

هززت رأسي، لا مشكلة لَدَيَّ في هذا، على الرجل أن يعيش في مكان ما.. قلت له بلطف: آسف لإزعاجك، لكني مضطر لقضاء الليلة هنا.

- ابقَ حيثما شئت وللوقت الذي تريده، فنحن قررنا

الرحيل والانتقال لمكان آخر.

- نحن؟ هناك آخرون معك؟

انتقلت عيناي المتسائلة للعتمة من خلفه لكني لم أرَ سوى الظلام..

- أنا وعائلتي، سعداء بلقائك، لكنه وقت الرحيل.

ثم التقط حقيبة من خلفه، حقيبة عسكرية برقم متسلسل، هو جندي سابق، وقال لي مودعًا: سعدت بلقائك.

- انتظر، هل كنت هنا ليلة الخميس؟

كان قد ولى لي ظهره بالفعل، التفت نصف التفاتة وقال: أنا لم أرَ شيئًا ليلة الخميس.

تمعنت النظر فيه، جندي سابق، وليس من النوع الذي قد يتطوع بأي معلومة، تلك قاعدة عامة لكل الجنود؛ لذا حاولت ترطيب الأجواء بيننا وأخرجت لوح شيكولاتة من جيبي، ووضعت معه مئة دولار، وأعطيته إياهما، التقطهم من يدي ووضعهم في جيبه وهز رأسه باتجاهي دون كلام، فسألته: ما الذي لم تره ليلة الخميس؟

- لا شيء، تلك هي الحقيقة، لكن زوجتي رأت الكثير.

قلت ببطء وحذر: هلا سألتها من أجلي؟

حرك رأسه موافقًا، ثم أشار لي انتظر، واستدار وهمس مع الفراغ الملتف بالظلام من حوله، ظل يتحدث مع نفسه قبل أن يلتفت لي مردفًا: لقد رأت كائنات فضائية، عدو قادم من الفضاء، بسفينة ضخمة سوداء تبدو كشاحنة عملاقة، كانا اثنين من الكائنات الفضائية متنكرين في شكل بشر، لقد رأت زوجتي ضوءًا في قلب السماء ودخانًا، وسفن الفضاء تحوم في الأعلى، قبل أن تتحول إحداها لسيارة ويخرج منها كائن فضائي متنكر في صورة شرطي، ثم أتت سيارة أخرى خرج منها مقاتلون مريخون متنكرون في صورة رجلين، هما من مجرة أخرى كما تعلم، وبدؤوا يرقصون، زوجتي قالت إن الأمر كان مثيرًا جِدًّا، هي تحب الرقص..

كان يعني ما يقول ويصدقه لم يكن يمزح، أردف الرجل: لقد فاتني العرض للأسف؛ لأن طفلتنا كانت بحاجة للاستحمام، وكنت أقوم بهذا الواجب المنزلي عندما رأت زوجتي كل شيء..

- هل رأت زوجتك أي شيء آخر؟

التفت مرة أخرى وهمس للظلام قبل أن يتلقى إجابة في عقله وينظر لي مجيبًا: هي تقول: إن سفن الفضاء لا تطلق عوادم دخانية على خلاف سفن القتال الخاصة بهم، على أية حال أحد المقاتلين زحف ونزف حتى الموت حيثما تجلس أنت، حاولنا مساعدته أنا وزوجتي، لكن لم يكن هناك شيء بإمكاننا فعله من أجله، وقد أخذه المسعفون

يوم الأحد..

شكرته على قصته ورحل هو في صمت، شاهدته وهو يقف أعلى التلة يتفقد الطريق قبل أن يسير مبتعدًا، وفكرت في قصة زوجته، تقرير شاهد عيان، ليس نوعية التقارير الذي سيقنع محكمة القضاء العليا، لكنه أقنعني أنا بالتأكيد فبعد كل شيء لم يكن أخو المحكمة -مقاتل الفضاء- هو الذي تم قتله بعد أن رقص أمام بوابة المخزن.

مرت ساعة أخرى من الانتظار دون أن يحدث شيء، أكلت لوح شيكولاتة كاملًا، وشربت كل المياه، ثم ظهرت شاحنة في الأفق، قادمة من الجنوب، كبيرة الحجم، تسير ببطء، قربت المنظار من عيني ودققت النظر، لوحة الأرقام تخص جورجيا، السائق كان بلا تعبير، وجه مقنط وقبعة رأس، مستدير الكتفين، صلب الجسد، يقود بشكل احترافي كأنه قد وُلد للحياة وهو يقود الشاحنات، كان يلوك اللادن وأدار المقود ليدخل الفناء من خلف السياج، أوقف الشاحنة ثم ترجل منها وتبادل حديثًا مقتضبًا مع أحد الحراس، بعدها أشعل لفافة تبغ وبدؤوا هم في تحميل صناديق للشاحنة، ظهرت بعدها شاحنة أخرى، لوحة أرقامها تخص لويزيانا.. فتح لها الحراس البوابة ودخلت الشاحنة، كان السائق يقودها بشكل أسرع من سابقه، دخلت تلك الشاحنة المبنى الرابع، وبعد عشر دقائق خرجت بسائق مختلف ورحلت، لا بأس، كل شيء يسير حسب نظريتنا، هم يوزعون آخر ما تبقى لديهم من

مخزون المزورات قبل قدوم شحنة يوم الأحد، بعدها مرت عشرون دقيقة دون أي حدث، وانتابني تململ عاتٍ، افتقدت المتشرد وتمنيت أنه لم يرحل، كان بإمكاننا الثرثرة سويًّا، ثم رأيت شاحنة ثالثة قادمة بأرقام كاليفورنيا، النوع نفسه كالشاحنات السابقة، تتجه صوب المجمع وتعبر البوابة والسياج، تلك المرة لم يتم تبديل السائق، وخرجت الشاحنة من بوابة خلفية لمجمع المخازن، بوابة خلفية لم ألمحها من قبل، واتجهت من الطريق المتعرج صوب الطريق السريع.

أخذت قرارًا سريعًا في تلك اللحظة ألا وهو رؤية ما بداخل تلك الشاحنات؛ ولذا جمعت مقتنياتي وعدوت بسرعة خلف الأعشاب حتى وصلت للسيارة الكاديلاك، أغلقت الصندوق الأمامي، أدرت المحرك والمقود بسرعة وقدتها للشمال، سبقتني الشاحنة بثلاث أو أربع دقائق لكن هذا لا بأس به، سألحق بها، تبًّا، لا أراها، زدت من سرعة السيارة والطريق السريع الخالي يتلاحى أمام عيني، ثم رأيتها في الأفق، هدأت من سرعتي وابتسمت، نحن في طريقنا للوس أنجيليس، نظرية روسكو الخاصة بتوزيع الأموال المزورة لكل الولايات، لم يكن عَلَيَّ القلق بشأن نفاد الوقود من الكاديلاك فالخزان كان شبه ممتلئ، قدنا لعدة ساعات واقتربنا من منتصف الليل، كنت أحافظ على مسافة لا بأس بها بين سيارتي الكاديلاك وبين الشاحنة حمراء اللون، هنا توقف السائق بالشاحنة عند اللامكان بالقرب من لافتة تحمل اسم «مارتل»، وترجل

من الشاحنة، وقف في العراء وتمطى، كنت أعرف تلك البنية جَيِّدًا رغم أني أوقفت سيارتي على بعد كي لا يراني والحقيقة أنه لم يكن على الحذر بشأن رؤيته لي فهو ليس من النوع الذي سينظر في مرآته الخلفية، هو واثق ومعتد بنفسه بشدة فلن يفعل هذا، بدا واضحًا بعنقه الغليظ، ومنكبيه العريضين، بقامته الفارعة، وذراعيه الطويلتين، كالقردة، كنت أعرف من هو جيدًا، إنه ابن كلاينر، وتخيلته -حسب وصف المتشرد- يرقص أمام المخزن بعدما قتل جو.

بعدما قضى حاجته في العراء عاد للشاحنة، وتحرك بها، وكذلك فعلت أنا بالكاديلاك، قدنا لساعات أخرى، الليل والظلام حليفي في تتبعه دون قلق، في النهاية توقف عند استراحة على الطريق ودلف لمطعم متواضع ليحصل على عشاء متأخر، أردت الذهاب وتفقد ما يوجد في الشاحنة وهو يتناول عشاءه لكن هذا كان أمرًا شديد الصعوبة فهنالك العشرات من البشر يسيرون ذهابًا وإيابًا في منطقة ركن السيارات، كما أن هناك سيارة شرطة رابضة في الساحة، والمكان كله مضيء بشكل ساطع؛ وعليه أجلت فكرة اقتحام الشاحنة، ذهبت لكابينة هاتف عمومي وأجريت اتصالًا بمخفر الشرطة في مارجرايف، أجابني فينلاي فورًا، بصوت مرهق، صوت رجل لم يتحدث لوهلة، وكان ينتظر اتصالي بجانب الهاتف في قلق..

- أين أنت يا ريتشر؟

- بالقرب من ممفيس، لقد تتبعت شاحنة يقودها ابن كلاينر خارجة من المخزن ونحن في استراحة الآن.

- حسنًا، بيكارد اتصل بي وطمأني على روسكو، هي مع تشارلي وكل شيء على ما يرام، ستجدهم يغطون في النوم في لحظتنا تلك، وبيكارد أبلغني أن أقول لك إنها ترسل لك حبها.

- أرسل إليها الشيء نفسه عندما تتحدث مع بيكارد، اعتنِ بنفسك يا خريج هارفارد.

- وأنت كذلك.

أنهى فينلاي المكالمة وعدت أنا للكاديلاك وجلست منتظرًا، مرت نصف ساعة قبل أن يخرج ابن كلاينر من المطعم، لا بد أنه تناول طعامًا جيدًا ليستغرق كل هذا الوقت، تحرك بالشاحنة وأدرت محرك الكاديلاك بدوري لكنه لم يعد للطريق السريع بل انعطف يمينًا للطريق الخدمي حيث يقع نزل ذو كبائن للضيوف، سيقضي ليلته إذن قبل مواصلة رحلته، لكنه لم يدخل لمكتب الحجز، لقد توقف بالشاحنة أمام كابينة رقم اثنان، وأخرج مفتاحًا من جيبه ثم دخل فورًا، لا بد أنه حجز الغرفة ودفع ثمنها وهو في المطعم، ثم حصل على المفتاح ولذا استغرق منه الأمر نصف ساعة، أطلقت سَبَّة وأنا في السيارة، أنا بحاجة لرؤية ما يوجد داخل الشاحنة، بحاجة للتأكد من نظريتنا، وأمامي ثماني وأربعون ساعة

قبل يوم الأحد، وهناك الكثير من الأشياء على قائمتي لفعلها قبل حلول اليوم الموعود، وأولها اقتحام الشاحنة، ولسوف يتوجب عَلَيَّ فعل هذا بينما ابن كلاينر المخبول على بعد ١٠ أمتار في غرفته تلك، ليست الطريقة المثلى أو الآمنة، لكني لا أمتلك بديلًا، سأنتظر حتى أتأكد من أنه قد خلد لنوم عميق ثم أذهب للشاحنة، انتظرت نصف ساعة ولم أطق الانتظار أكثر من هذا، أدرت السيارة الكاديلاك وقدتها للأمام، الصمت يعم الأرجاء والمحرك يصدر ضوضاء هائلة، توقف بالسيارة خلف الشاحنة، مواجهة لها، وخرجت من الكاديلات متلفتًا حولي، لا شيء ولا أحد حتى الآن، أخرجت مُدية ماريسون إياها من جيب معطفي، وتسلقت الكاديلاك ومنها قفزت على الشاحنة، انحنيت فوق سقف الشاحنة والمُدية في يدي، أفضل طريقة للولوج لشاحنة كتلك هو سقفها لأنه في المعتاد مصنع من «الفايبر»، وبالفعل مزقت السطح بالمدية حتى وصلت لفجوة مناسبة لحجمي ثم استعددت للانزلاق، بدأت في إدخال قدمي عندما انبعث النور فجأة من كابينة رقم ٢، ورأيت حركة عند النافذة، أخرجت ساقي بسرعة وانحنيت ملتحمًا بالسقف في اللحظة نفسها التي انفتح بها باب الغرفة وخرج ابن كلاينر، توقف أمام الكاديلاك، تفحصها ونظر من الزجاج ليرى ما بداخلها، ثم ذهب للشاحنة، تفقد الخلف وتأكد من أن كل الأبواب موصدة والنوافذ محكمة الغلق، ثم نظر بداخل الشاحنة، وعاد بناظريه مرة أخرى للكاديلاك، مفترضًا أنه تخص

نزيلًا آخر، عاد لغرفته بعدها، وانطفأ النور، انتظرت خمس دقائق، ثم عدت للفجوة وانزلقت لداخل الشاحنة، وبعد رحلة بحث استغرقت خمس دقائق كنت قد وصلت للحقيقة، الشاحنة خالية تمامًا، لا يوجد أي شيء بها.

***

الفصل الرابع والعشرون

انطلقت بأقصي سرعة سمح بها الطريق عائدًا لمارجرايف، أنا بحاجة لرؤية فينلاي، وعرض نظرية جديدة تمامًا له، وصلت أخيرًا وركنت الكاديلاك جوار سيارة تيل، دخلت مسرعًا وسألت شرطي الاستقبال بأنفاس لاهثة: أين فينلاي؟

- في مكتبه مع العمدة.

اتجهت مسرعًا نحو المكتب ودلفت للداخل، رأيت على الفور من تعبير وجه فينلاي أن هناك أخبارًا سيئة، ونظر لي تيل مندهشًا قبل أن يسألني بسخرية: هل عدت للجيش يا مستر ريتشر؟

استغرقني الأمر ثواني لأفهم مقصده، المعطف العسكري وعلبة المياه المعلقة على كتفي، نظرت إليه من رأسه لقدميه، كان يرتدي حُلَّة رمادية لامعة عليها ألوان فضية مبهرجة، قلت له: لا تحدثني عن الملابس أيها الوغد الداعر..

نظر تيل لملابسه لثوانٍ مسح بيده غبارًا لم يكن هناك، ثم حدق بي وهمس: بإمكاني القبض عليك بسبب تطاولك هذا.

- وأنا بإمكاني قطع رأسك ووضعها في مؤخرتك..

حدق بي تيل، ورأيت يده تقبض على عكازه، كان يريد

القيام وضربي، لكنه سيطر على نفسه وخرج من المكتب ببطء، خرجت خلفه ورأيته يتجه للهاتف ويجري مكالمة، سيتصل بكلاينر ليسأله متى سيتخلص الأخير مني، أغلقت الباب والتفت لفينلاي وسألته: ما الخطب؟

- أشياء كثيرة لكن أخبرني الأول هل تفقدت الشاحنة؟

- سأخبرك في ثوانٍ لكن قل لي ما الأمر؟

- هل تريد المشكلة الصغيرة أم الكبيرة أولًا؟

- الصغيرة.

- بيكارد سيحتاج من روسكو البقاء ليوم آخر.

- وهي موافقة؟

- نعم، حسب ما قاله بيكارد..

- تبًّا، كنت أريد رؤيتها، حسنًا، والمشكلة الكبيرة؟

- أحدهم متقدم علينا بخطوة.

- ما الذي تعنيه؟

- لائحة أخيك..

كان فينلاي يهمس الآن كي لا يسمعه أحد من الخارج وأردف: مرآب ستولر، الذي كان على القائمة، أحدهم أحرقه بالكامل.

- تبًّا، وماذا عن جودي؟

- الجيران قالوا: إنها رحلت بعدما قابلت رجلًا وامرأة، وهذان هما أنتما، لقد فرت مسرعة بعد لقائكما.

- امرأة ذكية؛ إذن فهم حرقوا المرآب في قلب الليل، لكن هذا لا يعني أنهم متقدمون علينا بخطوة؛ لأننا رأينا بالفعل المرآب ولم يكن هناك شيء بداخله

تجاهلني فينلاي وتابع: و. ب على قائمة أخيك، والرمزان يخصان أستاذًا جامعيًّا يدعى والتر بارثلميو، لقد تم قتله في منزله ليلة أمس.

- تبًّا، كيف؟

- طعنًا، شرطة نيو جيرسي تفترض أنه سطو، لكننا نعلم الحقيقة.

تنهدت، ثم سألته: هل هناك المزيد من الأخبار السارَّة؟

- كلا، لكن بارثلميو كان يعلم شيئًا ما، وهم وصلوا إليه قبلنا.. هم متقدمون علينا يا ريتشر.

- كان يعلم شيئًا؟ ما هو؟

- لا أعلم، لكني جربت الاتصال برقمه وأجابني مساعده، باحث ما، يعمل لدى بارثلميو، وأخبرني أن الأخير كان متحمسًا بصدد شيء ما، وبقي يعمل في مكتبه طيلة الليل، والمساعد يمده بمواد بحثية، ثم انتهى بارثلميو من أيّ كان الذي يفعله وأرسل بريدًا إلكترونيًّا لحاسوب جو ثم

عاد لمنزله ليتم قتله.

- وما هو محتوى البريد الإلكتروني؟

- «انتظر مني مكالمة مُهِمَّة في الصباح».. وأخبرني المساعد أنه كان يشعر أن بارثلميو قد توصل لشيء مهم.

- تبًّا، وماذا عن «ك. ك»؟

- لا أعرف بعدُ، ربما يكون أستاذًا جامعيًّا آخر، ربما لم يصلوا إليه بعد.

- سأذهب لنيورك لكي أجده.

- ما الذي وجدته في الشاحنة؟

- تلك مشكلة أخرى، الشاحنة كانت فارغة.

- كانت خارجة من المخزن وهي فارغة؟

- نعم، لا شيء بها على الإطلاق سوى الهواء..

- يا إلهي.

بدا الغضب الممزوج بالحنق على وجه فينلاي، لقد كان معجبًا بنظرية روسكو، وهنأها عليها، صافح يدها إعجابًا بفكرتها، كانت نظرية منطقية ورائعة، لم يصدق أنها خاطئة..

قال فينلاي: نظرية روسكو منطقية جِدًّا، أرقام جراي والخارطة، كل شيء متوافق، أعني لا بد أننا محقون، الأمر واضح للغاية.

نظرت إليه وعلقت ببطء: لقد كنا محقين في كل شيء، لكننا أخطأنا بشأن جزئية واحدة.

- وما هي تلك الجزئية؟

- لقد عكسنا الاتجاهات، التدفق يأتي لمارجرايف وليس منها.. هم لا يحملون البضائع من مارجرايف، بل يفرغونها هنا، هم لا ينقصون المخزون من البلدة، مارجرايف في المخزون..

- وهل يطبعون الأموال في مكان ما ثم يحضرونها إلى هنا.

- مولي قالت: إن الطباعة تتم خارج الولايات؛ لأن جو أوقف أي طباعة بالداخل.

- لا أفهم، ما الذي يحضرونه إلى هنا إذن؟

- علينا معرفة ذلك، نحن نعرف أنها صناديق، تصل كميتها لطن أسبوعيًّا، وأنها في حجم صناديق مكيفات الهواء...

- صناديق مكيفات هواء؟

- هذا هو ما تغير منذ عام، مكيفات الهواء لم تكن تمويهًا وغطاءً للعملية كما اعتقدنا، لقد كانت العملية بأسرها، لقد كانوا يهربون شيئًا خارج البلاد، وشيرمان ستولر كان يقود الشحنة الخارجة من مارجرايف بغرض تهريبها وملاقاة قارب في الميناء عندما تم توقيفه من قبل الشرطة

بسبب السرعة، وعندما أتى المحامي المهم كان لهذا السبب، ليس لأن ستولر ذاهب ليتسلم شحنة بل ليسلم واحدة..

- وما هو محتوى الشحنة اللعين؟

- لا أعلم والشرطة لم تبحث داخل الصناديق لأنهم رأوا الرقم المتسلسل والختم واقترضوا أنها مكيفات هواء..

- لكنهم توقفوا منذ عام؟

- نعم؛ بسبب تكثيف جهود خفر السواحل ضد التهريب، ولهذا تم فصل شيرمان منذ عام، لم يعودوا بحاجة لخدماته.. وانتظروا لحين انتهاء حملة خفر السواحل؛ ولذا هم قلقون، ما في مارجرايف ليس مخزونًا موشكًا على النفاد بانتظار الشحنة الجديدة يوم الأحد، كلا، ما يوجد في مارجرايف هو المخزن الرئيسي كله.

بعدها وقف فينلاي يحرس الباب، وقمت أنا بالاتصال بجامعة كولومبيا، وسألت الموظفة اللطيفة عن أستاذ جامعي لديهم بأحرف «ك. ك» فأجابتني إن هناك الأستاذ كالفين كيلستاين، وهو أستاذ في الجامعة منذ أعوام، بدا من كلامها كعضو مهم في الحرم الجامعي، سألتها إن كان بإمكاني الحديث معه فذهب اللطف عن المرأة وأجابتني بنفاد صبر إن الأستاذ كالفين مشغول ووقته لن يسمح له بإجابة الهاتف.. لقد تم إزعاجه بالفعل.

- تم إزعاجه؟ ممن؟

- من اثنين محققين من أطلانطا، جورجيا.

- ومتى كان هذا؟

- صباح اليوم، وكانوا مصرين على مقابلته.

- هل بإمكانك أن تصفيهما لي؟

توقفت المرأة لوهلة وهي تتذكر ثم أجابتني: هما لاتينيان، لا أتذكر شكلهما بالضبط عدا هذا، كانا مؤدبين وغاية في اللطف رغم إصرارهما.

- هل قابلاه؟

- ليس بعد، لقد حددا موعدًا معه في الواحدة ظهرًا، سيأخذانه لتناول الغداء.

اعتصرت يدي سماعة الهاتف وأنا أهمس بصوت كالفحيح: سيدتي السؤال القادم مهم للغاية هل سألوا عنه بالاسم أم بأحرف «ك.ك»؟ مثلما فعلت؟

- لقد سألوا بنفس طريقتك بالضبط.

كادت السماعة أن تتهشم في يدي وأنا أقول: أرجوك استمعي إليَّ بحرص، اذهبي للأستاذ كيلستاين الآن وقاطعي أيًّا كان الذي يفعله وأخبريه أنها مسألة حياة أو موت، قولي له إن هذين المحققين مزيفان وإنهما قتلا أستاذًا جامعيًّا يدعى والتر بارثلميو بالأمس.

صرخت المرآة: هل تمزح؟

- كلا، اسمي هو جاك ريتشر، وكيلستاين كان على تواصل مع أخي جو ريتشر، من وزارة المالية، أخبريه أن جو أيضًا قد قُتل.

ابتلعت المرأة ريقها وسألتني محاولة استعادة رباطة جأشها: ما الذي يجب فعله؟

- أخبري الأستاذ كيلستاين ألا يذهب معهما بأي ثمن.. هذا هو أول شيء، وثاني شيء عليه الذهاب فورًا لأمن الجامعة، وسوف أصل أنا خلال ثلاث ساعات، عليه أن ينتظرني مع الحراس، أرجوك عليك التأكد من أنه سيفعل هذا.

- حسنًا حسنًا بالطبع.

- واجعليه يتصل بجامعة برينستون، ويتأكد من مقتل والتر بارثلميو هناك.

- حسنًا، سوف أجعله يفعل كل هذا.

- وأعطي اسمي للأمن ليسمحوا لي بالدخول عندما أصل بإمكان كيلستاين التأكد من هويتي فقط قولي له إني أُشبه جو.

أنهيت المكالمة وهرعت لفينلاي هاتفًا: لقد توصلوا لقائمة جو، وأخذوا الأحرف الأولى والأرقام منها، الرجلان نفسيهما اللاتينيان اللذان أخذا مقتنيات جو من الفندق وحقيبته، الطريقة نفسها المؤدبة واللطيفة.. إنهما هما..

- كيف؟ كيف حصلا على القائمة؟ هي لم تكن في حقيبة جو.

انتابتني رجفة خوف وأنا أستوعب الحقيقة ثم قلت: بايكر يعمل معهم، هو من نسخ القائمة لك.. لقد أعد نسخة ثالثة وأعطاها لتيل.

- يا إلهي، بايكر، هل أنت متأكد يا ريتشر؟

- نعم، تلك كانت خدعة تيل، أن يجعلنا نعتقد أنه هو الوحيد الفاسد في القسم، لكنه أخفى ورقته الرابحة ألا وهي بايكر، الآن نحن قد عدنا لنقطة الصفر، بإمكان أي أحد أن يكون متورطًا في العمل لديهم.. هيا بنا.

خرجنا من المخفر مسرعين، ودلفنا لسيارة فينلاي الذي سألني: إلى أين سنذهب؟

- أطلانطا، المطار.. عَلَيَّ الذهاب لنيورك.

***

غمغم فينلاي وهو يهزر رأسه بينما إطارات السيارة تنهب الأرض: لا أصدق، بايكر الوغد...

- لقد كان الأمر واضحًا منذ البداية، ولا أصدق أني لم أشك به..

واسترجعت كل شيء، وفكرت بصوت عالٍ لفينلاي..

- الأمر كان شديد الوضوح منذ اللحظة الأولى، عندما

فك بايكر الأصفاد عن يدي في مقابلته الأولى لي بعدما اعتقلني، لقد كان يفك الأصفاد عن رجل متهم بجريمة قتل وحشية، رجل هشم عظام ضحيته، رجل مختل، لكنه فك الأصفاد وترك نفسه في الغرفة وحده معي وهو يستعد لأخذ بصماتي قبل قدوم روسكو لترفعها، لم يقلق، لم يأخذ حيطته، كنت أعتقد أن السبب أنه سمع استجوابك لي وظن أني بريء لكن هذا ليس السبب، هو كان يعلم من القاتل ومن البريء من البداية، كان مهملًا وغير مكترث عندما اصطحبني لدورة المياه، كان بإمكاني أخذ سلاحه وقتله ثم الهرب بعدها، لكنه لم يكن حذرًا، ليس لأنه يظن أنه بريء بل لأنه يعلم ذلك معرفة اليقين؛ لأني في عينيه مجرد كبش فداء، عابر سبيل بريء، ومن الذي سيقلق من كبش فداء لا شأن له، وعندما أتى مع هوبل للمخفر كان هناك توتر في لغة جسده، كنت أعتقد أن السبب هو أن هوبل صهر ستيفينسون، وهذا سيسبب إحراجًا لبايكر لكني كنت مخطئًا، لقد كان متوترًا بسبب صراع داخلي لأنه يعلم أن إحضار هوبل للمخفر من أجل استجواب هو أمر كارثي وفي الآن ذاته لن يستطيع مخالفة أوامرك.. لقد كان بايكر اللعين طيلة الوقت، هو الذي ظل يتلصص علينا ويحاول التقاط التفاصيل بعد حضور تيل وهو من أعطى الأخير القائمة بعدما طلبت أنت منه نسخها..

تنهد فينلاي ثم أطلق سبة، وسألني بعدها: ألا نستطيع

الاتصال بخفر السواحل وإبلاغهم بالأمر؟ نطلب منهم دورية مراقبة ليوم الأحد؟

- هل تمزح؟ ألم تقرأ تصريحات الرئيس السياسية الأخيرة؟

قلتها وأنا أتذكر جريدة الأخبار التي وضعتها في معطفي، وهم يأخذوني من مطعم إينو وأردفت: الرئيس صرح بمرونة وحرية التجارة البحرية، لن يعكس تصريحاته في آخر لحظة يا فينلاي لقد انتهت الحملة..

- إذن ما الذي سنفعله؟

- عليك بمعاودة الاتصال بمساعد الأستاذ الذي قتل في جامعة برينستون، ربما سيفيدك فيما كان والتر بارثلميو يعمل عليه.. اذهب لمكان آمن وافعل هذا.

ضحك فينلاي بمرارة وغمغم: أي مكان آمن تتحدث عنه؟

أخبرته أن يذهب لفندق ألاباما الذي أقمت فيه مع روسكو يوم الاثنين، هو ناءٍ وآمن نسبيًّا، وإني سوف أجده هناك عندما أعود، ثم طلبت منه إحضار البنتلي، وإرجاع الكاديلاك ومقابلتي، وأن يترك السيارة عند المطار لحين عودتي، كان فينلاي يقود بأقصى سرعة، لكنه كان يسمعني جَيِّدًا ويهز رأسه وأنا أتكلم..

- أبطئ قليلًا، لن يفيد أحد لو مات كلانا في حادث سيارة لعين..

ابتسم فينلاي وزاد من السرعة أكثر لتنطلق السيارة كالرمح والتفت إليَّ قائلًا: لا تكن جبانًا..

***

الفصل الخامس والعشرون

وصلت لمنهاتن في الرابعة والنصف واستقللت سيارة أجرة، لم يكن هناك سبيل للسفر بصقر الصحراء والمُدية؛ لذا تركتهما في المعطف وقلت لفينلاي أن ينقل المعطف للبنتلي، مرت بي السيارة بجسر تريبوروج، ومنه جنوبًا لشارع ١١٦، وأنا أفترض أن فينلاي في فندق ألاباما في اللحظة ذاتها، ثم وصلت الجامعة بعدها، وأتى الأمن ليتفحصوا هويتي، ثم أخذوني لغرفة بها الأستاذ كالفين كيلستاين، كان رجلًا مسنًّا، ضئيل الحجم؛ بسبب سنه المتقدمة، ذا شعر أبيض غزير، كان يبدو شديد الشبه بالسجين العجوز المسؤول عن التنظيف في السجن خارج مارجرايف..

سألت شرطي الجامعة: هل عاد اللاتينيان؟

- كلا لم أرهما، لقد أبلغهما مكتب الأستاذ أن موعد الغداء قد تم إلغاؤه، ربما هما رحلا..

- أتمنى ذلك، عليك بحراسة كيلستاين ليوم الأحد.

- لماذا؟ ما الذي يحدث؟

- لا أعرف بعد لكني آمل أن يخبرني «البروفيسور» بنفسه..

جلست في مكتب صغير الحجم قبالة كيلستاين الذي سألني: ما الذي حدث لبارثلميو؟

- لا أعلم تحديدًا سوى أنه طُعن قتلًا في منزله ليلًا، الشرطة تقول إنه سطو.

- لكنك تشك في هذا.

- أخي قد أعد قائمة، أنت الوحيد منها الذي لا يزال حيًّا.

- أخوك هو جو ريتشر؟

- نعم، لقد تم قتله ليلة الخميس، وأنا أحاول معرفة السبب.

رفع البروفيسور رأسه وقال: أنت تعلم السبب، لقد كان محققًا ومات أثناء تأدية عمله، أنت بحاجة لمعرفة فيم كان يحقق..

- هل بإمكانك أن تخبرني؟

- تفاصيل عامة فقط لا أعرف تفاصيلَ محددة.

- ألم يناقش كل التفاصيل معك؟

- لقد كنت أمثل لأخيك قاعدة للتوضيح، الحقيقة أنه كان بارعًا وذكيًّا، وأنا استمتعت بالتفكير والعصف الذهني معه.

- لكنكما لم تناقشا تفاصيل؟

- لقد ناقشنا كل التفاصيل ولم نصل لاستنتاجات..

- حسنًا، هل بإمكانك أخذي لنقطة البدء، مناقشتكما

كانت عن تزوير الأموال أليس كذلك؟

- هذا بديهي، أي موضوع آخر سأناقشه مع مستر ريتشر..

- ولماذا أنت؟

سألته بكل صراحة فابتسم بسخرية مجيبًا: لأني أكبر مزور أموال في التاريخ.. كنت سأقول لك إني واحد من اثنين لكن طبقًا لكلامك فالآخر قد مات..

- أنت وبارثلميو.. مزوران؟

اتسعت ابتسامته وهو يقول: لم يكن هذا خيارنا، كان هذا إبان الحرب العالمية الثانية، شباب مثلي ومثل والتر انتهى بهم المطاف في ظروف عجيبة، لقد وظفتنا المخابرات العسكرية في هذا المجال، بدلًا من أن نصبح جنود حرب، تم نقلنا لمقر المخابرات العسكرية، وعملنا جنبًا لجنب مع المخابرات المركزية، بينما كان آخرون مسؤولون عن تصنيع القنابل والصواريخ ليتم إطلاقها نحن العدو، كنا نحن مسؤولين عن هجوم من نوع مختلف، لقد كنا نهاجم النازيين بالاقتصاد، وتغيير قوة العملة، وأغرقنا السوق الألماني بالعملات المزورة..

- هل كان للأمر تأثير؟

- نعم ولا.. لقد شرخنا اقتصادهم دون ريب، وأصبحت عملتهم بلا قيمة، ولكن قوتهم الإنتاجية

اعتمدت على السخرة، والعبيد ليسوا مهتمين بالعملة، وتم إيجاد عملات بديلة، كعلب التبغ والشيكولاتة، لم تعد العملية النقدية هي المهيمنة في أربعينيات الحرب؛ لذا يمكنك القول: إنه كان نجاحًا جزئيًّا فقط، لكنه جعلني أنا ووالتر أهم مزورين في التاريخ دون مبالغة.

- وجو كان يستشير خبرتك تلك؟

- أنا ووالتر كنا مهووسين بالمجال ودرسنا تاريخ التزوير، لقد بدأ التزوير فور أن تم اختراع المال، واستمر منذ ذاك الحين، وبعد انتهاء الحرب أصبحت أنا ووالتر خبراء، وظللنا مهتمين بالأمر، وكان هناك دومًا خيط تواصل رفيع بيننا وبين الحكومة.. وتقاريرنا لمجلس الشيوخ عن الأمر كانت أشبه بالكتاب المقدس لديهم، المرجع الذي يستخدمه كل العملاء الحكوميين الشباب في وزارة المالية؛ ولذا أتى إلينا جو طالبًا للنصح.

تنهد كيلستاين ثم استطرد: جو كان مستجدًا في الأمر، لقد أحضروه ليحل المشاكل، وقد كان موهوبًا بحق، وظيفته هي إنهاء التزوير بالكامل، تلك مهمته وليست وظيفته فحسب، وهي مُهِمَّة مستحيلة، لقد أخبرناه أنا ووالتر بهذا، لكنه كاد ينجح، لقد فكر في مدى تعقيد الأمر وطبق أبسط الحلول، واستطاع إنهاء كل عمليات التزوير داخل الولايات المتحدة..

جلست واستمعت لكلام البروفيسور الذي كان يعرف

أخي أكثر مني، لقد شاركه جو طموحاته وخططه واحتفل معه بنجاحه، وتلقى مواساة في فشله وعقباته، لقد تحدثا كثيرًا معًا، آخر مرة تحدث فيها أنا مع جو كانت مختصرة وقصيرة في جنازة والدتنا، لم أسأله عن أحواله، لقد كنت أراه فحسب كأخي الأكبر، كنت أراه فقط على أنه «جو»، لم أرَ واقع حياته كعميل حكومي، يرأس مئات الأفراد، ويحظى بثقة البيت الأبيض لحل المشاكل الكبيرة، لم أرَ قدرته ومهارته في أن يثير إعجاب رجل مخضرم مثل كيلستاين، جلست واستمعت وشعرت بسوء بالغ، لقد فقدت شيئًا لم أُدرك من قبل أني قد حظيت به.

كان كيلستاين يواصل حديثه: تحليلات جو كانت دقيقة للغاية، وطرقه فعالة، لقد كان يستهدف الورق والحبر؛ لإقصاء التزوير، أعني في النهاية الأمر كله يتمحور حول الورق والحبر، لو ابتعت الأنواع المناسبة منها فأنت مؤهل للتزوير، واستطاع نشاط عملية جو في تقليص عملية التزوير إلى حد كبير، لقد أبهرني بشدة!

- وما الذي حدث؟ أين كانت المشكلة؟

حرك كيلستاين يده كأنه ينهي «سيناريو» ويفسح المجال لآخر وقال: المشكلة كانت بالخارج، الموقف كان مختلفًا بالخارج، لقد كانوا يزورون بالخارج أضعاف الدولارات التي يزورونها داخل الولايات.

لخصت لكيلستاين ما قالته لي مولي عن الثقة في العملة بالخارج وما الذي قد يحدث عند انهيارها، وكان كيلستاين يهز رأسه وأنا أتحدث كأني تلميذهُ، وقد أعجبه تلخيصي فعلق: نعم، حقيقي، الأمر متعلق بالسياسة أكثر، فواجب الحكومة الأول هو الدفاع عن قيمة العملة، ونحن نمتلك اثنين ومئتي بليون دولار في المصارف الأجنبية كودائع، الدولار هو العملة غير الرسمية لعشرات الدول غير الأمريكية، خذ عندك روسيا على سبيل المثال، هناك دولارات هناك أكثر من الروبيل، هذا هو صُلب الموضوع يا مستر ريتشر، أن تطبع الحكومة العملة للدول الأجنبية وليس المزورون، بإمكانك القول: إن وظيفة جو كانت تقدر بالبلايين، اثنين وعشرين بليونًا للدقة، وهو قد مارس الوظيفة بالنشاط والهمة المناسبين لهذا الرقم، ثم حدثت مشكلتان، الأولى تتعلق بالجغرافيا، جو كان يظن أن هناك موقعًا لتزوير الأموال في بيروت، بوادي بيكا، وهذا الموقع يصدر أموالًا مزورة يستحيل تمييزها عن العملة الحقيقية، هل ذهبت هناك من قبل؟

هززت رأسي نفيًا، لقد تم إرسالي لقاعدة عسكرية في بيروت من قبل، لكني لم أذهب لوادي بيكا، لكني سمعت عن البعض الذين ذهبوا هناك ولم يعودوا أبدًا..

أردف البروفيسور: مصنع التزوير هناك به جنود مدربون ويتم حمايته بحرص.

- ممن؟

ابتسم كيلستاين وقال: سؤال مثمر.. سؤال ممتاز.. الحكومة السورية هي الراعي الرسمي لهذا المصنع، فسوريا تتحكم بلبنان.. أما الموقع الثاني فهو أمريكا الجنوبية، فينزويلا.. وجو قد حدد الموقع هناك، وهذا ما كان يستهدفه، شركة خاصة هي الراعي الرسمي هناك وليس الحكومة.. السيد كلاينر ومؤسسته، هو الذي يدير الأمر برمته..

- وهو يقتل الجميع الآن للتستر عل الأمر.

هز كيلستاين رأسه بحزن وقال: لقد توقعت هذا، هو يحمي مؤسسه هائلة وربحًا لا مثيل له.. كلاينر هو الأفضل في المجال.

- الأفضل؟

- ما هو قدر ما تعرفه عن التزوير؟

- أكثر مما كنت أعرف الأسبوع الماضي، ولكن ليس القدر الكافي.

- هناك نوعان من التزوير، الجيد والسيئ، الجيد فعال، والسيئ يتم إقصاؤه سريعًا، مثل طباعة الكتب..

وأعطاني مجلة لأتحسسها مردفًا: تحسس الورق، إنه أصلي، ستجده في المكتبات.. يستخدمونه لطباعة الكتب والمجلات والصحف، ورق ناعم، لا يبلي ولا يهترئ.. وهناك المزور منها، ويتم اكتشافه سريعًا لاستخادم المعادن

به.. كلاينر من النوع الجيد..

أخرج كليستاين بعدها ورقة مالية وتركني أتحسسها بيدي.

- هل تشعر بالمعدن؟ والخطوط المستقيمة؟ هل تفهمني؟ الحبر مطبوع على طبق معدني قبيل إذابته.. وبعدها يتم وضع الصورة والحبر ثلاثة أنواع، أسود ودرجتان من الأخضر، يتم طباعة خلفية العملة وبعدها الوجه الأمامي، الخلفية بالأخضر الغامق، والأمامي بالدرجة الأخف من الأخضر..

نظرت للورقة المالية في يدي، لم أتفحص واحدة حقًّا من قبل.. أكمل كيلستاين: أربع مشاكل واجهت جو، الطباعة، الأطباق المعدنية، الحبر، والورق.. معظم الدول تطبع الأموال بأختام ائتمانية، ويمكن تسهيل طباعة هذا في التقليد، لقد اكتشف جو ذات مرة مطبعة تزوير في تايلاند.. أما الأطباق المعدنية فهي تتعلق بشكل صرف بالموهبة في التصنيع، هناك أناس قادرون على تقليدها مثل موسيقي يقلد موتسارت ببراعة، والحبر لا يمكن شراؤه دون لفت النظر داخل الولايات لكن بالخارج الأمر مختلف تمامًا، وجو لم يكن ليستطيع تطبيق قواعده الصارمة خارج الولايات ليقنن شراء الحبر مثلما فعل هنا.. بالخارج يستخدمون الكيماويات لمزج الحبر الأسود بالأطباق المعدنية، كأنك ترسم لوحة إلكترونية لو لك أن تتخيل شيئًا كهذا..

لم أفهم جَيِّدًا ما يقوله لكنه تابع مبتسمًا إزاء نظرتي:
العنوان الملصوق على شريط كاسيت

- حسنًا.

- انظر لخلفية العشرة دولارات التي في يدك، هل
الصورة؟ لم نغيرها منذ عام ١٩٢٩، رغم أنها مع
للاختراق الأمني لكننا بحاجة للتأثير النفسي؛ للحفاظ
الثقة، تغييرها سيصيب العالم بالهلع

تذكرت كلمات مولي، الثقة، والأمن.. هززت رأ
وسألته: وماذا عن الورق؟

ابتهج وجه كيلستاين وهو يقول: تلك هي العقبة الأ
هذا هو السؤال الحقيقي، والشيء الذي لم يستطع جو
بشأن مؤسسة كلاينر.. الورق.

- لماذا؟

- لأن ورقهم كامل الدقة.. رائع.. لا مثيل له..

وهز رأسه الأبيض باحثًا عن كلمة أخرى، و
زائغتان وسط إنجازات مؤسسة كلاينر فقلت له: أصلي

- نعم، يبدو كأنه أصلي، مؤسسة كلاينر تطبع أ
بلايين دولار سنويًّا.

- يا إلهي!

كرر كيلستاين: أربعة بلايين؛ ولذا كان على جو إيقا

- وما نوعية الورق الذي ستحتاجه مؤسسة كلاينر؟

- فايبر مصنع من القطن الخام، ثمانين بالمائة قطن، وعشرون بالمائة لينين، لا خشب ولا شيء كهذا في الأمر، وبعدها يتم خلط الكيميائيات.. والناتج ورق ناعم كالحرير.

- وأنت ترى أنهم يصنعون هذا الورق ولا ينسخوه؟

- من المستحيل نسخه ويصبح الناتج بعدها بتلك الجودة.

مررت كل ما قاله كيلستاين في رأسي، حبر، وورق، وأطباق، وطباعة..

- إذن الورق هو المفتاح لكل شيء في مؤسسة كلاينر؟

- هذا كان استنتاجنا -أنا وجو- إن الورق هو سر جودتهم.. لكني لم أستطع مساعدة جو بعد تلك النقطة ولهذا أنا آسف جِدًّا!

- لديهم مخزن ممتلئ بشيء ويحمونه بشدة.

- أنت لم تفهم ما قلته لك، من المستحيل نسخ أو توريد ورق كهذا في مخزن، الأمر لغز حقيقي.

- أعتقد أن بارثلميو توصل لإجابة قبل مقتله.

أغمض كيلستاين عينيه بألم وحزن قبل أن يتجه لهاتف مكتبه ويدير جهاز الرسائل الآلية ليأتي منها صوت وقور متحمس يقول: كيلستاين أيها العجوز، أنا بارثلميو، لقد

توصلت للإجابة، لحل اللغز، قلت لك إني سأسبقك إليها، سأخبرك بكل شيء في الصباح، نومًا هنيئًا أيها العجوز.

كان هناك حزن وغضب على وجه كِلستاين ونظر في أنحاء الغرفة كأن روح بارثلميو تهيمن بها، لم أستطع تحديد إن كان غاضبًا لمقتل زميله أم لأنه سبقه للحل..

- والتر المسكين، لقد كان صديقي لمدة ستة وخسمين عامًا، أتتخيل؟ ستة وخمسون عامًا.

تنهدت وقلت له: سأصل للحل.

ووقفت بعدها استعدادًا للرحيل فنظر لي مغمغمًا: هل تعتقد حقًّا أنك ستصل للحل في حين أن جو لم يصل إليه؟

- نحن لا نعلم ما توصل إليه جو قبل مقتله، ابقَ مع الحراسة وواصل البحث، سنبقى على اتصال، سأعود لمارجرايف..

تنهد كِلستاين وأومأ برأسه..

- حظًّا موفقًا يا مستر ريتشر.. أتمنى أن تنهي عمل أخيك.. لقد كان يتحدث عنك كثيرًا، كان مولعًا بك، أتمنى أن تعرف هذا.

- كان يتحدث عني؟

- طيلة الوقت، لقد كان معجبًا بك جِدًّا، وكان محنقًا من كون وظيفتك أبقتك بعيدًا عنه.

شعرت بغصة في حلقي وتأنيب ضمير، لقد كان جو يفكر بي، بينما لم أفعل أنا المثل لأعوام، لم أستطع التعليق..

وأردف كيلستاين: لقد حكى لي جو أنك كنت تعتني به رغم أنه الأخ الأكبر، وأنا أثق أن لو كان الخيار لجو فسوف يرشحك للقضاء على كلاينر..

هززت رأسي وودعت كيلستاين، ثم رحلت في صمت..

***

كنت أقف أمام الحرم الجامعي مهموم البال أفكر في الطريقة التي يصنع بها كلاينر ورقه، وإن كنت سأجد رحلة طيران لأطلانطا قبل السادسة مساءً، وبحثت عن سيارة أجرة في الآن ذاته محاولًا ألا أفكر بما قاله كيلستاين عن كلام جو بخصوصي، كنت أفكر في كل هذا بالوقت نفسه؛ ولذا لم أرَ الرجلين اللاتينيين اللذين يقتربان من خلفي.

لكني شعرت بفوهة المسدس ملصقة في ظهري، ووقف الرجل الآخر جواري وأراني سلاحه في غمده أسفل المعطف الذي يرتديه أغلب الناس في سبتمبر، ثم ظهرت سيارة أمامنا وانفتح بابها، وقال اللاتيني: ادخل السيارة وإلا قتلتك..

وقفت مكاني أحسب كل الاحتمالات، كل ما كنت أفكر به أن ألحق الطائرة..

كرر الرجل: ادخل السيارة.

كنت واثقًا أنه لن يطلق الرصاص في منتصف الشارع، المسدس كان صغير الحجم لكن بلا كاتم للصوت، سيكون هناك ضوضاء تستدعي الجلبة، الشارع مزدحم، وأمن الجامعة خلفنا، هناك رجلان أحدهما خلفي والآخر جواري وكلاهما مسلحان، السائق مسلح كذلك في الأغلب، بينما معطفي العسكري ذو صقر الصحراء والبلاك جاك والمُدية هناك في البنتلي التي تنتظرني عند مطار أطلانطا.

قررت ألا أدخل السيارة، سأجازف وأراهن بحياتي على فرصة أن الرجل لن يطلق الرصاص في الشارع وسط الزحام، ربما يطلق الرصاص وينطلقون بالسيارة فارين لكنني لا أعتقد أن تلك هي خطتهم، ظللت واقفًا مكاني مسببًا مشكلة كبيرة لهم، عندما تهدد أحد بأن يستجيب لك وأنت في موضع قوى وهذا الشخص لم يستجب لك فعليك تنفيذ تهديدك وإلا فأنت لا شيء، أنت لم تعد في مركز القوة، والرجل لم ينفذ تهديده، لقد كانوا أذكياء، والأذكياء لن يقتلوا أحدًا في منتصف النهار بشارع في نيورك، وكانوا أذكياء ليعرفوا أني قد أدركت هذا؛ ولذا لم يكرروا تهديدهم، لكنهم لم يكونوا بالذكاء الكافي للرحيل، لقد ظلوا في أماكنهم، تراجعت للخلف خطوة كأني أهم بالرحيل، تحرك الرجل الذي يقف خلفي بسلاحه ليفعل شيئًا ما لكني لم أُعطه الفرصة، لقد ضربته بمؤخرة

رأسي في أنفه، عظام الجمجمة هي أقوى عظام في جسد الإنسان، مصممة كهذا لتحمي مخه، وأقوى نوع من الضربات هو ضربة الرأس، سمعته يتأوه فألقيت كل وزني عليه وأسقطته أرضًا، كان عَلَيَّ ضرب المسدس من يده بعيدًا لكن زميله تحرك نحوي وهو يستل سلاحه من غمده، فقزت للأمام واحتضنته، وبدينا كاثنين من الأحباء يرقصان سويًّا، أسقطته أرضًا وعاجلته بلكمة عاتية في فمه، ربما يكون قد انخلع أو سيفقد الكثير من أسنانه، لم أنتظر لأرى؛ لأني أعلم أن الآخر قد اعتدل وسلاحه في يده، ومع كل هذا الانفعال سيكون هناك إطلاق رصاص، كما أن السائق كان يفتح باب السيارة؛ ولذا عدوت بعيدًا بكل ما أوتيت من سرعة، حاولوا مطاردتي لكني اختفيت وسط الزحام سريعًا، زحام نيورك الرائع القادر على عرقلة أي أحد.

استقللت سيارة أجرة وأنا ألهث واتجهت للمطار.. واستطعت اللحاق بطائرة السادسة مساءً..

***

استغرقت رحلة العودة وقتًا أكثر من الذهاب لسبب ما غير معلوم، كنت أجلس في الطائرة وأفكر بجو، بينما الطائرة تحلق أعلى نيو جيرسي وماريلاند وفيرجينيا، ثم فكرت بروسكو، كنت أفتقدها بشدة، بجنون، وأردتها في تلك اللحظة.

هبطت الطائرة ليلًا وسط سحب وغيوم عاصفة موشكة على البدء..

خرجت من مطار أطلانطا ووجدت البنتلي، بعدما ترك فينلاي بياناتها عند مكتب الاستعلامات، كانت هناك رياح عاتية قادمة من الشمال، ستكون تلك عاصفة قوية، وسطع البرق مع دَوِيّ الرعد في السماء، دلفت للبنتلي التي لم يتمم الرجل طلاءها، النوافذ كلها أصبحت مطلية بالأسود، وكذلك الجهة الأمامية مما جعل السيارة تبدو كأن شخصًا مهمًّا بداخلها، مع سائق خاص.

قدت السيارة، كان التوقيت هو التاسعة مساءً ليلة الجمعة، باقٍ حوالي ست وثلاثين ساعة ليوم الأحد.

وصلت مارجرايف في العاشرة مساءً، وقضيت الساعة الأخيرة وأنا أفكر بفلسفة الحياة العسكرية التي تعلمتها، أغلب تلك الفلسفة تمت كتابتها بواسطة «كرواتز» الذي كان مفتونًا بتلك الأشياء، لم أعير الأمر انتباهًا وقتها إبان دراستي لكني تذكرت بعض الأشياء الآن، مثل إن عاجلًا أم آجلًا فلسوف تواجه قوة العدو المركزية مهما حاولت تجاهلها، ولذا عليك السبق بتدميرها، وأنا أعلم أن قوتهم المركزية عشرة أفراد، هوبل قد أخبرني بهذا، ثم أصبحوا تسعة بعدما تخلصوا من ماريسون، وأنا أعلم بشأن تيل، وبايكر، وابن كلاينر، وأبيه، هذا يترك خمسة أفراد للكشف عن هويتهم، ابتسمت لنفسي، أوقفت السيارة قرابة مطعم إينو وخرجت منها، فرددت ذراعي لأعلى

وتمطيت، الرياح الدافئة تضرب ظهري، الهواء سميك بقوى الليل، والعاصفة تبدأ، دلفت للسيارة وأحكمت غلقها وتمددت بداخلها بالأريكة الخلفية، أنا بحاجة لساعة أو ساعة ونصف من النوم.

حلمت بجون لي هوكر، قبل شهرته، كان لاعبَ جيتارٍ موهوبًا، يجلس على خشبة المسرح ويعزف ألحانه القوية، ويطرق بيده على معدن جيتاره، لكن في الحلم لم يكن جون لي هوكر هو من يجلس حقًّا على المسرح، وكان يطرق بحذاء لا بيديه على لوح خشبي، فتحت عيني ببطء، أحدهم يطرق بيده على نافذة البنتلي، اعتدلت من رقدتي، ونظرت للرقيب بايكر، وأرتني الساعة في السيارة أني قد غفوت لنصف ساعة، قررت في تلك اللحظة أن أغير خُططي وأعتقد أن كرواتز العجوز كان سيتفق معي، لقد أتاني بايكر بنفسه.. مددت يدي بحرص في جيب المعطف وضغط على زر الأمان في صقر الصحراء لأزيحه للخلف ثم خرجت من البنتلي.

ابتسم لي بايكر بودية كاشفًا عن سنه الذهبية..

- كيف حالك يا ريتشر؟ تنام في مكان عام؟ هل تريد أن يقبضوا عليك مرة أخرى بتهمة التشرد؟

ابتسمت له بودية مماثلة ورددت: قواعد شرطة المرور للأمان تنص على عدم القيادة وأنت مرهق، اركن جانبًا واغفُ قليلًا، تلك هي القاعدة المرورية.

- هاها، تعال معي ولسوف أبتاع لك قهوة رائعة من مطعم إينو، هذا سيكون كفيلًا بتنشيطك..

أحكمت غلق البنتلي، وضعت يدي في جيب معطفي وسرت معه، صوب مطعم إينو.. جلسنا سويًّا، وأحضرت لنا النادلة الشقراء ذات النظارة القهوة قبل أن نطلبها.. فقد بدت كأنها تعرف أننا قد أتينا من أجل القهوة.

سألني بايكر: كيف حالك؟ هل تشعر بالسوء لما حدث لأخيك؟

تنهدت ورشفت من قدح القهوة بيدي اليسرى بينما اليمنى تتحسس المسدس في جيبي وقلت: لم نكن مقربين.

- أتفهم هذا، وروسكو لا تزال تساعد العميل الفيدرالي، بيكارد؟

- أعتقد هذا.

- وأين فينلاي؟ لقد ذهب فجأة لمكان ما؟

- جاكونسفيل، لقد اضطر للذهاب إلى جاكونسفيل في فلوريدا..

- وما الذي يجعله يذهب لجاكونسفيل؟

- اسأله هو، وأخبرني عندما تعرف، فهو لا يخبرني بأي شيء، أنا مجرد مساعد خارجي ولست شرطيًّا رسميًّا، وهذا لا يؤهلني لثقة فينلاي الكاملة، كل ما أعرفه أنه أخبرني

بالذهاب لبيت هوبل لأحضر له شيئًا من هناك.

- حقًّا؟ بيت هوبل ها؟ وما الذي ستجلبه من هناك؟

- أوراق قديمة، لم يخبرني فينلاي بماهيتها، فقط قال لي أن أحضر كل الأوراق من بيت هوبل.

- وبعدها ما الذي ستفعله؟ ستذهب بالأوراق لفلوريدا؟

- فينلاي أعطاني عنوانًا بريديًّا في واشنطن، وأخبرني أن أرسله إلى هناك، أتعلم لماذا؟ سأنام في منزل هوبل للصباح، ثم أقوم بإرسال الأوراق بعدها لفينلاي.

هز بايكر رأسه ببطء، وابتسم بودية مرة أخرى، كانت ابتسامة بطيئة ومفتعلة، وأنهينا القهوة، نقد بايكر النادلة حسابها، ثم خرج كلانا من مطعم إينو، استقل بايكر سيارة الدورية ولوح لي بيده، تركته يرحل أولًا ثم دلفت للبنتلي، وقدتها لشارع بيكمان، حيث منزل بول هوبل.

***

الفصل السادس والعشرون

كان عَلَيَّ توخي الحذر في المكان الذي سأركن فيه البنتلي، أردت الأمر أن يبدو كأنها متروكة بشكل اعتيادي، من رجل مرهق يريد النوم، تركتها في النهاية بمدخل مرآب هوبل، أمامه وليس بالداخل، بعد أن أدرت العجلات نصف دورة كاملة، بعدها دخلت للمنزل وأنرت الأضواء ثم خرجت، لا شيء أكثر وضوحًا من بيت خالٍ وأنا أريدهم أن يعتقدوا أني بالداخل، لكني فعلت شيئًا أخيرًا قبل الخروج وهو أني بحثت في ملابس عائلة هوبل، وجدت قفازات ومعطفًا وقبعة رأس قمت بترتيبها على هيئة بشرية بواسطة علاقات معدنية، وأجلست الشخص الوهمي في الصالة أمام التلفاز وسط الضوء، خرجت بعدها وأغلقت الباب، ارتجفت مع صقيع الليل وأجواء العاصفة التي ستحل قريبًا، تلك المرة هي صادقة -العاصفة- في وعودها، تسللت بعدها من جوار البنتلي إلى بقعة قريبة وسط الأشجار من الجهة الأخرى للشارع وطفقت أنتظر منبطحًا، وأراقب في صمت.

عندما تنصب خفًا، فالانتظار هو المفتاح السحري للفوز، سواء وصلت الفريسة مبكرًا أو متأخرًا، فالانتظار هو سلاحك.. كانت الساعة الثانية عشرة إلا ربعًا عندما بدأت الانتظار، والعاصفة بدأت، الهواء بدا كالصابون السائل من حولي، والظلام مطبق، وعند منتصف الليل زأرت العاصفة، أمطار غزيرة لم تنتظر أي مقدمات،

ورياح كادت تطيرني من مكاني، والبرق والرعد يضيآن السماء، وعلى الأرض الطينية وسط الأمطار المنهمرة جلست أنتظر، ثم وصلوا هم في الثانية عشرة وعشرين دقيقة، لم أسمع الشاحنة بسبب البرق والرعد والرياح لكني رأيتها أمام البيت فجأة في الظلام وهم يترجلون منها، بأقنعتهم السوداء وأحذيتهم المطاطية، الأحذية التي وصفتها ماريسون عند اكتشاف جثة ماريسون وزوجته، ما تبقى منهما على أية حال، الشاحنة سوداء كانت تابعة لمؤسسة كلاينر وأول المترجلين منها كان السائق، مرتديًا جوربًا أسودَ على وجهه، وحذاءً مطاطيًّا، ومعطفًا مغطى «بالنايلون» كي لا يكون هناك آثار دماء أو بصمات، تعرفت على السائق رغم القناع، تلك البنية والذراعين القويتين، إنه بن كلاينر وقد أتى بنفسه لقتلي، ذهب للخلف وفتح الباب الضخم للشاحنة فخرج أربعة رجال يرتدون الملابس نفسها والقناع ذاته، والحذاء المطاطي نفسه والقفازات الجلدية ذاتها، اثنان منهم حملوا بنادق ذات خاصية ضرب مزدوجة، كنت أنتظر أربعة رجال فحضر خمسة، خمسة سيكون رقم صعبًا، لكن أكثر إنتاجية، من وجهة نظر أخرى.. تزايدت الأمطار، وسطع البرق، ورأيتهم على ضوئه فبدوا ككائنات هاربة من الجحيم، أشياء تتكون منها الكوابيس، وشككت للحظة في مقدرتي على التغلب عليهم ليلة الاثنين لو كنت أنا وروسكو في منزلها، لكني سأدمرهم الآن، عنصر المفاجأة معي، سأكون كابوسًا خفيًّا بالنسبة لهم..

ابن كلاينر كان يقوم بتنظيمهم، والتقط ماسورة حديدية من الشاحنة سيستخدمها «كطفاشة» لفتح باب البيت، دار واحد منهم ليدخل من باب المطبخ الخلفي، بينما قاد ابن كلاينر اثنين منهم للباب الأمامي، وبدأ يعمل على المزلاج، في حين ذهب الخامس للشاحنة، لمراقبة الأجواء وتأمين المخارج..

دخل كلاينر والرجلان البيت، في اللحظة نفسها التي كنت أعدو فيها منبطحًا للشاحنة بعدما التقطت حجرًا من الأرض الطينية، وأغمضت عيني للحظة وسط الأمطار، وتخيلت جثة جو في المشرحة، روسكو وهي ترتعد في رعب بعد أن رأت آثار اقتحامهم لغرفة نومها، وزوجة ماريسون، وما حدث لها.. فتحت عيني، كان الرجل يفتح الباب ويهم بدخول الشاحنة عندما أحطت ذراعي بعنقه من الخلف وهويت بالحجر على رأسه، كانت ضربة قوية بحق، أو كنت غاضبًا، لا أعلم، لكن الحجر تهشم فوق أم رأسه وسقط أرضًا بعدها، انحنيت فوقه ودماؤه تختلط بالأمطار، رفعت رأسه ودققت عنقه ثم تركته جثة هامدة، واحد خارج اللعبة..

جررت جسده ووضعته في مؤخرة الشاحنة ثم ذهبت، وأخذت المفاتيح لأضعها في جيبي، وتسللت للمنزل، مخرجًا المُدية، سأحاول تجنب استخدام المسدس قدر الإمكان داخل المنزل، لا أريد للجيران أن يتصلوا بتيل، وبايكر، حتى مع العاصفة، فصقر الصحراء سيحدث ضوضاء

عاتية.

كان بيتًا كبيرًا، ولسوف يستغرقون وقتًا في البحث، تخميني أنهم سيبحثون كفريق واحد في البدء وسيفترقون بعدها، تسللت من الباب الموارب، لم يسمع أحد صريره بسبب صوت الأمطار المنهمر الذي كان يضرب السقف دون هَوادة، وشعرت كأن العاصفة ستقلع البيت كله من جذوره وتهشمه.

حبوتُ داخل المنزل في الظلام، الكابوس الخفي، لقد حان وقت القتل، قبعت أسفل السلم المؤدي للطابق وانتظرت، المُدية في يدي، مرت خمس دقائق ثم سمعت خطوات أحدهم على السلم، يسير بتوجس وحذر، كان أحد حاملي البنادق، وصل للطابق الأول وسار للأمام، تحركت بخفة وانقضضت من خلفه، غرزت أصابعي في عينيه بسرعة وقوة وقبل أن يصدر صوتًا جذبت رأسه للخلف ونحرت عنقه بالمدية لتنفجر دماؤه أنهارًا، لم يتم نحر العنق بسهولة كما يحدث في الأفلام، لا توجد سكين بتلك الحدة أبدًا، غرزت المدية وظللت أحركها بسرعة وقوة يمينًا ويسارًا، بينما هو يتحشرج ويرتجف، ثم خر صريعًا، تركت جثته غارقة في الدماء، اثنان خارج اللعبة..

جررت جثته خارج البيت، ثم تركته على الأعشاب في باحة بيت هوبل، واختلطت دماء الرجل مع الأمطار، وأخذت بندقيته، هذا سلاح خطير ذو قوة ارتدادية رهيبة وقادر على تفجير رأس الهدف لأشلاء متناثرة، علقت

البندقية على ظهري وظللت ممسكًا بالمُدية، هناك مزية في البندقية غير موجودة في صقر الصحراء وهي أني لن أحتاج للتصويب فالبندقية تلك أشبه بالقنبلة.

ذهبت بعدها منبطحًا واختبأت قرابة الباب الموارب، تخميني أنهم سيخرجون من المنزل بعدما يفشلون في إيجادي وإدراكهم لتغيب الرجل، انتظرت عشر دقائق، وخرجوا هم بعدها، رجلان منهم، هذا جعلني أتردد، أين ابن كلاينر؟.. وضعت المُدية في جيبي، وأخرجت الشيء الآخر الذي ابتعته من متجر السلاح، بلطة متوسطة الحجم، كانا يتجهان صوب الباب، أنا خلفهما الآن، الأمطار تتزايد والعاصفة تزأر، تحركت وأنا أنقل البلطة من يدي اليسرى لليمنى، وهويت بها على مؤخرة عنق أولهما، كاد رأسه أن يطير عن عنقه وهو يسقط جثة هامدة ودماؤه تتطاير على زميله الذي التفت والتوى وتراجع في اللحظة نفسها برد فعل سريع وضرب يدي الممسكة بالبلطة لتسقط الأخيرة، هنا كنت قد استللت المدية بيدي الأخرى وأنا أحتضنه وعاجلته بعشر طعنات متتالية سريعة ليسقط غارقًا في بركة من الدماء، أربعة خارج اللعبة..

هطلت الأمطار على ظهري وأنا أكوم الجثث حول بعضها في فناء هوبل، ثم اعتدلت وبحثت بعيني، لا أثر لابن كلاينر، والبندقية التي معه..

حملت البندقية بين يدي تلك المرة بعدما التقطت البلطة ودخلت البيت بحثًا عن ابن كلاينر..

لم أجده، بحثت في الطابق الأول كله، ولم أستطع سماع شيء بسبب العاصفة، هل سمع هو جلبة قتل رفاقه واستعد لي؟ لا أعلم، لا أستطيع استخدام أُذنيَّ، ارتكزت بنظري في الأنحاء كلها، ثم رأيته واختبأت بسرعة، كان قادمًا من أعلى وهبط السلالم، بدا لي بمنظره الحالي كشبح قادم من الجحيم ويحمل بندقية في يديه، كنت على بعد عشرين مترًا منه عندما وقف أمام مسبح بول هوبل في الجهة الخلفية من البيت، الأمطار تختلط بقوة وغزارة بماء المسبح بينما الفتى يقف هناك ويبحث، لم أرد إطلاق الرصاص عليه بالبندقية، لن أستطيع لم أشلائه لو فعلت هذا وأنا بحاجة للتخلص من الجثث، خُطتي تعتمد على هذا، إحداث عدم توازن لكلاينر الكبير، عليه أن يتساءل ما الذي حدث في تلك الليلة وأين اختفى ابنه وباقي الفريق؟ الشيء نفسه ينطبق على صقر الصحراء، لن أستطيع التصويب مع قوة الرياح الحالية والمسافة الفارقة بيننا، لذا انتظرت، شعرت بالقلق في لغة جسده، كان يلتفت يمينًا ويسارًا، هو وحده، ولا يجدهم، والقناع على وجهه يعيق رؤيته إلى جانب الرياح والأمطار، كنت أتحرك من خلفه واقترب، أتأرجح يمينًا ويسارًا بينما هو يولي ظهره لي، ثم اقتربت بما فيه الكفاية، وكنت أعلم جَيِّدًا الآن أن الشخص المجنون الذي هشم عظام جسد جو بعد قتله هو ابن كلاينر المخبول.

في الروايات التي أقرأها، والأفلام التي يشاهدها الناس،

سيكون هذا مشهد قتال وجهًا لوجه، وكنت لأقتله بنبل، بعدما أخبره بسبب موته، وينتهي العراك بعد وهلة وهو يسقط أمامي، لكن الأمر مختلف في الحياة الحقيقية وجو كان يضحك من فكرة القتل النبيل.

وقفت خلفه، وطوحت البلطة للخلف لأهوى بها على رأسه، لكنه التفت في اللحظة نفسها وهو يهم بالعودة للبيت، في الثانية نفسها التي انزلقت فيها قدمي على الأرض المبللة، طوح ابن كلاينر نصفه العلوي للخلف ولم تصب البلطة الهدف بل مزقت القناع من على وجهه فحسب، رفع البندقية صوبي وضغط الزناد، كنت أسقط، وضربت فوهة البندقية بكوعي بعيدًا عن وجهي، ودوى انفجار رهيب من البندقية كاد يصيبني بالصمم بينما الرصاصة تنطلق منها..

سقطت أرضًا، بينما هو يعمر البندقية استعدادًا للطلقة الثانية، صوت التعمير الشيطاني هذا، امتدت يدي بسرعة لتستل صقر الصحراء من غمدي بينما فوهة بندقية ابن كلاينر تستقر على جسدي وإصبعه يعتصر الزناد، أطلقت الرصاص من صقر الصحراء أولًا، انفجار آخر، لكن الرصاصة لم تصبه هو، لقد أطاحت بالبندقية من يده، ركلته في اللحظة نفسها فتعثر وسقط في المسبح، لكنه جذبني من ساقي وهو يسقط بقوة، حاولت إطلاق رصاصة ثانية عليه لكن الوقت وقوة الجذب لم يسمحا.. وسقط كلانا في مسبح بول هوبل..

كنا في قاع المسبح نتصارع، والكلور يحرق عيني وأنفي، كل منا يجذب الآخر للأسفل، لكمته، وركلني هو أسفل معدتي، كانت ركلة قوية، لكني تجاهلتها وتذكرت ما حدث لجو وأنا أمزق قناعه، ثم قبضت بكلتا يدي على عنقه، لم أكن أخنقه، كنت أهشم عنقه بالكامل، ارتجف وجحظت عيناه، برز لسانه من فمه المفتوح، ورغم أننا في قلب المسبح لكني سمعت صوت عظام عنقه تتهشم بالكامل، تركت جثته المحدقة تهوي لقلب المسبح وصعدت للسطح لألتقط الهواء وتغسل الأمطار الكلور عن وجهي، من يسقط أولًا يظل بالأسفل، تلك هي القاعدة، وابن كلاينر قد سقط أولًا.. لكني شعرت أني لم أصل للسطح حقًّا مع قوة الأمطار، الطقس كان كابوسًا مخيفًا، وشعرت أني سأظل أكثر جفافًا لو بقيت في المسبح بدلًا من العودة للعاصفة.

لكني خرجت من المسبح، استرحت قليلًا، والتقط أنفاسي وأنا أجلس على العشب قبل أن أسبح مرة أخرى وأعود بجثة ابن كلاينر، كان ثقيل الحجم لكني كنت مصرًا، جررت جثته على العشب ومنه للمنزل، ثم وضعتها في مرآب هوبل جوار سيارة الأخير المركونة، بعدها خرجت للباحة وجررت الجثث الثلاث واحدة تِلْوَ الأخرى، وقفت أنظر إليهم في إرهاق ولمحت انعكاسي على طلاء سيارة بول هوبل، خرجت مرة أخرى وأحضرت الجثة الخامسة، السائق، من الشاحنة ووضعته جوار رفاقه

في المرآب، كان هناك نور خافت منساب من مصباح متدلٍ من السقف، كنت أريد رؤية وجوه رفاق ابن كلاينر الذين أحضرهم معه الليلة لقتلي، وهذا الضوء ليس كافيًا، بحثت عن كشاف وأنا أغمغم: هيا يا بول، لا بد أنك تمتلك واحدًا، وجدت الكشاف وأضأته ثم ذهبت وخلعت أقنعتهم واحدًا تِلْوَ الآخر وسلطت ضوء الكشاف على وجوههم.

أول اثنين كانا حارسي المبنى الرابع، رأيتهما إبان مراقبتي للمخزن، والاثنان الآخران كنت أعرفهما وتعاملت معهما، رجال شرطة، فريق الدعم الاحتياطي اللذان تواجدا مع فريق بايكر أثناء القبض عَلَيَّ، المزيد من جنود تيل المخبئين.

تنهدت ونظرت لانعكاسي على سيارة هوبل، حان وقت تنظيف المكان وجمع أسلحتهم، حان وقت جعل كل شيء كأنه لم يحدث الليلة، جمعت البنادق، والبلطة، والمدية، ووجدت قبضة معدنية قد سقطت من أحدهم، أعتقد أنه كان أحد الحراس، لا أعتقد أن الشرطي سيستخدم قبضة معدنية، بعدها جردتهم من أسلحتهم، ثم كومت جثثهم في مؤخرة شاحنة كلاينر التي أتوا بها، وأغلقت بابها، أخرجت مفاتيح الشاحنة من جيبي ونظرت لبيت هوبل، وبابه الذي أغلقته، ثم دلفت للشاحنة وأدرت المحرك.

قُدت الشاحنة حتى وصلت لبيت ماريسون المهجور،

تأكدت من عدم وجود جيران متلصصين أو أحد في الشارع، العاصفة تولت هذا بدلًا مني، ركنت الشاحنة في مرآب ماريسون، ثم ذهبت وعدت سيرًا في الأمطار، العاصفة بأمطارها ستتولى مسح البصمات كذلك، كنت أفكر بلا توقف وأنا أسير وسط الأمطار، كلاينر بحاجة لأوراق خاصة لا يتم تصنعيها في البلاد، في الآن ذاته هناك شيء آخر مجهول الْهُوِيَّة يتم نقله في الصناديق، شيء المخزن ممتلئ به، كما أن تلك الجزئية التي لا تكف عن طرق باب عقلي، لماذا الأرقام المتسلسلة الطويلة التي رأيتها في مرآب شيرمان ستولر عندما كنت مع صديقته جودي وروسكو؟ لماذا لم يكتفوا باسم «الجزيرة للمكيفات الهوائية» أو أيٍّ كان، شرطة جاكونسفيل كتبت في تقرير اعتقال ستولر أن صناديق مكيفات الهواء في شاحنته كانت تحتوي على أرقام متسلسلة طويلة كذلك، لماذا؟ هم ليسوا في حاجة إليها، اسم شركة مكيفات الهواء والختم كافٍ لإقناع أي أحد بأن هناك مكيفَ هواءٍ صغيرًا داخل الصندوق.. لماذا كتبوا تلك الأرقام المتسلسلة؟

شعرت بأن أحدًا يخبرني الإجابة همسًا، جو بدقته التي تحدث عنها كيلستاين وإصراره، باللائحة التي احتوت على الأحرف الأولى للأستاذين الجامعيين وأرقام هواتفهما، ورقم بول هوبل في الجزء المقطوع منها، ثم هاتان الملاحظتان، مرآب ستولر، وملف جراي.. أكاد أجزم أن الإجابة عن سؤال «ما الذي يخبئه كلاينر في المخزن؟»

تكمن في تلك اللائحة، وشعرت بجو يقول لي: ربما الأمر يستحق أن تذهب مرة أخرى لمرآب ستولر..

***

الفصل السابع والعشرون

أول شيء فعلته عند عودتي لمطبخ تشارلي هوبل هو إعداد الكثير من القهوة، ووضعت صقر الصحراء، والبلاك جيك، والبندقية، وزجاجة المياه، والمُدية، والبلطة، في الموقد، لم أشعله بالطبع، لكني تركتهم هناك ليجفوا، وجلست أشرب القهوة السوداء القوية...سَرَتِ القهوة الدافئة في جسدي المرتعد، تفقدت بعدها ملفات جو، وواجهت مشكلة جديدة، الورقة مبللة والكلام كله قد مُحي، لا أمسك سوى ذاكرتي الآن.. ذهبت لمغسلة تشارلي وخلعت ملابسي ثم وضعتها بالداخل لأجففها، لم يكن لَدَيَّ فكرة عن آلية تشغيل المغسلة لكني ارتجلت، وفكرت بالنوم.. أنا بحاجة إليه قبل الذهاب لأطلانطا مرة أخرى، والامتثال لنصيحة جو بتفقد مرآب شيرمان ستولر.

أدرت عينيَّ بإرهاق في غرفة معيشة هوبل ومكتبته، مررت بالتلفاز والمذياع، المقاعد الجلدية، وجهاز بث ياباني، الكثير من شرائط الكاسيت والأسطوانات، كان يحب فريق اليبتلز وجون لينون للغاية، بعد ذلك أدرت عينيَّ لصف من الكتب المرصوصة ومجلات بعناوين: رأس المال، المصرفي الأسبوعي، إدارة المصارف، الاقتصادي، الأخبار المالية، كلها مرتبة بالأبجدية في أناقة، بعد ذلك استقر كتيب خاص بوزارة المالية يدعى: العالم المصرفي.

تثاءبت ووقفت متجهًا للفراش وبينما جسدي يصرخ طلبًا للنوم وانتني فكرة فعدت مسرعًا للمكتبة وأعدت التصفح -بتركيز تلك المرة- لتواريخ إصدار المجلات المصرفية، بعضها حديث وبالتأكيد ليس قبل ترك بول هوبل للمصرف، لماذا استمر بول في طلب تلك المجلات معقدة المحتوى بعدما ترك المصرف؟ هنا رأيت كتابًا سميكًا غليظًا عليه اسم كيلستاين وبارثلميو، لقد وصف الأول هذا الكتاب بأنه الكتاب المقدس لدى وزراء المالية، أخذته وبدأت في تصفحه، وقضيت الساعة التالية وأنا أفعل ذلك.

كانت هناك جداول كثيرة تشرح مشاكل الورق، المكونات الكيميائية والفايبر، القطن وخلافه، وتم ذكر اسم شركة تدعى « كراين وشركاؤه» كمثال على تصنيع الورق عالي الجودة، أومأت برأسي لنفسي، أنا أتذكر تلك الشركة، لقد ابتعت بعض كروت الكريسماس المصنعة بواسطتهم وكانت رائعة الملمس فعلًا، أنيقة وتشعرك بجودة فائقة، واصلت تصفح الكتاب، كان هناك ذكر لعمليات التزوير في لبنان وأمريكا الجنوبية...

لم يساعدني الكتاب على النوم، الحقيقة أن العكس هو ما حدث لأني بعدما انتهيت منه كنت أرتجف من الحماسة والانفعال، لقد أخبرني الكتاب كيف يحصل كلاينر على الورق، ومن أين، وعرفت أخيرًا محتوى صناديق مكيفات الهواء، لم أعد بحاجة للذهاب لمرآب

ستولر المحترق في أطلانطا لأعرف، أنا أعرف.. أعرف الآن ما يخبئه كلاينر في مخزنه، وما تحضره الشاحنات كل يوم، وعرفت ما الذي كان جو يقصده بـ «اينيم أي بلوريباس»... لقد فهمت كل شيء قبل قدوم الأحد بأربع وعشرين ساعة، آه أنت بارع حقًّا يا كلاينر لقد وجدت فكرة بسيطة لحل معضلة الورق التي أكد البروفيسر كيلستاين أنه من المستحيل حلها.

قفزت من مكاني وهرعت للقبو، أخرجت ملابسي من المغسلة وارتديتها، عدت للمطبخ وأخذت الأسلحة والمقتنيات، ثم عدوت للبنتي، أدرت المحرك وانطلقت بالسيارة متجهًا للشارع الرئيسي تاركًا منعطف بيكمان من خلفي، زدت من سرعة سيارتي بحماس وأنا أردد: أنت بارع حقًّا يا كلاينر..!

انعطفت يمينًا وخرجت من مارجرايف مرورًا بالطريق الزراعي القديم، كأني ذاهب لسجن ورابيرن قبل أن أستدير بالسيارة مرة أخرى، الطريق متعرج ومظلم، وأضواء البنتلي الضعيفة بدت كأنها تلتحم مع ضوء القمر، هدأت من سرعتي قليلًا، لا أريدهم أن يجدوا الأخير من عائلة ريتشر ميتًا على الطريق جوار سيارة مقلوبة، وصلت للفندق وركنت البنتلي، ثم دخلت مسرعًا لموظف يغفو في مكتب الاستقبال..

- لديك نزيل يدعى فينلاي، ما هو رقم غرفته؟

فرك الموظف عينيه وقال بلسان ثقيل: ١١.

ذهبت لكابينة رقم ١١ وطرقت الباب، وأنا أصيح: هيا يا فينلاي استيقظ

استمررت في الطرق، سمعت حركة أخيرًا وصوت رجل نائم يتلفظ بشيء ما..

- هيا يا فينلاي.

- من هنا؟

- ريتشر، افتح الباب اللعين.

مرت ثانيتان وهو يستوعب قبل أن ينفتح الباب..

نظرت إليه بدهشة، كان يرتدي شورتًا، و»تي شيرت» خفيفة، ولم أتمالك سوى أن أضحك، كنت أتوقع أن أراه نائمًا بحلته الرسمية الأنيقة، كان يحاول فتح عينيه بصعوبة ولا يكف عن التثاؤب..

- كم الساعة الآن يا ريتشر؟

- لا أعلم ولا أهتم.. ربما الخامسة صباحًا.. ارتدِ ملابسك لنذهب.

- نذهب إلى أين؟

- أطلانطا.. سأريك شيئًا هناك.

- أي شيء؟ أخبرني فحسب.

-ارتدِ ملابسك لنذهب.. هيا.

أطلق سَبَّة، ثم ذهب مترنحًا ليرتدي ملابسه، بحث عن بذلة يرتديها رجل نائم، وظل يفرك رأسه، بعد خمس عشرة دقيقة كان قد ارتدى حلته وقال: أرجو أن يكون الأمر يستحق..

أغلق باب الكابينة ووضع المفتاح في جيبه، ثم ذهبنا للسيارة، وقف في تردد قبل أن يرفع حاجبه ويسأل: أنت الذي ستقود؟

- ألديك مشكلة في هذا؟

أجابني بانزعاج: أنا لا أحب أن يتولى أحد القيادة غيري، هلا تركتني أقود؟

- أنا لا أهتم من الذي سيقود السيارة اللعينة يا فينلاي، لندخلها فحسب..

أعطيته المفاتيح ودلف هو لمقعد القيادة وقد بدا سعيدًا بهذا، بينما أنا مرهق للغاية...

انطلق فينلاي بالسيارة بعدما قادها ببراعة عبر المنعطف للطريق السريع، كانت تنطلق كالرمح وبسرعة أعلى من سرعتي السابقة، الحقيقة أنه كان قائدًا بارعًا..

سألني وعيناه الناعستان ترتكزان على الطريق: ما الذي يحدث؟

التفت إليه وأجبت: لقد فهمت كل شيء، حللت كل

الأسئلة، وتوصلت للإجابات.

نظر لي بطرف عينه، ثم عاد بها للطريق وسأل: ومتى تنتوى إخباري؟

- هل اتصلت بجامعة برينستون؟ بمساعد والتر بارثلميو؟

- نعم.

وخطَّ بيده على المقود في انزعاج مردفًا: المساعد كان يعرف الكثير، لقد تحدثت معه لساعة كاملة لكن لا شيء من هذا الكثير كان ذا فائدة..

- حسنًا.

- أخبرني يا ريتشر.

- ما الذي قاله لك المساعد؟

- أخبرني بكل شيء عمله بارثلميو، الحقيقة أن المساعد ذكي، ويستطيع الشرح بشكل فعال، هو خريج كلية التاريخ، المهم اتضح أن بارثلميو وكيلستاين مزوران مهمان وجو كان يستشيرهما.

- أنا أعرف كل هذا بالفعل من كيلستاين.

نظر لي فينلاي بانزعاج وكتم سَبَّة..

- لماذا تسألني إذن؟

- أريد استنتاجك.

- لا شيء، كيلستاين لم يستطع حل معضلة الورق الخاصة بكلاينر.

- لكني حللتها.

- أخبرني إذن بالله عليك.

- حلها وحدك يا خريج هارفارد.

زمجر فينلاي، ومرت السيارة بشاحنة على الطريق مجاورة لعمود إضاءة، زاد فينلاي من سرعته محنقًا ثم هتف: حسنًا لكن أعطني تلميحًا أستطيع البدء منه.

- سأعطيك اثنين، «ينيم أي بليروباس».. ومدى تميز العملية الأمريكية في السوق العالمي..

- حسنًا، ينيم أي بليروباس هو الشعار الوطني بالعكس، ومعناه من الواحد سيأتي الكثيرون، صحيح؟

- نعم، وما هو الشيء المميز في الدولار الأمريكي مقارنة بأي عملة أخرى؟

فكر فينلاي بعمق، واعتصر ذهنه، كأنه يبحث عن شيء مألوف، لكنه لا يستطيع تحديده، ثم قال: ماذا؟

- أنا قد عشتُ في مختلف بقاع العالم، وتعاملت كنتيجة بعدة عملات نقدية، ما هو الشيء المختلف في الدولار؟

سألني فينلاي باستسلام: ماذا؟

- الدولارات صغيرة الحجم، على اختلاف الفئة، خمسون،

أو مئة، أو عشرة، أو عشرون، خمسة، أو دولار واحد، كلهم الحجم الصغير نفسه، لا توجد دولة أخرى تطبع عملتها بتلك الطريقة على حد علمي، في الدول الأخرى كلما ازدادت قيمة الفئة النقدية كلما كبر حجمها، وورقة المئتين ستكون أكبر من ورقة العشرة، ولكن ورقة المئة دولار الأمريكية بنفس حجم ورقة الدولار الواحد..

- إذن؟

- إذن من أين يحصلون على ورقهم؟

نظر فينلاي من النافذة محنقًا إنه لا يستطيع الفهم.. أردفت له: إنهم يبتاعون الورق، بدولار مقابل الورقة الواحدة..

- مساعد بارثلميو أكد لي أنهم لا يبتاعون الأوراق؛ لأنه لا يوجد مصنع لتلك النوعية من الأوراق يمكن الابتياع منه، المساعد أكد أن عمليتهم محكمة وضيقة كمؤخرة سمكة، لا يوجد صفقات خارجية مع مصنع أوراق..

- خطأ.. الورق متاح بأبسط الطرق، ما هي وظيفة هوبل السابقة؟ مدير قسم السيولة النقدية؟ الخبير بمكان تواجد الدولار النقدي، وكذلك كانت وظيفته مع مؤسسة كلاينر بعدما تم تسريحه من المصرف، أن يبتاع الدولار !.. تخيل الأمر.. هو يعرف طرق الوصول للنقدية؛ ولذا نظم لهم آلية الحصول على فئة الواحد دولار -وهي بنفس حجم باقي الفئات- من المصارف والمراكز التجارية

والمتاجر والكازينوهات، تلك كانت وظيفته، تحصيل أكبر قدر من فئة الواحد دولار التي لن يهتم بها أحد، هم يبتاعون فئة الواحد دولار من كل المصادر بولايات مختلفة ويقومون بشحنها للمخزن في مارجرايف، هذا هو الورق الخاص بهم يا فينلاي، وبعدها يقومون بالتعديل والتزوير على هذا الورق، صناديق مكيفة للهواء تحتوي على فئات الدولار من قيمة الواحد.. يتم شحنها للخارج لمصانع التزوير في أمريكا الجنوبية، قبل أن يكتشف خفر السواحل حملاته البحرية وتتوقف العملية بشكل مؤقت.. ولكي يبقوا سجلاتهم منظمة فهم يوزنون الصناديق، لقد قرأت عن تلك الآلية منذ ساعات، تقوم بوزن الصندوق المعبأ بالنقدية وتحسب الكمية بوزن الفئة الواحدة، وبعدها يكتبون الرقم الصحيح في شكل رقم متسلسل على الصندوق، وبعدها يتم إرسال الصناديق لشاطئ جاكونسفيل.. وتنقلها القوارب لفانزويلا.. حيث تتواجد مصانع كلاينر الكيميائية.. والقطن.. وطبقًا لبارثلميو.. فالمكونات الخام للعملية النقدية هم الفايبر والقطن.. والآن ما الذي ستحصل عليه عندما تمزج كل هذا بالكيمائيات؟ عملية تبييض كاملة للكلام، محو.. فتحصل على أوراق فئة الدولار وهي بيضاء تمامًا وجاهزة للطباعة.. الأمر بتلك البساطة، خذ دولارًا، بيِّضه، وزوره.. هذا ما كان جو يعنيه بعبارة «اينيم أي بلورياس».. من فئة الدولار الواحد سيأتي الكثير، كل الفئات..

- يا إلهي، يبيضون الحبر، فكرة عبقرية.

- كلاينر بارع جِدًّا.

- لكننا نعلم الآن.. مؤخراتهم أصبحت ملكنا.

ضحكت علقت: سروايلهم مفتوحة ومؤخراتهم معلقة في الهواء وتنتظرنا في تلك اللحظة.

- كيف عرفت كل هذا يا ريتشر؟

- سأريك، خطوة تِلْوَ الأخرى، في البدء.. الدليل.. سنذهب لمرآب ستولر وأريك صندوق مكيف هواء يحتوي على الكثير من الدولارات ذات الفئة الواحدة.

- لكنهم أحرقوا المرآب، ولن نجد شيئًا سوى الصناديق المتفحمة.

- دعك من حقيقة أن تلك الصناديق ملك مكتب أدلة الشرطة الآن، لقد قرؤوا في قائمة جو المسربة ملحوظة مرآب ستولر وأحرقوه.

- مرآب ستولر لم يحرق.

- ها؟

- أين ذهبت للمدرسة يا فينلاي؟

- وما أهمية هذا الآن؟

- فقط قل لي..

- مدرسة بوسطن الحكومية، لماذا؟

- الدقة، أنا أهتم دومًا بالدقة، وكذلك فعل جو؛ بسبب التعليم العسكري الذي تلقينا، لقد كتب جو مرآب ستولر، ولم يترك حرف الملكية(10) مكتوب بالطريقة التي تعني «المرآب يخص ستولر».. كلا، لقد كتبها بالجمع، بمعنى أن المرآب يخص عائلة ستولر، أو فردين باسم ستولر، وجودي كانت صديقة شيرمان ستولر وليست زوجته، وأنا أثق في دقة جو.. ما كان يعنيه أخي هو مرآب ستولر الذي يخص فردين، ألا وهما والدا ستولر.. الأب والأم.. وهم لديهما مرآب في البيت الذي ابتاعه لهما ابنهما.. أترى أهمية تعلم النحو في المدرسة؟

صفر فينلاي وهو يدير الأمر كله في رأسه، قبل أن يقول: إذن ستولر احتفظ بالصناديق في مرآب بيت والديه..

وصلنا لأطلانطا، وأعطيت فينلاي الاتجاهات، قلت له يمر خلف المطار وينعطف يسارًا، وصلنا في النهاية للبيت المنشود..

ركنا السيارة وترجلنا، فينلاي متيقظ ونشط، بينما أنا في غاية الإرهاق، سرنا للباب وطرقناه في حين أخرج فينلاي بطاقة هويته..

أتت السيدة العجوز فابتسمت لها..

- صباح الخير يا مسز ستولر هل تتذكريني؟

- أنت الشرطي.

أراها فينلاي هويته، وأفسحت هي لنا مجالًا للدخول..

- نحن بحاجة لرؤية مرآب بيتك يا سيدتي، لدينا أسباب تدفعنا للاعتقاد أن ابنك احتفظ ببضاعة مسروقة هناك.

ظلت السيدة صامتة، وأخفت مشاعرها خلف وجه خشبي، ثم ذهبت وعادت بمفاتيح أعطتنا إياها، أشارت باتجاه المرآب، وذهبت لتجلس في غرفة أخرى بعيدة، تبادلت نظرة مع فينلاي الذي تنهد قبل أن نذهب للمرآب..

المرآب كان متوسط الحجم وبه العديد من المقتنيات القديمة، لكننا وجدنا الصناديق فورًا واتجهنا إليها، انحنيت بعدما أخرجت مدية ماريسون، فتحت صندوق، وآخر.. ثم ثالث، واعتدلت جوار فينلاي ونحن ننظر لآلاف الدولارات ذات الفئة الواحدة المعبأة بالداخل.. تبادلت نظرة طويلة مع فيلاي، ثم حملنا صندوق وعدنا به للبنتلي، قال فينلاي: لنعد لاحقًا ونأخذ الباقي.

- علينا تركهم للأب والأم، كأموال معاش..

- حسنًا.

الصندوق كان ثقيلًا وحملناه سويًّا ببطء حتى وضعناه في صندوق السيارة، ثم قال فينلاي: سوف أتصل ببيكارد

وعاد لبيت آل ستولر من أجل إجراء المكالمة..

عاد بعد دقائق وقال بينما يفتح باب السيارة: بيكارد في مؤتمر، لنذهب لمكتبه..

سألني فينلاي ونحن في السيارة: الآن وقد قدمت لي الدليل قل لي كيف حللتها؟

- إلى جانب ملكية الفردين في ملاحظة جو عن مرآب ستولر، بعد أمطار البارحة انمحى الكلام عن ملاحظات جو.. ومن هنا وانتني الفكرة، من قراءة تقارير مالية ومجلات مصارف، أحدهم احتوت على تقرير عضو من مجلس الشيوخ، التقرير تحدث عن عملية تزوير مماثلة قديمة في باجوتا ولبنان..

- إذن فكرة كلاينر ليست أصلية؟

- نعم، ليست أصلية على الإطلاق، لكنَّ عمليتي باجوتا ولبنان كانتا ليستا ذواتي شأن.. على خلاف مؤسسة كلاينر العملاقة.. كلاينر رائد في مجاله، هو المقابل لهنري فورد في مجال الصناعة..

- ولكن لو موضوع التبييض في تقرير عضو مجلس الشيوخ فكيف لم يتسنَّ لكيلستاين وبارثلميو تخمينه؟

- لقد خمنه بارثلميو قبل مقتله، على ما أظن، التقرير كان طويلًا للغاية ولا بد أنه تذكره في تلك الليلة، لا يمكنك لوم بارثلميو وكيلستاين، هم مسنان ومخيلتهما لم تعد بتلك القوة كما كانا إبان الحرب العالمية الثانية..

تنهد فينلاي، ووصلنا بعدها لمكتب بيكارد.

***

الفصل الثامن والعشرون

قابلنا بيكارد في الردهة وأطلعناه على كل المستجدات، كانت عيناه تبرقان وهو يستمع إلينا فهي قضية كبيرة بحق، ثم قال: ممتاز.. عمل ممتاز يا رفاق، يمكننا القول إن اللاتينيين عمالة خارجية من أمريكا الجنوبية يساعدون كلاينر في مارجرايف، ونحن نعرف الآن هُوِيَّة خمسة من العشرة الذين ذكرهم بول هوبل: ماريسون، وتيل، وبايكر، وكلاينر الأب والابن، من هم الخمسة الآخرون؟ بإمكانهم أن يكونوا أي أحد نعرفه أليس كذلك؟

هززت رأسي قلت: اثنان من شرطة مارجرايف، واثنان من الحراس، لقد كشفت عن هويتهم البارحة؛ وهذا يعني تسعة، نحن بحاجة لمعرفة الرجل العاشر فقط..

غمغم فينلاي عند جزء اثنين من الشرطة: تبًّا.

وقال بيكارد: حسنًا عودا لمارجرايف الآن وتجنبوا المشاكل، واحذروا من هذا الرجل العاشر، بإمكانه أن يكون أي أحد، سأقابلكم في مارجرايف لنبدأ عملية الاعتقالات، فقط أعطوني عشرين دقيقة للذهاب، وإحضار روسكو أولًا..

سألني فينلاي فور أن انطلقنا بالسيارة عائدين لمارجرايف: بايكر فاسد؟

أخبرته بشأن مقابلتي لبايكر وطُعْم أني سأكون في بيت

هوبل، وقدوم ابن كلاينر والأربعة بعدها، أخبرته بشأن استنتاجي بشأن بايكر قبل أن يطرق باب سيارتي وأنا نائم بداخلها.

سألني فينلاي بتوجس: ما الذي فعلته بالخمسة؟

- قتلتهم.

نظر لي مصعوقًا ثم غمغم: كيف؟

- نصبت لهم فخًا في بيت هوبل وقتلتهم جميعًا.

- يا إلهي يا ريتشر، لقد قتلت خمسة رجال، كيف تشعر إزاء هذا؟

فكرت في جو، تذكرته وهو مراهق يضحك ويمزح معي، فكرت بمولي بيث جوردي وهي تحتضن حقيبتها في حماس وتبتسم عند رؤيتي؛ لأني أذكرها بحبيبها جو ريتشر، وقلت: شَعَرْتُ كأني قد تخلصت من بعض الحشرات.

هز فينلاي رأسه كجَرْو صغير ينفض الماء عن أذنيه ولم يعلق..

- هل لديك أي تخمين بخصوص هُوِيَّة الرجل العاشر؟

- كلا ولن يهمنا أمره في شيء، سيكون في المخزن مع تيل، وبايكر، وكلاينر.. أربعتهم فحسب سيتولون حراسة المخزن والشحنة.

هز فينلاي رأسه قبل أن يقول: كيف تحولت بلدة

مسالمة كمارجرايف لهذا المستنقع الإجرامي؟

- لقد بدأ الأمر مع الرئيس إيزنهاور.

- إيزنهاور؟ وما علاقته بكل هذا؟

- لقد بنى الطرق السريعة التي قتلت التجارة في بلدان مثل مارجرايف، فيما سبق كان الكل يمر بمارجرايف، وكل المتاجر تربح بها..

- إذن هي غلطة الطرق السريعة؟

- إنه خطأ العمدة تيل، لقد باع أراضي البلدة مقابل المخازن لكلاينر، لم يستطع مقاومة رهبة المال، واشترى كلاينر البلدة كلها في النهاية.

- تيل سياسي، ورجال السياسة لا يرفضون المال أبدًا، وقد كانت كمية هائلة من المال رغم كل شيء.

- لقد أغرق كلاينر البلدة بالمال، وازدهرت حال الجميع.. لقد أعاد تيل بناء مارجرايف بأموال كلاينر.. حتى الحلاق يحصل على قدر هائل من الأموال..

- ولكن لماذا اختار كلاينر مارجرايف؟

- الجغرافيا والفرصة، المسؤولون عن البلدة جشعون، كما أنها بعيدة ونائية..

شرد فينلاي، لا بد أنه يتخيل تيار الدولارات الذي يغرق مارجرايف، كأمطار العاصفة، ركنا السيارة أمام

المخفر وخرجنا منها، هناك صندوق به مبلغ ضخم من الدولارات في صندوق السيارة، غمغم فينلاي ونحن ندخل لمكتبه ويشير برأسه لشرطي الاستقبال: ربما هو الرجل العاشر.

- لا أعتقد، لا يبدو أنه مهتم بأي شيء، ربما يكون العاشر ستيفينسون صهر هوبل على أية حال.

- كلا، لقد حول تيل عمل ستيفينسون لوظيفة مكتبية، بعدما تولى زمام الأمور، كأنه يريده أمام عينيه، تبًّا، من الممكن أن يكون الرجل العاشر أي حد، ربما سيتضح أنه إينو صاحب المطعم..

- لا تفقد أعصابك يا فينلاي.. انفعالك هذا سيجعلك تعتقد أن أي أحد هو الرجل العاشر.

- إذن ما هي خطوتنا التالية؟

- لا شيء، سننتظر قدوم بيكارد وروسكو.. وبعد ذلك تبدأ عملية الاعتقال الرسمية، وإنهاء كل ما يجري هنا..

جلست على حافة مكتبه، وأنا أهز ساقي، ظل فينلاي يسير ذهابًا وإيابًا ثم جلس في ملل صامت، انتظرنا لعشرين دقيقة، قبل أن يحدث ما لم يتوقعه أي أحد منا..

في البدء سمعت الباب ينفتح، كنت موليًا ظهري له، لكني رأيت فينلاي يحدق في القادم، شيء في نظرته جعلني ألتفت للخلف بتوجس، القادم كان بيكارد بجسده

الضخم ويسد المدخل بالكامل، كان هناك شيئان خاطئان في الصورة الحالية، أولهما أن روسكو لم تكن مع بيكارد، وثاني شيء أن بيكارد يحمل مسدسه الحكومي من عيار ٣٨، يحمله ويصوبه مباشره صوب فينلاي.

***

الفصل التاسع والعشرون

صاح فينلاي مصعوقًا: أنت؟ أنت يا بيكارد؟

ابتسم بيكارد ببرود، ثم أجاب ببطء: نعم، أنا ولا أحد غيري يا فينلاي، أنت كنت مفيدًا ومتعاونًا جِدًّا يا أحمق، كلاكما في الحقيقة، لقد أبقيتمونا على علم بكل المستجدات، وسلمتموني عائلة هوبل، وروسكو، لا أعرف كيف أشكركما في الحقيقة، الآن يا ريتشر أنت تعرف من هو الرجل العاشر..

كرر فينلاي بذهول: أنت؟

- كان عليك معرفة هذا يوم أرسلت الرجلين لفندق لأخذ حقائبه بعدما أخبرتني بشأنه بساعة، أنت غبي حقًّا، كلاكما..

نظر إليَّ فينلاي، لم أجد ما أقوله، لا كلام لَدَيَّ، نظرت إليه، ثم لبيكارد، بحجمه الهائل، وشعرت أن هذا سيكون آخر يوم في حياتي، لقد خسرنا.

- ريتشر، تحرك لليمين إلى جانب فينلاي.

قالها بيكارد وهو يخطو للأمام.. ومسدسه مصوب أمامه، انتقلت عيناي للسلاح، من طراز ٣٨ بماسورة قصيرة، انطلقت دماغي تحسب الاحتمالات، مسدس كهذا فعال أكثر في المسافات القريبة، وهناك اثنان منا أمامه، وسلاح فينلاي معلق في غمده، بإمكان قفزة سريعة أن..

توقفت عن حساب الاحتمالات عندما دخل العمدة تيل المكتب خلف بيكارد وهو يحمل بندقية في يديه، وكرر بيكارد: ريتشر اذهب إلى جانب فينلاي..

- أين روسكو؟

سألته فضحك دون أن يرد، ظل يضحك.. وقفت ببطء وسرت نحو فينلاي كأعرج يحاول السير أو طفل يتعلم المشي للمرة الأولى، ظل تيل مصوبًا البندقية التي ستكفي طلقة واحدة منها للإطاحة بي وفينلاي في اللحظة نفسها، وتقدم بيكارد للأمام وأخذ مسدس فينلاي، ثم فتشه بعدها، التفت لي وفتشني بعدها، ثم عاد ووقف بجوار تيل، قال فينلاي له: كيف؟ نحن نعرف بعض منذ عقود.

هز بيكارد كتفيه ثم قال: لقد نصحتك بعدم القدوم لمارجرايف في نهاية مارس عندما أخبرتني بشأن الوظيفة، حاولت أن أحذرك، لكنك لم تأخذ بنصيحتي، أيها الوغد العنيد ابن الزانية، أنت تستحق ما سيحدث لك الآن.

استمعت لحديث بيكارد وشعرت بالسوء تجاه فينلاي، وفجأة دخل كلاينر المكتب، مبتسمًا، أسنانه لامعة وساطعة، عيناه ترتكزان عَلَيَّ، ويحمل بندقية في يده اليمنى، وفي اليسرى استقر المسدس الذي استخدمه ليطلق الرصاص على رأس جو، والآن هو يصوب المسدس نحوي.

المسدس كان من نوعية روجر مارك الثاني، عيار ٢٢، آلي، مزود بكاتم للصوت، نظرت لفوهة المسدس، منذ تسعة أيام التصقت تلك الفوهة بظهر أخي، أشعر بهذا وأثق به، تقدم بيكارد للأمام وجذب مقعد جلس عليه وعيناه وسلاحه مصوب تجاهنا، ظل بيكارد مكانه، بينما ارتكز كلاينر بظهره على باب المكتب بعدما أغلقه.

تفحصت ثلاثتهم، تيل كان يبدو كأنه يعاني ضغطًا وتوترًا رهيبًا، بدا أكبر سنًّا بعشرين عامًا من أول مرة قابلته بها، يرتعد ويعض شفتيه، بدا في غاية البؤس، عكس بيكارد، الذي بدا كبطل كمال أجسام أو لاعب كرة متألق، انتقلت عيناي لكلاينر، نظرت إليه بعناية، لم أرَ شيئًا، لا مشاعر، لا انفعال، وجه صُلب وعينان باردتان، بدا لي كتمثال، كل ما أحسسته هو طاقة قسوة تشع منه..

أخرج تيل جهاز التسجيل الخاص بفينلاي - الذي سجل فيه عملية استجوابي عند لقائنا الأول- ووضعه على المكتب، أخرج شريط الكاسيت، ثم أوصل الجهاز بالكهرباء، ولم يبالِ بإطفاء مكبر الصوت، ثم انحنى وضغط زر الاستدعاء على المكتب وقال: بايكر.. تعال هنا من فضلك.

مرت لحظة ثم دخل بايكر وهو يحمل شريطي كاسيت في يديه، مسدسه عيار ٣٨ في غمده المعلق على حزامه، نظر لي بايكر ولم يبتسم تلك المرة، لم يرني سنه الذهبية، أخذ تيل

منه شرائط الكاسيت وقال لي ولفينلاي: اسمعا، سيهمكما المحتوى.

مرت لحظة ثم أتانا صوت روسكو وسط ضوضاء عاتية من الخلفية، صوت مرتعد ومنفعل..

«ريتشر، أنا روسكو، أنا في مأزق يا ريتشر...وعليك الاستماع وتنفيذ كل ما يطلبونه منك، وإلا فعلوا بي ما فعلوا بزوجة ماريسون، استمع إليهم يا ريتشر ونفذ مطالبهم.. انتهت الرسالة يا ريتشر».

اختفى صوتها وسط الضوضاء في الخلفية، لكني سمعتها تئن في ألم وهم يجذبونها بعيدًا، أخرج تيل الشريط ووضع الآخر، حدقت به، كنت باردًا كالثلج، لم أعد أشعر أني من البشر في تلك اللحظة، بيكارد وبايكر كانا ينظران إليَّ في تشفٍّ، وملامح الانتصار تعتلي وجهيهما، قال تيل: اسمعوا..

سمعنا الضوضاء نفسها، وبعدها أتى صوت تشارلي هوبل، كانت في حالة هيستيريا، كما كانت صباح الاثنين وهي تبحث عن زوجها قبل أن تجثو فوق ركبتيها بيأس، قالت تشارلي: بول.. أنا تشارلي، الأولاد معي، أنا لست بالمنزل؟ هل تفهم ما يعنيه هذا؟ يقولون لك: إنك لو لم تعد إليهم، سيفعلون شيئًا بي أنا والأطفال، شيئًا تعرفه أنت جيدًا، لقد أخبروني أنهم سيفعلون في الأطفال ما كانوا سيفعلونه بي أنا وأنت.

انتهى التسجيل، هنا تحرك كلاينر، وقال بصوت أجش

حازم: سوف تأخذان هذا التسجيل معكما لبول هوبل أينما خبأتماه، وستجعلانه يسمعه ويعود معكما..

تبادلت نظرة مندهشة مع فينلاي، وقلت لكلاينر: أنت قد قتلت بول هوبل بالفعل ألا تتذكر هذا؟

- لا تجرب هذا الكلام الفارغ معي، لقد كنا سنقتله لكنك أنقذته وخبأته.. تشارلي أخبرتنا بهذا.

- تشارلي أخبرتك بهذا؟

- عندما استجوبناها عن مكانه، هي أكدت لنا أنك الوحيد القادر على إيجاده، وقد كانت مصرة على هذا، لم تغير كلامها رغم وجود سكين بين ساقي ابنتها، أخبرتْنا أنك قد وجدته وخبأته، وأنك ساعدته.. أتمنى من أجل مصلحة الجميع أنها لم تكن تكذب..

- أنت قتلته، أنت قتلت بول هوبل يا كلاينر، أنا لا أعلم أي شيء عنه.

- كف عن الهُراء أنت تخبئه ونحن نعلم هذا، والآن أنت تعلم أننا نعلم، نحن بحاجة لعودة هوبل، لدينا عمل لنديره، لقد فكرنا في تعذيبك لنحصل على مكانه، لكنك قد تعطينا عنوانًا خاطئًا، كن ذكيًّا وافعل ما هو مطلوب وإلا سنجعل روسكو تتحول ببطء إلى أشلاء..

صمت بعدها قاتل جو، وانتظر مني تعليقًا لكني ظللت مطبق الشفتين.. أردف كلاينر: إليكما ما سنفعله الآن،

سنرسل بيكارد معكما، وما ستفعلانه أنتما هو اصطحاب بيكارد لمكان بول هوبل، وعندما تصلون إلى هناك سوف يتصل بي.. ثم تعودون إلينا، أربعتكم..

لم أرد، سأل كلاينر فجأة: أين خبأتموه؟

فتحت فمي لكنه أشار بيده بحزم وقال دون انفعال: لا تحاول الكذب، كف عن هرائك يا ريتشر كما أني أستطيع رؤية أنك جالس تفكر بعناية، وتحاول أن تنصب فخًا ما لبيكارد، تريد التخلص منه، دعني أقل لك إن هذا لن يحدث أبدًا، لسببين..

وعد كلاينر على أصابعه وهو يتابع: الأول هو شكي في احتمالية أنك تستطيع التغلب على بيكارد، تبًّا أنا أشك في احتمالية كون أي أحد قادر على التغلب على بيكارد، وثاني شيء أن رقمي ليس مسجلًا معه بل محفوظ في ذاكرته ولو لم يتصل هو بي سأمزق روسكو وتشارلي وطفليها..

نظرت إليه طويلًا، كلاينر ذكي.. أسوأ نوع من الأوغاد هم الأذكياء..

- دعوني أضف شيئًا آخر يا ريتشر، وفينلاي، نحن لا نعلم أين هوبل ولا بعد مسافته، لكننا سنعطيكم حدًّا أقصى من الوقت قبل مكالمة بيكارد..

اقترب كلاينر بعدها من فينلاي وصوب فوهة مسدسه داخل أذنه متابعًا: المحقق الأسود هذا سيقبع في زنزانة،

مقيدًا في القضبان، لو لم يتصل بي بيكارد سيكون هو أول الموتى، وسأجعل روسكو تنظف أحشاءه، بعد أن أعتدي عليها بكل الطرق، أعدك بهذا يا ريتشر، لقد قضيت أنا والعمدة تيل ساعة ممتعة للغاية ونحن نخطط ما الذي سنفعله بروسكو..

أجبر كلاينر فينلاي على الوقوف، وعيناه ترتكزان عَلَيَّ.. ابتسمتُ له.. كلاينر رجل ميت بالفعل، هو فقط لا يعرف هذا بعدُ كرجل قفز من أعلى بناية شاهقة لكنه لَمَّا يرتطم بالأرض بعدُ.

- سأنتظر مكالمة في السادسة صباحًا؛ لإنقاذ حياة فينلاي لو لم تتصل سيموت، والمكالمة التالية ستكون في السابعة لإنقاذ حياة روسكو، ولا تحاول العبث مع بيكارد، هل تفهمني؟

هززت كتفي دون رد، كرر كلاينر: هل تفهمني؟

- نعم، هوبل هرب منك وأنت لا تستطيع إيجاده..

لم يتحدث أي أحد منهم، أكملت: أنت لا تستطيع إيجاده لأنك عديم الفائدة يا كلاينر، أنت قطعة من الخراء، تعتقد أنك ذكي لكنك لن تستطيع إيجاد ما هو واضح أمامك لأنك وغد عديم الفائدة..

كتم فينلاي أنفاسه في قلق، لقد كان يعتقد أني أعرض حياته للخطر باستفزاز كلاينر، لكن الأخير لم يفعل شيئًا لفينلاي، لقد تحرك نحوي، وقد شحب وجهه، وشممت

رائحة غضبه بشكل ما، كنت قد بدأت أستوعب فكرة أن بول هوبل لا يزال على قيد الحياة، بعدما كنت أعتقد أنه ميت طيلة الأسبوع، الآن هو قد عاد للحياة ويختبئ في مكان ما، هارب من الجميع، لم يجره أحد من بيته صباح يوم الاثنين بل خرج هو بنفسه، قلت لكلاينر الذي وقف أمامي غاضبًا: ما الذي يمتلكه هوبل وأنت تريده بتلك الشدة؟

- أنا عالجت أمر كل الذيول التي قد تسبب أذى لعمليتنا عدا هوبل، الوغد الثرثار قد يفضحنا، أنا بحاجة إليه أن يكون هنا حيث ينبغي وأنت ستجلبه لي..

انحنيت للأمام وحدقت بعيني كلاينر ثم قلت ببطء: هل يستطيع ابنك إيجاد بول هوبل؟ لمَ لا تطلب من ابنك إيجاد بول هوبل..

ساد صمت تام، قطعته وأنا أضيف: أين ابنك يا كلاينر؟

لم يرد..

- ما الذي حدث لابنك يا كلاينر؟ هل تعلم ما الذي حدث له؟

بدا من وجهه أنه يشعر بما حدث لابنه، لكنه لا يعرف التفاصيل، هو لم يقبل حقيقة ما حدث، لا يزال في مرحلة الإنكار، هو يعرف أنه أرسل ابنه في إثري، ولم يعد بعدها إليه، كان يريد أن يعرف ما الذي حدث لكنه لم يستطع سؤالي لأنه لو فعل هذا فهو يقر بحقيقة أن شيئًا ما

قد حدث، أراد أن يكرهني وينتقم لابنه لكنه، لم يتمكن من فعل ذاك أيضًا لأنه بحاجة لإيجاد بول هوبل.

كان يريد رفع بندقيته وتفجير رأسي لكنه قاوم..

- أين ابنك يا كلاينر؟

مرت لحظة سكون رهيبة قبل أن يقطعها كلاينر: أخرجوا هذا الحُثالة من هنا، لو لم تخرج من المكتب خلال دقيقة يا ريتشر سأفجر رأس المحقق الأسود.

وقفت، نظرت لفينلاي وهززت رأسي له، ثم خرجت ومعي بيكارد.

***

الفصل الثلاثون

خرجت أنا وبيكارد وسرنا عبر مخفر الشرطة الخالي، شرطي الاستقبال لم يكن موجودًا، لا بد أن تيل قد أرسله في مُهِمَّة ليخلي المكان تمامًا قبل قدومهم، والآن فينلاي في زنزانة ما وبايكر يحرسه، بينما كل من كلاينر وتيل يجلسان ويخططان ما الذي سيفعلانه بروسكو، نظرت لمكتبها الشاغر وأنا خارج من المخفر، وإلى غرفة الاستجواب التي جلست بها مع فينلاي للمرة الأولى، على يساري كانت آلة القهوة تعمل وتضخ رائحة قوية، خرجنا من المخفر وأشار لي بيكارد أن أذهب للبنتلي وأقودها، امتثلت لتعليماته، قلبي كان يدق بعنف، كنت أقرع للفزع من أي موقف آخر مررت به بحياتي، وحاولت تنظيم التقاطي لأنفاسي والتحكم في التوتر بداخلي دون فائدة، قدت السيارة وبيكارد جواري، استرجعت كل ما تعلمته خلال الثلاثة عشر عامًا في الخدمة العسكرية، ما سأفعله الآن سيتوقف عليه كل شيء، مصير الجميع، كلما قصرت المدة لرد الفعل كلما أصبح لديك فرصة واحدة لفعل شيء، وإلا خسرت كل شيء، وصلنا لمطعم إينو ودلفنا للداخل، بعد أن قلت لبيكارد إني بحاجة لتناول الطعام والقهوة، هذا مطلب ضئيل قبل إعدامي على أية حال، أتت النادلة المبتسمة، الشقراء الجذابة ذات النظارة، ورأيت انعكاس وجهي على نظارتها، طلبت القهوة والبيض، وفردت الخارطة بعدها أمامي وأنا أحاول تخمين

مكان بول هوبل، أمامي فرصة واحدة فحسب لإيجاده وإلا فخسرنا كل شيء، وببطء تسللت أصابعي وخبأت شوكة وسكين الطعام أسفل طرف معطف المتدلي على ذراعي، أتت النادلة بأطباق البيض وسألتني بودية إزاء تفقدي للخارطة..

- هل تخطط لرحلة يا عزيزي؟

- نعم.

قلت بعد أن رفعت ناظري إليها، وشعرت بفوهة بندقية بيكارد تلتصق بي من أسفل المنضدة وأردفت: رحلة لا مثيل لها.. رحلة العمر كله..

رفعت النادلة حاجبيها في حيرة، وهي لا تجد ردًّا مناسبًا، ثم قالت مبتسمة: اعتنِ بنفسك إذن.

وقفت وتركت لها مئة دولار بقشيشًا من أموال تشارلي هوبل، ربما كانت مزورة، لا أعلم، لكنها ستصرفها على أية حال، وأنا أردت إعطاءها إياها، أعلم أن إينو يحصل على ألف أسبوعيًّا مثله مثل أصحاب المتاجر في مارجرايف، لكني لا أعرف بالضبط كم يعطيها كراتب ومن انطباعي عن إينو وكونه وغدًا بخيلًا فلن يكون الرقم سخيًّا..

أخذتِ النادلة البقشيش مندهشة، وقالت: أتمنى أن أراك مرة أخرى هنا يا مستر..

- ربما.

أجبتها ودفعني بيكارد صوب الباب، كانت الرابعة عصرًا، ونحن نخرج من مطعم إينو، ركبت البنتلي وبيكارد جواري، وأدرت وأنا أحاول فهم سبب اختيار بيكارد للبنتلي وليس سيارته، هل لأنها سيارة مميزة الشكل ويسهل تعقبها؟ نظرت في المرأة الخلفية ورأيت سيارة صيدان بها رجلان يتبعاننا؛ إذن فهما فريق دعم بيكارد الاحتياطي للتأكد من سير الخطة على ما يرام..

تنهدت وقدت السيارة.. وتلاحى الطريق أمامنا، بينما الرجلان يتبعاننا في سيارتهما، سألني بيكارد: أين هو؟

كانت تلك أول مرة يتحدث لي بشكل مباشر منذ خروجنا من المخفر، نظرت إليه بطرف عيني وأنا أدير المقود وأجبته: لا أمتلك أدنى فكرة، أفضل ما يمكنني فعله هو الذهاب لصديق لبول في أوجوستا.

- من هذا الصديق؟

- رجل يدعى لينون.

- في أوجوستا؟

- نعم، أوجوستا هي وجهتنا القادمة.

أطلق بيكارد صوتًا منزعجًا..

- ألا تعتقد يا ريتشر أننا نفتقد أشياء كثلك؟

-.....

- لا تحاول أن تعبث معي يا ريتشر، كلاينر لن يعجبه لو حاولت العبث، سيزيد هذا من سوء الأمر بالنسبة للمرأتين، صدقني أنا رأيت ما يفعله كلاينر، سوف يمزقهم إرْبًا ببطء بعد أن يغتصبهما بأكثر الطرق وحشية..

- متى رأيته وهو يفعل هذا؟

- عدة مرات، مثل ما حدث يوم الأربعاء في المطار مع تلك المرأة، ما كان اسمها؟ مولي بيث، كانت من النوع الذي يصرخ كثيرًا، وقد استمتع كلاينر بهذا وهو يمزق معدتها، ومثل يوم الأحد في منزل ماريسون.. لقد أحب كلاينر الأمر جِدًّا، هو وابنه، الحقيقة أنك أسديت معروفًا للعالم بقتلك لابنه، كان عليك رؤية الانتشاء على وجهه يوم الأحد وهو يجبر زوجة ماريسون على التهام بقايا زوجها، لقد أعطينا رجلي الشرطة إجازة من تلك المهمة، لم يبدُ الأمر لائقًا أن يقتلا رئيسهما، ولذا جئت أنا وكلاينر مكانهما مع الابن، كلاينر ساديٌّ جِدًّا، لذا توخَّ الحذر، لو حاولت العبث فلسوف تكون العواقب وخيمة.

تذكرت رؤية ابن كلاينر يوم الأحد وهو ذاهب ليقتل زوجة أبيه، ويحدق بي، كان قد عاد للتو من بيت ماريسون وزوجته..

سألت بيكارد: هل كلاينر هو من قتل أخي؟

- نعم، قتله ليلة الخميس بسلاحه عيار ٢٢ المزود بكاتم للصوت.

- وبعدها قام ابنه بضرب الجثة وتهشيم عظامها؟

- نعم، الفتى كان مخبولًا بحق..

- ومهمة ماريسون كانت تنظيف مسرح الجريمة؟

- نعم، كان المفترض أن تكون تلك هي وظيفة هذا الوغد المهمل، أن يحرق الجثث والسيارة، لكنه لم يستطع إيجاد جثة ستولر، فترك جثة جو مكانها ورحل.

- وكلاينر قتل ثمانية رجال في لويزانيا؟

- هاها، ما نعرفه هو هذا الرقم، ثمانية، لكني أتوقع أن هناك أكثر.. هذا المحقق اللعين، سبيرانزا، كان يحاول الإيقاع بكلاينر لأعوام وظل يبحث عن القاتل الأجير الذي يعمل لدى كلاينر وينفذ تلك المهام، لهذا لم يتمكن سبيرانزا من الوصول لشيء، لم يكن هناك قاتل أجير، كلاينر يحب تنفيذ تلك المهام بنفسه كنوع من الهواية، هوايته هي القتل..

- أنت تعرف كلاينر منذ هذا الحين؟

- أنا كنت دومًا أعرف كلاينر، ولذا ألحقت نفسي بفريق عمل سبيرانزا لأتأكد من أنه لن يصل لكلاينر أبدًا.

نظرت للمرآة الخلفية، السيارة لا تزال تتبعنا..

- هذا الرجل، لينون، لن يتضح أنه عميل آخر يعمل لدى أخيك المُتوفى يا ريتشر؟

- لينون صديق بول هوبل.

- هذا هُراء، لقد تفقدنا أصدقاء هوبل وهو لا يمتلك أصدقاء في أوجوستا بهذا الاسم، الحقيقة أن هوبل اللعين لا يمتلك أصدقاء على الإطلاق، لقد كان يظن أن صديقه الوحيد في العالم هو كلاينر بعدما أعطاه وظيفة جديدة بعد تسريحه من المصرف اللعين.

وضحك بيكارد لسخرية الأمر، واهتز جسده العملاق، قلت له: مثلما اعتقد فينلاي أنك صديقه أليس كذلك؟

- أنا حاولت إقصاء فينلاي عن مارجرايف، لكنه أصر على المجيء والعمل كرئيس المحققين في تلك البلدة الشؤم، ما الذي يجب أن أفعله؟ أُهدر حياتي من أجله؟

بدلًا من أن أُجيبه قلت له: نحن بحاجة لوقود.

نظر بيكارد للمؤشر الذي صدَّق على كلامي..

توقفنا عند محطة وقود بجانب استراحة تدعى «ماديسون».. كانت المحطة خالية من السيارات، قلت لبيكارد: هل بإمكانك ملء الخزان؟

- تبًّا لك، أنا لست بخادمك اذهب واملأه بنفسك.

كانت تلك هي الإجابة التي أبتغيها، خرجت من السيارة، وكذا فعل بيكارد من ناحيته، وتوقفت الصيدان على مقربة منا وخرج منها الرجلان، نظرت إليهما، كانا الرجلين نفسيهما اللذين هربت منهما في نيورك بعد لقائي

بالبروفسير كيلستاين، هززت رأسي بسخرية لهما، لديهما أقل من ساعة باقية لهما في هذا العالم على أية حال، أتيا هما الاثنان ووقفا جوار بيكارد.

وقفا ينظران إليَّ وأنا أملأ الخزان بالوقود، فكرت أن أصفِّر وأنظر للسماء لأفقدهما اهتمامهما بي، ثم انحنيت كأني أحك ساقي، وسللتُ سكين مطعم إينو من طرف ذراعي، وغرزته في إطار السيارة، ألحقت هذا بالشوكة لأوسع الفتحة في الإطار، وواصلت ضخ الوقود، ثم انتهيت وأعدت المضخ مكانه، واتجهت للسيارة..

- انتظر.

قالها بيكارد، ووقفت منتظراً حتى عاد الرجلان للصيدان وأدارا المحرك، ركبت مع بيكارد البنتلي بعدها وتحركنا، كنت أحسب المسافة لأجوستا في عقلي، وأتوقع نفاد الهواء من إطار السيارة.. بعد عشرين ميل نفد منه الهواء تمامًا..

كانت الساعة حينئذ السابعة والنصف، والليل يخيم علينا.. تأرجحت بنا السيارة فجأة مع صوت الإطار المزعج فهتفت: تبًّا.. الإطار فرغ..

- أوقف السيارة..

قالها بيكارد ببطء..

خرجنا من السيارة وكذا فعل الرجلان اللاتينان بعدما

أوقفا سيارتهما جوارنا، كانت هناك أعمدة إنارة قوية تضيء الطريق السريع المكتظ بالسيارات فائقة السرعة، أخرج بيكارد سلاحه وصوبه إليَّ من أسفل سترته في حين ذهبت أنا للصندوق الخلفي وفتحته، وقف بيكارد جواري ونظر مندهشًا لصندوق الأموال المزورة الخاص بستولر وقال ضاحكًا: لقد أحرقنا المرآب الخاطئ!

لم أعلق، كنت أنظر للإطار الاحتياطي، وقلت لبيكارد متسائلًا: هل ستساعدني في حمله؟

- كلا، الرجلان قصيرا القامة هما اللذان سيفعلان هذا ويغيران الإطار.

قالها بيكارد وتحدث مع الرجلين معطيهما الإرشادات، تراجعت للخلف وهما يحملان الإطار ويأخذان مفكًا من سيارتهما ليبدآ عملية التبديل، عندها تركت سكين مطعم إينو تنطلق حرة مرة أخرى في يدي وهويت بها على وجه بيكارد الذي تراجع للخلف مطلقًا سَبَّة، وهو يرفع يده الممسكة بالسلاح، انحنيت بسرعة ومزقت صندوق نقود ستولر بالمُدية ثم رفعته عاليًا وأفرغت محتوياته في الهواء وأمام عيني بيكارد المذهولتين تطايرت آلاف الدولارات وسط زحام الطريق السريع وأنواره الساطعة، انطلقت رصاصة من أحد الرجلين اللاتينين لكني كنت انبطحت بسرعة خرافية، ورميت السكين بكل قوة لتستقر في كتف الرجل، الآخر كان يطلق الرصاص اتجاهي بلا توقف وأنا أختبئ خلف السيارة، هم يعتقدون أني بلا سلاح،

تلك كانت غلطة بيكارد الكبرى، اختيار البنتلي دون أن يفتشها، مددتُ يدي المرتجفة من تدفق الأدرينالين والتقطت صقر الصحراء من الصندوق الخلفي ثم نمت أرضًا وأطلقت رصاصة أطاحت بقدم الرجل الذي صرخ وسقط أرضًا لتستقر رصاصة أخرى في منتصف جبهته، قبل أن تطيح بها وتناثر دماؤه مع أجزاء من جمجمته ومخه، الوغد الآخر كان قد قفز على السيارة ومد يده مصوبًا السلاح ناحيتي، في اللحظة نفسها كان القوم قد ترجلوا من سياراتهم في فوضى وهم يحاولون التقاط الدولارات، الفوضى والجنون قد حلا بالطريق السريع، وأتت شاحنة سريعة تجاهنا متفادية سيارة توقفت فجأة، واصطدمت الشاحنة بمؤخرة السيارة بينما السائق يضغط المكابح في اللحظة نفسها التي كان يهم فيها الرجل بإطلاق الرصاص، ارتد جسده مع قوة دفع ارتطام الشاحنة بالسيارة وسقط أرضًا ليعتدل بسرعة ليجدني منبطحًا أمامه وصقر الصحراء في يدي، اخترقت الرصاصة منتصف صدره فطار للوراء، ثم سقط جثة صريعة، كنت أعلم أن بيكارد على الناحية الأخرى من السيارة ممسكًا بسلاحه عيار ٣٨ ويصوبه تجاهي، فعلت المثل، ثم صحت: أنت بحاجة إليَّ يا بيكارد، لن تجد بول هوبل بدوني..

- وأنت بحاجة إليَّ يا ريتشر، لو لم أتصل بكلاينر سيموت كل من فينلاي وروسكو..

- إذن لن نقتل بعضنا البعض، هدنة؟

- أرني سلاحك وسأريك سلاحي، لنأخذ هدنة ونتوصل لحل ما، لا يزال بإمكاننا الخروج سالمين من هذا الموقف.

هززت رأسي دون أن يراني وقلت: حسنًا.

رفعت يدي الممسكة بالمسدس ببطء وكذا فعل، ثم وقف كل منا بحرص وحذر، واخفض كل منا سلاحه، وتحركنا للأمام نحو السيارة بنية الابتعاد عن الفوضى الحالية، كان بيكارد صادقًا، لم يكن ليطلق الرصاص بعد اتفاقنا الأخير، لكني كنت أكذب، ورفعت صقر الصحراء لأطلق رصاصة صوب جدار معدة بيكارد الذي طار جسده للخلف وسقط أرضًا، ثم ركبت البنتلي دون أن أنظر إليه وانطلقت بها مبتعدًا بسرعة قصوى..

كنت أرتجف من تدفق الأدرينالين داخل جسدي، لكني ضحكت ولوحت بيدي وصحت في انتصار، لقد قتلت بيكارد!

***

الفصل الحادي والثلاثون

وصلت لأوجوستا في قلب الليل، وركنت البنتلي عند أول فندق قابلته بعدما مررت بالأحياء الفاخرة بها، دخلت الفندق، رفع موظف الاستقبال رأسه مبتسمًا..

- كيف يمكنني مساعدتك؟

- أريد غرفة من فضلك.

- بالتأكيد، لدينا تلفاز موصل بالقنوات الفضائية، ومكيف هواء ساخن، وإفطار..

- رائع، هل لديكم دليل هاتف في الغرفة؟

- نعم.

- وخارطة لأوجوستا.

أشار الموظف بيده إلى صندوق جوار علب لفافات التبغ على الرف به عدة نسخ من خرائط أوجوستا، التقطت واحدة بيدي ومفتاح الغرفة بالأخرى، ثم نقدت الموظف ماله واتجهت للمصعد، لم يصعد الحمال معي لأني بلا أمتعة، دخلت الغرفة وأغلقت الباب من خلفي، ثم دون أن أكلف نفسي عناء تفقد الغرفة اتجهت للهاتف وأمسكت بالدليل، بحثت عن حرف الفاء، ووصلت لفنادق أوجوستا، كان هناك ثمانية عشر فندقًا، أحدها هو الذي أُقيم به في تلك اللحظة، رفعت السماعة وضغطت رقم صفر فتم تحويلي للاستقبال، سألت الموظف: أريد التحدث مع

النزيل بول لينون.

بحث قليلًا في دفاتره وقال: لا يوجد لدينا نزيل بهذا الاسم.

شكرته وأنهيت المكالمة ثم تنهدت وبدأت -بالترتيب- الاتصال بالفنادق في دليل الهاتف..

الفندق الأول..

- أريد التحدث مع النزيل بول لينون..

صمت وبحث في السجلات..

- لا يوجد لدينا نزيل بهذا الاسم.

الفندق الثاني..

- أريد التحدث مع النزيل بول لينون.

رد سريع وفوري: لا يوجد لدينا نزيل بهذا الاسم.

مرت ساعة، خمسة عشر فندقًا بلا بول لينون.. اتصلت بالفندق السادس عشر.

- أريد التحدث مع بول لينون.

- نزيل؟

- نعم.

بحث في السجلات، ثم: لا يوجد لدينا نزيل بهذا الاسم.

تنهدت واتصلت بالفندق السابع عشر..

- أريد التحدث مع النزيل بول لينون.

صمت.. بحث..

- سيتم تحويلك الآن لغرفة ٢٠٢.

أنهيت المكالمة وتحركت صوب الفندق بعدما أخذت عنوانه من الدليل، كان على بُعد ثلاثة شوارع من موقعي الحالي..

دخلت الفندق وسألني الموظف في الاستقبال: هل أستطيع مساعدتك؟

- كلا.

قلتها ودخلت دون انتظار رد فعله وصعدت السلالم، بحثت حتى وجدت الغرفة ٢١٢..

طرقت الباب وطفقت أنتظر، انفتح الباب فقلت: مرحبًا يا هوبل..

قال لي بول هوبل: مرحبا يا ريتشر..

***

كان لديه الكثير من الأسئلة، لكني لم أترك له فرصة سؤالها، فقد سحبته على الفور خارج الغرفة وإلى السيارة، كان يبدو مختلفًا تمامًا، مرتديًا ملابس رخيصة ابتاعها من متجرٍ ما، لقد كان يعدو ويهرب لستة أعوام، وهذا قد غير من طاقته النفسية كذلك، بدا أكثر صلابة وتماسكًا،

بدا لي شكله كنجار يوشك على تصليح خزانة ثيابك، رأيته ينظر لباب الغرفة وأنا أجذبه، كأنه سيفتقد حياة الترحال والهروب بشكل ما، والسفر دون أمتعة، وسألني في دهشة بعدما خرجنا من الفندق: أنت أتيت بسيارة تشارلي؟

- هي كانت قلقة عليك وطلبت مني إيجادك، وأعطتني السيارة.

كان يركب السيارة عندما سأل: هل طليت الزجاج بالأسود؟

أجبته مبتسمًا: تلك قصة طويلة.

لم أُرِد إضاعة الوقت الحالي في الحديث معه، أمامنا أربع ساعات في طريق العودة بإمكاننا تبادل كل الأحاديث خلالها، لكني كنت بحاجة للساعتين الإضافيتين قبل السادسة صباحًا، المكالمة التي نتوقف عليها حياة فينلاي، تعبير وجه هوبل كان خليطًا من أشياء عدة، جزء منه كان مرتاحًا لأن حياة الهرب قد انتهت أخيرًا، لا مزيد من القلق والتوجس والنظر خلف كل ركن، لكنه لم يسألني عن أحوال تشارلي لأن عقله كان محمومًا بالتفكير بشيء آخر ألا وهو كيفية إيجاده، لقد خدشت كبرياءه بشكل ما، وقد رأيت نظرة تحفظ على وجهه عندما فتح باب الغرفة، سألني هوبل ونحن في السيارة المسرعة التي تنهب إطارتها الطريق: كيف وجدتني؟

- كان الأمر سهلًا، لَدَيَّ خبرة في إيجاد الهاربين من

التجنيد إبان وظيفتي السابقة، لقد قضيت أعوامًا وأنا أصطادهم وأقتفي آثارهم.

كنت أزيد من سرعة السيارة قاطعًا شوارع أوجوستا لأصل للطريق السريع عندما سأل هوبل مجددًا: لكن كيف بالله عليك؟ أنا لم أترك أي أثر، كان من الممكن أن أكون في أي مكان..

- كلا، أنت لم تمتلك بطاقة ائتمانية، ولا رخصة قيادة، كل ما امتلكته هو النقدية؛ لذا أنا كنت أعلم أنك لن تؤجر سيارة، ولن تسافر بطائرة، أنت استقللت الحافلة.. بعدها وضعت نفسي مكانك، تقمصت وجهة النظرية النفسية، أنت مرتعب، وتخاف على عائلتك؛ لذا فأنت ستحتفظ بنفسك على مسافة قريبة من مارجرايف، لتشعر أنك لا تزال قريبًا منهم، ربما كان قرارًا قادمًا من لاوعيك.. أنت استقللت سيارة أجرة من مارجرايف لأطلانطا أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، أول حافلة من أطلانطا كانت متجهة لممفيس، لكن ممفيس بعيدة للغاية عن مارجرايف ولذا انتظرت الحافلة التالية.

- هذا ما جعل الأمر سهلًا، أعني إيجادك، أنت لم تكن قريبًا للغاية ولا بعيدًا جِدًّا عن مارجرايف، كنت تدور حولها، هذا ما خمنته، وبمساعدة الخريطة توقعت أنك ذهبت لبيمينجغام في ألاباما يوم الاثنين وبعدها

مونتجمري، ثم قضيت الأربعاء في كولومبس، كان من الصعب تخمين مكانك يوم الخميس لكني قامرت بماكون، لأني شعرت أن ماكون قريبة للغاية من مارجرايف..

- نعم، يوم الخميس كان كابوسًا حقيقيًّا، لقد ذهبت لماكون بالفعل، كنت أصارع القلق ولم أستطع النوم..

- ولذا صباح الجمعة تحركت بسرعة وأتيت لأوجوستا، مقامرتي التالية كانت أنك قد قضيت ليلتين في أوجوستا؛ لأن ماكون قد استنزفت طاقتك، لم أكن متأكدًا، وكدت أذهب لجرينفيل الليلة، في جنوب كارولاينا، لكني حِدت عن تلك الفكرة وذهبت لأوجوستا، وقد اتضح أنه تخمين صحيح.

صمت بول، كان يعتقد أنه الرجل الخفي، يحلق حول مارجرايف في الظلام..

- لكني استخدمت اسمًا مزيفًا يا ريتشر..

- أنت استخدمت خمسة أسماء مزيفة لخمس ليال في بقاعٍ مختلفة.. والاسم الخامس المزيف كان هو الاسم نفسه الأول أليس كذلك؟

صاح بول بذهول: كيف تسنى لك معرفة كل هذا؟

- كما قلت أنا كنت أصطارد الهاربين من التجنيد، كما أني أعرف بعض الأشياء عنك.

- مثل ماذا؟

- أنت تحب فريق البيتلز، وقد أخبرتني بشأن زيارتك لمبنى داكوتا وليفربول في إنجلترا، أنت مهووس بالبيتلز، والأماكن التي ذهبوا وغنوا بها أو زاروها، كما أن كل أسطواناتهم قابعة في منزلك، ولذا في أول ليلة استخدمت اسم لينون.. ولكن ليس جون لينون فهذا سيبدو أمرًا واضحًا للغاية، ولذا احتفظت باسمك أنت وأخذت الاسم الثاني لأهم عضو في الفريق.. بعدها اتخذت اسم المغني بول مكارثي، وبعده بول هاريسون، هذا كان الثلاثاء والأربعاء، يوم الخميس أصبحت بول ستار، وبعد انتهاء أسماء الأعضاء الأربعة للفريق عدت لنقطة البداية، بول لينون، أنت مشيت بنفس ترتيب أعمارهم السنية.. بعد اختيارك لجون لينون..

- لكن هناك مئات الفنادق في أوجوستا.

- أنت أتيت هنا -لأوجوستا- من الغرب، أمثالك يذهبون لأماكن اعتادوا رؤيتها، هذا يزيد من شعورهم بالأمان، رحلتك من ماكون استغرقت أربع ساعات، ووصلت لأوجوستا وأنت مرهق ومتصلب الجسد، ولا توجد معك سيارة، لذا سرت قليلًا، ثم ذهبت لأول فندق وجدته في غرب أوجوستا، ولا يوجد سوى ثمانية عشر فندقًا في غرب أوجوستا.. أنت كنت بالفندق السابع عشر..

هز هوبل رأسه بمشاعر مختلطة ثم سألني: ما هي أخبار مارجرايف؟

كان هذا السؤال المهم وقد سألني إياه بتوتر، وشعرت أنا بالتوتر نفسه بينما أفكر في إجابة، ثم أبطأت من سرعة السيارة وحكيت له كل شيء بالترتيب، أخبرته أننا أرسلنا عائلته مع المباحث الفيدرالية، وأن العميل المسؤول عنهم هو بيكارد، بدأ هوبل يتخبط وينفعل عند تلك الجزئية، حكيت له كل ما حدث بالتفصيل وأتممت بالقول: نحن في مأزق بشع ولا يوجد لدينا الكثير من الوقت.

- لكنك ستستعيد عائلتي أليس كذلك؟

- بلى، لكني بحاجة لمساعدتك؛ لهذا جلبتك معي.

- سوف أساعدك بالطبع.

ثم أردف: أنا آسف بشأن أخيك، لم أكن أعلم حينئذٍ، آسف، أنا تسببت بقتله.

لم أعلق، ثم قلت: كيف تورطت في كل هذا يا هوبل؟

ابتسم بمرارة، وسند رأسه على زجاج النافذة مجيبًا: كنت ساخطًا وغاضبًا بعدما فقدت وظيفتي، وخائفًا في الوقت نفسه، أنا وعائلتي كنا نحيا الحلم الذهبي، وقد شعرت أن كل هذا سوف يسلب منا، ولم أستطع مصارحة تشارلي بالكارثة، كنت تائهًا في الظلام.

- وظهر كلاينر بعدها؟

أومأ بول بوجهٍ شاحب.

- أظن أن تيل أخبره بشأن ما حدث لي، تيل يعرف كل شيء، اتصل بي كلاينر بعد يومين، وطلب مقابلتي عند المطار، كان في طائرته الخاصة، عائدًا من فزنويلا، وأخذني لجزر الباهاماز في الطائرة لتناول الغذاء ونعود بعدها لمارجرايف في اليوم نفسه، كنت أشعر بالإطراء من كل تلك الأجواء الفاخرة.

- وما الذي حدث بعد ذلك؟

- أخبرني بالكثير من الهُراء عن انتهاز الفرص والبدايات الجديدة، وأني سأحظى بوظيفة حقيقية معه وسأجني الكثير من الأموال، كنت قد سمعت عن كلاينر وثروته الهائلة واسم عائلته، لكني لم أقابله من قبل، كان رجلًا ثريًّا وناجحًا جِدًّا، وشديد الذكاء، لا تتخيل مقدار ذكائه يا ريتشر، وها أنا ذا كنت أجلس معه في طائرته الخاصة عائدين من رحلة لا مثيل لها من جزر الباهاماز، والآن هذا الرجل يطلب مني العمل معه، كنت مبهورًا وبائسًا وقلقًا من المستقبل ولذا وافقت.

زفر هوبل وأكمل: أرسلني لأقضي أسبوعًا في مكتب المحامي، اليوم الأول كان ممتلئًا بالإغراءات، مضيت على عقد به راتب مذهل، وامتيازات عدة، اليوم الثاني كان صعبًا، العمل كان تقنيًّا للغاية ويختلف عن مهامي السابقة بالمصرف،لم أفهم السبب حينئذٍ، لكنه أراد دولارات، فئة فردية، وبعد انتهاء الأسبوع كنت قد عرفت الكثير وتورطت بالفعل، ولم يعد باستطاعتي الخروج من الأمر.

تنهد هوبل وهو يستعيد ذكرى ما سوداء وقال: اتصل بي كلاينر في اليوم الثالث، وأخبرني بحقيقة ما يجري في منظمته بكل بساطة، وأني الآن مثله أمارس النشاط نفسه، رفضت وقلت له: إني أريد الاستقالة، فقدم وأخذني لمكان بشع، مخزن مظلم، ابنه كان هناك ورجلان لاتينيان، ورجل مقيد الأوصال، قام ابنه بضربه، ثم أخرج الرجلان السكاكين ومزقوا جسد الرجل المسكين، نظر لي كلاينر بعدها وهمس: هذا ما يحدث لمن يريدون الاستقالة، كان الأمر كابوسًا حقيقيًّا.

صمت بول فشجعته على الكلام ليكرر: كان الأمر كابوسًا حقيقيًّا، لم أستطع النوم تلك الليلة، وشعرت أني لن أنام مرة أخرى في حياتي، هذا الشيطان، كلاينر، يستمتع بالسيطرة على حياتك، بعد انتهاء الأسبوع التقى بي وقال لي إني لو لم أكن مطيعًا فلسوف يمزق تشارلي مثل الرجل الذي كان في المخزن، لقد كان يناقش الأمر معي، أي جزء من جسدها سيقطعه الأول، وما الذي سيفعله بالأطفال بعد ذلك، وكيف أنه سيقيدني ويصلبني على الحائط ويقطعني، وأني سأظل حيًّا وأنا أرى تشارلي تبتلع أجزاءً من جسدي، كدت أموت هلعًا، بعد ذلك أصر على اصطحابي للعشاء مع تشارلي، وكانت الأخيرة مبتهجة لأنها تعرف أن كلاينر أهم رجل أعمال في المنطقة، وأخبرها هو أننا نعمل سويًّا، وظل يسأل عن الأطفال وعنها كأنه يؤكد تهديده، بعدها بدأت العمل من المخزن،

حيثما أرادني كلاينر، أدير المخزون من مكتب صغير هناك، وأرتب عملية الحصول على الدولارات وأُشرف على الحمولات والتحميل..

- شيرمان ستولر كان السائق؟

- نعم، كنت أرسله بحمولة فلوريدا، أحيانًا أرسل الحارس مكانه لو غاب في إجازة أو شيء كهذا، لكن في المعتاد كان ستولر هو السائق، ضغط العمل كان متزايدًا ولا وقت لالتقاط أنفاسك.. كأنك تحاول تفريغ حمام سباحة من الماء بملعقة..

- وشيرمان كان يسرق منهم؟

- نعم، لقد كانوا يعدون الأموال مرة أخرى في فنزويلا بناءً على تعليماتي وقارنت أرقامهم بقوائمي المالية، ولم يكن هناك تفسير للعجز سوى أن ستولر كان يحتفظ لنفسه بصندوق أو اثنين، حاولت أن أحذره، لم أكن لأشِي به بالطبع، فقط حذرته ووصيته أن يتوخى الحذر لأن كلاينر سيقطع رأسه لو اكتشف ما الذي يحدث، وربما أتورط أنا في مشكلة أيضًا بسبب تلك السرقات، الأمر كله كان جنونًا مطبقًا.. كلاينر يستورد الأموال المزيفة وتيل يبعزقها في البلدة..

- ثم توقفتم لمدة اثني عشر شهرًا..

- بسبب حملة خفر السواحل، وقرر كلاينر الاعتماد على المخزون لأنه يعلم أنه عاجلًا أم آجلًا ستتوقف حملة خفر

السواحل بعد انتهاء ميزانيتهم، كان عامًا صعبًا مشحونًا بالتوتر، والآن أخيرًا سينهي خفر السواحل حملتهم.

- متى تواصلت مع جو؟

- جو؟ أهذا هو اسمك أخيك؟ كنت أعرفه باسم بالو.

- بالو هو اسم المستشفى التي وُلد بها منشأة عسكرية بالقرب من لياتي بجزر الفلبين.. كانت كنيسة قديمة تم تحويلها لمستشفى، جو كان بارعًا في اختيار أسمائه المستعارة.

صمت هوبل احترامًا لذكرى جو، ثم أردف: اتصلت بوزارة المالية منذ عام لأني لم أعلم بمن أتصل، ماريسون شرطي؛ وبالتالي لا أستطيع الاتصال بهم، وبيكارد عميل فيدرالي؛ وبالتالي الشيء نفسه ينطبق على المكتب الفيدرالي؛ ولذا اتصلت بواشنطن، وفي النهاية تواصل معي بالو، أخوك، جو، كان ذكيًّا للغاية وبارعًا كما قلت أنت، وخُطته كانت ضربهم إبان مرحلة التخزين، كنت واثقًا من أن خُطته ستنجح..

أوقفت السيارة عند محطة وقود، وملأ بول الخزان في حين ذهبت أنا والتقطت زجاجة بلاستيكية من سلة المهملات ملأتها بالوقود كذلك وعدت للسيارة، نظر بول للزجاجة وسألني: لماذا؟

- خُطَّة احتياطية.

تابع بول حكايته بعدما تحركت بالسيارة: اتصل بي كلاينر بعد ذاك وأمرني بأن أربض في البيت، وأن هناك رجلين قادمان لي، عندما سألته عن السبب قال إن هناك مشكلة قد وقعت في فلوريدا وأن عَلَيَّ حلها.

- لكن؟

- لكني لم أصدقه، فور أن سمعت كلمة رجلين تذكرت اللاتنيين والرجل المعلق كالذبيحة في جاكونسفيل فهربت فورًا، واستقللت أول سيارة أجرة وجدتها.

- جيد، خطوة ذكية، أنت أنقذت حياتك.

على الناحية الأخرى نظر كلانا لعربتي إسعاف وشرطة، وحاجز أمني في منتصف الطريق المؤدي لأوجوستا، هناك شاحنة اصطدمت بسيارة صيدان، وجثث، صفرت وواصلت القيادة، بينما قال بول: هل تعلم أنه لو كان قد قال هناك رجل قادم لك لما كنت هلعت، أو لو أخبرني أن أبقى بالمنزل فحسب، لكن عندما قال رجلان..

- كانت تلك غلطة منه.

- أعلم، وهذا ما أتعجب منه، كلاينر نادرًا ما يرتكب أخطاء.

هززت رأسي وقلت: لقد ارتكب أكبر غلطة في حياته ليلة الخميس عندما قتل جو.

***

تحركتْ عقارب الساعة الموصلة في سيارة هوبل لتشير للثانية عشرة، إنه منتصف الليل، أنا بحاجة للانتهاء من كل شيء عند الخامسة صباحًا، وهذا يترك لي خمس ساعات بالضبط، وحينئذ سيتبقى معي ساعة إضافية.. لو مرت الأمور بشكل جيد، فلسوف تتساوى الخمس ساعات بالخمسة أعوام ولن يكون هناك فارق لأي شيء.. في الجيش اعتدنا اقتباس القول المأثور: افعلها مرة واحدة ولكن بشكل صحيح.. واليوم سأضيف لهذا القول: وافعلها بسرعة..

- هوبل.. أنا بحاجة لمساعدتك.

- كيف؟

قالها وهو يعتدل لينظر إليَّ..

أمضيت عشر دقائق وأنا أشرح له خُطتي مرارًا وتكرارًا حتى تأكدت من أنه قد استوعبها تمامًا، وصلنا لمارجرايف أخيرًا، وقد كانت كل المنازل مطفأة الإضاءة عدا متجر الحلاق، مخفر الشرطة كان مظلمًا، تحركت بالسيارة ببطء بعد أن أطفأت المصابيح الأمامية، في البدء مررنا بالمخزن، ومنه لمخفر الشرطة، مرورًا بمطعم إينو، ثم وصلنا لشارع بيكمان، وتوقفت بالسيارة أمام منزل هوبل.

قال لي: سيارتي بالداخل في المرآب.

- هي مفتوحة.

نظر لي، ثم ترجل من السيارة، واتجه لمنزله، ثم وبحذر دفع باب المرآب بإصبعه كأن هناك قنبلة معلقة خلفه، دلف هوبل للمرآب، واختفى قليلًا قبل أن يعود حاملًا لشيء في يده، وقال لي فور أن وصل للسيارة: المنزل كله في حالة مزرية، دعك من حال المرآب والسيارة كذلك، ما الذي حدث؟.. كان يتحدث وهو يميل بجسده ليدلف للمقعد، أجبته فور أن استقر بجسده جواري: لقد استخدمت منزلك كمكان لنصب شَرَك، وقتلت خمسة رجال فيه.. اتسعت عينا بول وتمتم: هل.. هل هم الرجال الذين تحدث عنهم كلاينر معي؟.. كان بول يقصد تهديد كلاينر، أومأت برأسي: نعم، هم.. ابتلع بول ريقه، لقد رآهم في كوابيسه عدة مرات، وقضى فترة يعاني الرعب بسببهم، والآن يعلم أنهم حقيقيون، وقدموا لمنزله.. وأنهم موتى، نظرت لبول وتساءلت بذهني في دهشة كيف كنت أكره هذا الرجل ولا أطيقه منذ ثمانية أيام.

قمت بتعمير صقر الصحراء، بعدما أخذت الرصاصات من بول الذي أحضرها من المرآب بدوره، واستبدلت الرصاصات الأربع التي أطلقتها قرابة أوجوستا، ونظرت لهوبل ثم سألته: مستعد؟

- نعم.

- هيا بنا إذن.

ذهب هوبل للمرآب وعاد تلك المرة وهو يقود سيارته،

تبعته بالبنتلي، ها نحن ذا في سيارتين نتحرك وسط عتمة البلدة، متجهين للمعركة.

توقف هوبل بسيارته على بعد أربعين مترًا من مخفر الشرطة المجاور لمبنى الإطفاء، ركن السيارة في المكان الذي وصفته له، وأطفأ أنوار سيارته وترك المحرك يدور، هواء الليل بارد والصمت مُوحِش، بينما أنا أسير منبطحًا بعدما خرجت من السيارة قابضًا على صقر الصحراء في يدي، حبست أنفاسي وأنا أعدو صوب مخفر الشرطة ويدي تتأكد من أن زِرّ الأمان في المسدس ليس في وضعية التفعيل، ألصقت ظهري بجدار المخفر، ولمحت البنتلي التي تركتها مفتوحة الأبواب بمحرك يدور استعدادًا لهروب سريع، قمت بعملية حسابية سريعة في ذهني، مخفر الشرطة ومبنى الإطفاء كلاهما في شمال الشارع العمومي، وعلى امتداد الشارع يقع مطعم إينو على بعد مئة متر؛ وهذا يعني أن بعد حدوث الضوضاء المدة التقريبية لوصول أي أحد إلينا هي ثلاث دقائق، دقيقتان للاستيعاب وأخذ قرار، ثم دقيقة جري للوصول إلى هنا، والآن لنقسم لهذا الوقت من أجل زيادة فاعلية الأمان، وسيكون لدينا تسعون ثانية، عدلت قامتي ولوحت بيدي لهوبل.. بالإشارة المنتظرة.

تحرك هوبل بسيارته، أضاء الأنوار وتعالى صوت المحرك، ثم أصدرت الإطارات صريرًا عاليًا، بينما السيارة تندفع بشكل عكسي لتحطم باب مدخل مبنى الإطفاء،

وتقتحمه، ودخلت خلفه المبنى بسرعة حتى وجدت ما أبحث عنه فأخذته، بينما اندفع بول بالسيارة للأمام، بعد أن تحطمت خلفيتها، وأدار المقود ليستقر بسيارته أمام مبنى الشرطة، لوحت بيدي..

انطلق هوبل بالسيارة بسرعة قصوى، دوَّى المحرك وصرختِ الإطاراتُ عندما انطلقت السيارة بوجهتها الأمامية تلك المرة، صوب مخفر الشرطة، لِتَعْتَلِي السلالم بقوة دفع مُذهلة وتُهشِّم الباب الأمامي بزجاجه، ويقتحم هوبل مخفر الشرطة بسيارته.. اندفعت السيارة وسط المخفر بعد أن هشمت مكتب الاستقبال والمكاتب الخلفية، وتطاير الخشب والزجاج في كل صوب، ثم توقف بول بالسيارة في منتصف المخفر بجانب غرفة الاستجواب، دخلت خلفه مسرعًا ورأيت فينلاي، وقد تجمد مكانه كأن صاعقة قد أصابته، كان مقيدًا من الرُّسغ الأيسر بالقضبان، دفعت حطام المكتب بساقي وسرت للأمام، وأشرت لهوبل الذي تراجع بالسيارة للمساحة الخالية التي أفرغتها له للتو، الجزء الأمامي من سيارته كان مهشمًا مثل الخلفي الآن، حملت الحطام وأفسحت له مجالًا كي يستدير بالسيارة، كان هناك سائل أخضر يتدفق من مقدمة السيارة، الأضواء مهشمة، وهناك خشب طاعن في الإطار الأيمن، لكن هوبل كان ينفذ الخُطَّة بالحرف، ويحتفظ بقوة المحرك لتلك اللحظة، كانت السيارة تهتز مكانها من ضغط المكابح وقوة المحرك، ثم اندفعت السيارة بكل قوتها

من الجهة الخلفية تلك المرة صوب زنزانة فينلاي لترتطم بها بقوة عاتية، وتهشم قضبان التيتانيوم، وانفجر الغطاء الأمامي للسيارة مع قوة الارتطام، واختلط الهواء بعادم السيارة التي توقف بها هوبل على بعد عدة خطوات من فينلاي.

تحركت بسرعة للزنزانة وهويت بالفأس التي أخذتها من مبنى الإطفاء، وهويت بها ثلاث مرات بكل قوة على أصفاد فينلاي حتى تهشمت ثم أعطيته الفأس، في اللحظة نفسها كان بول يتسلق خروجًا من نافذة السيارة، بعدما انبعج الباب وأبى أن ينفتح، ساعدته في الخروج ثم عدونا نحن الثلاثة خارجين من المخفر، وقفزنا في السيارة مفتَّحة الأبواب، وانطلقنا مبتعدين، فينلاي أصبح معنا الآن، ولم تستغرق عملية التهريب أكثر من تسعين ثانية.

***

الفصل الثاني والثلاثون

استلقى هوبل على الأريكة الخلفية مرتجفًا وهو يحاول التحكم في انفعالاته، بينما صمت فينلاي كالحجر وهو جالس أمامي، كان ثلاثتنا يتنفس بصوتٍ عالٍ، نظرت للساعة في السيارة، الواحدة صباحًا، والحقيقة هي أني أردت الانتظار للرابعة فجرًا قبل مهاجمة كلاينر لأسباب لا منطقية، لكني دومًا أتفاءل بالرابعة صباحًا وأتشاءم منها في الوقت ذاته؛ بسبب اللقب الذي كنا ندعو الرابعة صباحًا به، ساعة الكي جي بي(11) ، الأسطورة تقول: إنهم كانوا يزورون ضحاياهم في هذا التوقيت، يطرقون منازلهم في الرابعة صباحًا وهم في ساعة وَهَنِهِم، وأنا جربت تلك الحيلة عدة مرات مع أمثال كلاينر وقد فلحت معي، توقفت بالسيارة أمام محل الحلاق، نظر فينلاي حوله تنهد، الذهاب للحلاق في الواحدة صباحًا ليس بأكثر جنونًا من اقتحام قسم الشرطة بسيارة أو قضاء عشر ساعات محبوسًا في زنزانة بواسطة رجل مجنون، لم يعد هناك شيء قادر على إدهاش فينلاي بعد الآن.

التفت ونظرت لهوبل الذي كان يرتجف بشدة، كان شاحب الوجه ولا يزال يحارب انفعالاته من مغامراته بالسيارة مع مبنى الإطفاء والشرطة، سألته: هل أنت بخير؟

- أعتقد، لكنَّ ركبتي وعنقي يؤلماني بشدة.

- اخرج وسر قليلًا، أنت بحاجة للمرونة.

ثم ساعدته في الخروج من السيارة، وسرت معه ذهابًا وإيابًا، وأنا أحاول أن أتأكد أنه لا يوجد كسور أو كدمات قوية، سألته: هل تشعر بأنك أفضل؟

ابتسم قائلًا: لا تقلق سوف أحيا..

خرج فينلاي من السيارة وأتى ناحيتنا مبتسمًا بحماس بعدما تخطى ما حدث وقال: عمل رائع يا ريتشر، لقد كنت أتساءل كيف ستخرجني من هناك، ما الذي حدث لبيكارد؟

صنعت شكل مسدس بيدي وأطلقت طلقة مزيفة في الهواء، هز فينلاي رأسه كأنه شريكي في الوظيفة يهنئني على أداء جيد، شعرت للحظة أن الشيء الصحيح الذي يجب فعله هو مصافحة فينلاي ففعلت ذلك، ثم اتجه ثلاثتنا لمحل الحلاق بعدها، الرجل العجوز كان بالداخل كأنه كان ينتظرنا، قلت له: نحن بحاجة لمساعدتك.

لم يرد، نظر إلينا للحظة، ثم ذهب وعاد بأخيه الأصغر الذي تمعنا بالنظر لوهلة ثم قال: تعالوا للطابق العلوي.

صعدنا معهم للطابق الثاني الذي اتضح أنه منزلهم، وجلسنا في غرفة المعيشة بينما قال الحلاق الأصغر سنًّا: أنتم لستم أول من يختبئ هنا.

سأله فينلاي بدهشة: حقًّا؟

- نعم يا سيدي حقًّا، لقد خبأنا الكثيرين من قبلكم، صبية وفتيات كذلك في بعض الأحيان، فلاحين ورجال نقابات، وفتيات من منظمات الحقوق المدنية والتصويت للمرأة، وفتية هاربين من التجنيد لم يرغبوا في أن يذهبوا ليموتوا في فيتنام..

ابتسم له فينلاي وقال: والآن نحن.

- هل تواجهون مشاكل محلية؟

- مشاكل محلية كبيرة، سيكون هناك الكثير من التغيرات القادمة.

- لقد كنت أتوق لهذا لأعوام.

- لماذا؟

إجابة الحلاق كانت الوقوف والذهاب لخزانة في الركن، وفتح بابيها على مصراعيهما ليرينا أموالًا مكدسة بالداخل ويضيف: أموال مؤسسة كلاينر، ألف دولار أسبوعيًّا، دون أن نبذل أي جهد لنستحقها، وهذا يخبرني أن هناك شيئًا مريبًا في تلك المؤسسة، أنا في السبعين من العمر، ولم أرَ من الناس سوى البخل والوقاحة، والآن فجأة تأتي تلك المؤسسة لتعطينا ألف دولار أسبوعيًّا؟ بالتأكيد هناك شيء مريب بهم.

وأغلق باب الخزانة مردفًا: أنا وأخي لا نصرف أموالهم، نحن لا نصرف ما لم نبذل جهدًا من أجله.. أنتم تواجهون

مشكلة مع مؤسسة كلاينر أليس كذلك؟

أجبته: بالغد لن يكون هناك وجود لمؤسسة كلاينر..

هز الحلاق رأسه، ثم خرج مع أخيه وتركنا في غرفة المعيشة، قال فينلاي بعد خروجهما: لن يكون الأمر سهلًا، ثلاثة منا وثلاثة منهم لكن معهم أربع رهائن، اثنان من هؤلاء الرهائن أطفال، ونحن لا نعلم أين يحتجزونهم.

قلت له: في المخزن، لا شك في هذا، لا توجد عمالة بشرية معهم الآن ليحتفظوا بهم في مكان آخر، كما أنك سمعت الضوضاء الخلفية في الشريط، بالتأكيد المخزن.

سأل هوبل بتوجس: أي الشريط؟

- لقد جعلوا روسكو تسجل رسالة صوتية لريتشر على شريط كاسيت ليثبتوا أنها معهم.

- روسكو فقط؟ وماذا عن تشارلي؟

أجابه فينلاي كاذبًا: روسكو فقط، لم يكن هناك تسجيلات من تشارلي.

هز هوبل رأسه، كانت حركة ذكية من خريج هارفارد، لا داعي لإحباط هوبل وتشتيته، فكرة إجبار تشارلي على تسجيل الرسالة بتهديد سكين على عنقها ستودي بعقل هوبل، قلت لهم مكررًا: المخزن، هم في المخزن لا يوجد شك في هذا.

نظرت أنا وفينلاي لهوبل، هو كان يعمل من المخزن ويحفظه عن ظهر قلب؛ ولذا جعلناه يصفه لنا عدة مرات بكل تفاصيله، وفي النهاية كنا قد رسمنا المخزن بمداخله ومخارجه وتقسيماته الداخلية بشكل سيجعل أي مهندس نفخور بنا.

المخزن كان محاطًا بسياج خاص يلفه كأنه مجمع صغير على خلاف المباني الأخرى، هناك باب دخول رئيسي للشاحنات، وباب خلفي صغير للعاملين، ومخرج حريق وطوارئ بالطابق الثاني مزود بسلم، هناك مكتب زجاجي بالطابق الأول للتحكم، مركز تحكم أكثر منه مكتب لرفع الصناديق وتحميلها، الطابق الثاني يحتوي على ثلاثة مكاتب، قلت لهما: حسنًا، واضح بما فيه الكفاية.

- أنا قلق بشأن الدعم، الحراس في الخارج.

قالها فينلاي فأجبته: لن توجد تعزيزات لهم يا فينلاي، ما يقلقني هي البنادق وحقيقة أن المكان مغلق وبه طفلان.

وافقني فينلاي وهو يفهم جَيِّدًا مقصدي، البنادق وطلقاتها والشظايا التي قد تصيب أي أحد في مكان مغلق، كانت الساعة الثانية الآن، لنتحرك الثالثة والنصف، قبل نصف ساعة من موعد هجومي المفضل.

مرت فترة الانتظار الصامتة، وقد جلسنا كجنود في خندق قُبيْل المعركة، أو كطيارين قبل الإقلاع، فينلاي

كان ثابت الجنان، هو يمتلك خبرة بعد كل شيء، هوبل كان قلقًا وينظر لي بعينين بهما مئات الأسئلة لكني كنت أطمئنه بإيماءة من رأسي، أو هزة كتف، دخل الحلاق بعد فترة وقال لي: هناك شخص يريد رؤيتك يا بني.

هب هوبل مذعورًا واعتدل فينلاي، أشرت إليهما أن يبقيا مكانهما، واستللت صقر الصحراء لكن الحلاق قال: لن تحتاج لهذا على الإطلاق.

نظرت إليهما، ثم إليه في عدم فهم، وأعدت المسدس لغمده وخرجت معه.

قادني الرجل للمطبخ لأجد سيدة عجوزًا، تجلس بوجه مجعَّد وشعر أبيض، بدت كشجرة شامخة وعريقة وسط الشتاء.

- تلك هي أختي، أنتم أيقظتموها بحديثكم، هذا هو الفتى الذي أخبرتك بِشأنه يا عزيزتي..

رفعت رأسها ونظرت لي مبتسمة، ولمحت تفاصيل شابة جميلة لا تزال آثارها على وجهها، مدت يدها وصافحتني، تركنا الحلاق وهمس لي قبل أن يخرج: اسألها عن بلايك الأعمى..

كانت لا تزال يدها الصغيرة بين يدي وأنا أجلس جوارها، لم تحاول هي سحب يدها، فقط تركتها هناك، كعصفور صغير حديث الولادة مستقر بين راحة يدي، وقالت لي: أنا لا أسمع جيدًا، عليك الاقتراب مني.

جذبت المقعد واقتربت منها، رائحتها كانت كوردة قديمة، كرائحة الغسق في موسم الشتاء.

- هل تسمعينني؟

- نعم يا بني..

- لقد كنت أسأل أخاك عن بلايك الأعمى..

- نعم أنا أعلم هذا.

- لقد أخبرني أنك تعرفينه.

- بالتأكيد كنت أعرفه جَيِّدًا.

- هلا أخبرتيني عنه؟

اعتلى وجهها تعبير من الحزن وهي تقول: وما الذي يمكن قوله؟ لقد مات منذ قديم الأزل..

- صفيه لي، شخصيته..

تغير تعبير وجهها وهي تستعيد ذكريات ستين أو سبعين عامًا، ثم قالت: لقد كان أعمى..

وصمتت لوهلة وشفتاها ترتجفان بالذكريات ثم كررت: لقد كان أعمى، وقد كان شابًّا رقيقًا جِدًّا

كانت السيدة تقارب التسعين عامًا، عمرها يقارب القرن الحادي والعشرين، وتحاول استعادة ذكريات من عشرينياتها، لا من طفولتها ولا فترة مراهقتها بل من فترة

شبابها، عندما كانت تتحول لامرأة، وقد دعت بلايك بالشاب الرقيق، تابعت السيدة: أنا كنت مغنية، وهو كان يعزف الجيتار، أنت تعرف هذا التعبير القديم، كان يجيد لعب الجيتار كأنه يرن الجرس، كناية عن براعته، بمجرد أن تلتقط أصابعه الجيتار يبدأ السحر بشكل تلقائي، هو يعزف وأنا أغني جواره، طيلة الليل، وبعدما ننتهي نخرج ضاحكين ونجلس أسفل شجرة كبيرة، ونغني مرة أخرى ونضحك.. لا لسبب سوى أننا قادران على فعل هذا.

دندنت السيدة وهي تهز رأسها، صوتها كان واهنًا وضعيفًا لكني تخيلت كيف كان منذ سبعين عامًا، كانت نحيفة لدرجة تجعلها قابلة للكسر، لكني رأيتها مع بلايك في ذهني أسفل شجرة ما وهي تفيض بالحياة، سألتها: ما الذي حدث له؟ هل تعرفين ما الذي حدث له؟

هزت رأسها، وغمغمت: أعرف، لا يوجد سوى اثنين في العالم يعرفان ما الذي حدث لبلايك وأنا واحدة من الاثنين.

- هلا أخبرتيني؟ الحقيقة أني أتيت لمارجرايف لكي أعرف ما الذي حدث له.

- لقد مضى اثنان وستون عامًا، لم أخبر فيهما أحدًا أبدًا بما حدث له.

- هل ستخبرينني أنا؟

أومأت برأسها موافقة في حزن، واغرورقت عيناها

بالدموع مضيفة: اثنان وستون عامًا وأنت أول من يسألني ما الذي حدث لبلايك.

كانت يدها لا تزال في يدي، وحركت شفتيها لتخبرني فحبست أنفاسي..

- لقد كان أعمى، لكنه كان ممتلئًا بالحياة والمرح والشغف، دومًا يبدو مبتسمًا، يا للطاقة التي امتلكها وروحه العنيدة، كان يتحدث بسرعة، يسير بسرعة، دومًا يتحرك.. ولكن.. ذات مرة خرجنا من مكان ما في البلدة وكنا نسير فوق الرصيف ضاحكين، ولم يكن هناك أحد سوانا عدا اثنين من البيض، وقد كانا يسيران صوبنا، رجل وغلام.. وعندما رأيتهما ترجلت من الرصيف كما يفترض بنا - نحن السود- أن نفعل عندما نرى البيض لنفسح لهم مجالًا وسرت في الطين(12) ، ولكن بلايك المسكين كان أعمى ولم يرهما، وارتطم بالغلام الأبيض، الغلام كان يقارب عمره عشرة أعوام، وطار الأخير ليسقط في الأرض الطينية، وجرح رأس الغلام فوق حَجَرٍ ما.. وظل يصرخ ويبكي كالشيطان، أبوه كان معه، كنت أعرفه.. رجل مهم في مارجرايف، وظل الغلام يصيح بأبيه أن يعاقب الزنجي.. وفقد الأب أعصابه وظل يضرب بلايك بعصا الأخير بعدما أخذها منه، حتى انفتحت رأسه، ومات بلايك، قتله أبو الغلام الذي حمل ابنه بعدها، وأجبرني على غسل العصا لتنظيفها من دماء ومخ بلايك، وأكد لي أني لو أخبرت أحدًا فلسوف يقتلني

أنا أيضًا، عدت وأنا أبكي وأصرخ لكني لم أخبر أحدًا بالسبب أبدًا لانهياري تلك الليلة، وانتظرت أن يكتشف أحد ما ذو ضمير جثة بلايك، ولم أُخبر أحدًا بما حدث منذ ذاك الحين وحتى لحظتنا تلك.

دموعها كانت تغرق وجنتيها، مسحتها بأصابعي برفق وسألتها: من كان الصبي؟

- رأيته كثيرًا بعدها في كل مكان بالبلدة.. يمرح بحياته كأن شيئًا لم يكن.. ويذكرني بحبيبي بلايك وهو جثة هامدة على الرصيف..

- من كان الصبي؟

- لقد بدا الأمر كحادثة، بلايك كان أعمى ولم يرهما، وما كان من الصبي إلا البكاء والصراخ والصياح بأبيه من أجل الانتقام، لم يكن جرحه بهذا السوء، وقد كان كبيرًا بما يكفي ليعرف هذا، الأمر كله خطأ الصبي.

- ومن كان هو هذا الصبي؟

سألتها مجددًا فالتفتت إليَّ ونظرت لعينيَّ، ثم أباحت بالسر الذي بلغ عمره اثنين وستين عامًا..

- جروفر تيل.. العمدة تيل.. لقد كبر وأصبح عمدة مثل أبيه، وهو يعتقد أنه ورث العالم، وأنه ملك كل شيء.. وصراخه وغضبه الشيطاني السقيم قد تسبب بمقتل حبيبي المسكين، بلايك، لا لسبب سوى أنه كان أعمى.

***

الفصل الثالث والثلاثون

ركبت السيارة البنتلي مع فينلاي وبيكارد وقدتها وسط شوارع البلدة النائمة، وأضواء السيارة تلتحم بظلام الليل، لم يتحدث أحد، انعطفت يميناً بالسيارة وقدتها عبر الشارع الرئيسي عندما قال فينلاي: أريد إحضار سلاحي..

قدت السيارة لمخفر الشرطة، ودخل ثلاثتنا، السيارة المهشمة لا تزال بالداخل، الحطام والفوضى وكل شيء، وخزان وقود السيارة قد انفتح وتسرب منه السائل بقوة، عاد فينلاي وهو يحمل مسدسه في يده، ثم أشعل عود ثقاب ورماه أرضًا وهناك ابتسامة على وجهه.

- تشتيت لطيف أليس كذلك؟

خرجنا مسرعين بينما النيران تحرق مخفر الشرطة في قلب الليل، نظرت للمبنى المحترق وابتسمت بدوري قبل أن ندلف جميعًا للسيارة وأقودها صوب المخزن..

استغرق الطريق للمخزن اثني عشر دقيقة، هوبل يحمل الفأس من مبنى الإطفاء، بينما فينلاي يقبض على مسدسه، وأنا أحمل صقر الصحراء في غمدي، أعطاني فينلاي أعواد الثقاب، زدت من سرعتي ثم أبطأتها قرابة التلة قبل أن نترجل من السيارة، ووقف ثلاثتنا في الظلام...المخزن أمامنا ينتظر، تبادلنا نظرة سريعة وهززنا رؤسنا لبعضنا البعض، الحقيقة أننا لم نتبادل حرفًا منذ تركنا للمبنى المحترق، انبطحنا وسرنا نحو المخزن بعدما أخذت

الفأس من هوبل.

الشجرة المجاورة للتلة كانت على بعد مئتي متر من السياج، استغرقنا دقيقة للوصول للأخير، والتففنا حوله حتى صرنا مواجهين لسلم المخرج الخلفي الخاص بالهروب من الحرائق، أمسك كل منهما بالأسلاك المعدنية الخاصة بالسياج، بينما قمت أنا بتقطيعها بالفأس، حتى قمت بصنع فجوة تسمح بمرور أجسادنا، ومررنا من خلالها، كالسوائل، سرنا بعدها صوب السلم، وسمعت أصواتٍ وضوضاءَ داخل المخزن.. حبست أنفاسي وانتظرت.

وبدأت أقلق بصدد الحراس رغم أني قلت لفينلاي إنهم بلا تعزيزات، لكني لم أكن متأكدًا في تلك اللحظة، وربما يكون فينلاي محقًّا في مخاوفه.

همست لهما أن يبقيا مكانهما وقبضت يدي على الفأس، وأنا أدور متسحبًا بحرص حول المبنى، وحرصت على إصدار ضوضاء خافتة ليسمعها الحارس -لو كان حقًّا موجودًا- ويعتقد أن أحدهم يحاول اقتحام المبنى، وبالفعل رأيت ظل الحارس يقترب، لقد كان فينلاي محقًّا، لكني لم أكن مخطئًا أيضًا، هناك حارس لكن لا يوجد تعزيزات لأن الحارس كان الرقيب بايكر.

سمعته قبل أن أراه، كان يتحرك بخُطًى سريعة للسياج حيث الفجوة، ثم التفت صوب السلم وعدا ناحيته، وبعدها بثوانٍ مات الرقيب بايكر، سقط جثة هامدة بعدما

انسللت خلفه وشججت رأسه بالفأس، لم يمت فورًا من الضربة بل سقط منه سلاحه والتفت ناحيتي وهو يرقص رقصة الموت على قدميه فانسل فينلاي خلفه وقبض على عنقه ليبدأ عملية الخنق السريعة التي سقط بعدها بايكر جثة هامدة كدجاجة في مزرعة كانت تحاول الهرب، تركنا جثته مكانها وانتظرنا لخمس دقائق نسترق السمع بحرص، لم يسمع أحد شيئًا، لم يأتِ أحد.

عدنا للسُّلَّم حيثما كان ينتظر هوبل، أخذت نفسًا عميقًا وتسلقت السُّلَّم، وأنا أضع كل قدم بحذر كي لا أُصدر أي صوت وأخطو لأعلى، السلم معدني وأي حركة خاطئة ستجعله يصدر ضوضاءَ كالجرس، فينلاي كان يصعد السلم من خلفي وهوبل من ورائه وهو يكتم أنفاسه من الرعب.

تسلق ثلاثتنا السُّلَّم بحرص شديد، واستغرق الأمر دقائق حتى وصلنا للقِمَّة، وقفنا خلف الباب وألصقت أذني به، هدوء تام الآن، وبيد مرتعشة أخرج هوبل مفاتيحه التي احتفظ بها من وظيفته الأخيرة، وبحث عن المفتاح الصحيح قبل أن يولجه في الباب ويدير المقبض، كتمنا أنفاسنا وأيدينا على السلاح، أصدر الباب تكة معدنية، وفتحه هوبل، لا صوت، لا رد فعل.. هدوء تام.

انسل هوبل للداخل بحرص، وأمسك فينلاي الباب من بعده وتسلل بدوره، وممدت أنا ذراعي لأتسلم الباب من فينلاي قبل أن أخطو للداخل، ألصقنا ظهورنا بالحائط

وتلفتنا حولنا، بحرص وحذر وهدوء صامت، كل منا يقبض على سلاحه، لم نرَ أحدًا لتلك اللحظة، لم يكن سوى أضواء صناعية تنير المخزن، كنا بالطابق الأخير، وأمامنا سلالم مودية للطابق السفلي، نظرت أمامي، وتسارعتْ دقات قلبي، لم أؤمن من قبل بالحظ، لم أكن لأتحمل رفاهية الاعتماد على شيء كالحظ في حياتي، لكني أدركتُ أني كنت محظوظًا للغاية في تلك اللحظة الفارقة، وأدركت أيضًا أني قد كسبت، فأمامي في غرفة المكتب العلوية ومن خلف زجاجها رأيت الأطفال نائمين، ولدا بول هوبل، يفترشان الأريكة وينامان معًا بثياب المدرسة وقد بدا عليهما الإعياء والقذارة، هما لم يستحما منذ اختطافهما، والطفلان كانا أكثر شيء يقلقني في خُطَّة الهجوم، وقد فكرت في أمرهما ألف مرة، كنت أختبر كل ألعاب الحرب في ذهني وأنا أفكر بهما، وكيفية إخراجهما سالمين إبان الاشتباك، ودومًا كان الناتج سيئًا في ذهني، وتخيلتهما مئات المرات في ذهني وهما جسدان ممزقان بأثر طلقات البنادق، كما أني كنت أتوقع أنهما سيحتفظان بكل الرهائن معًا، روسكو، وتشارلي مع الأطفال، ولطالما تخيلت ذعر الأطفال، وصراخ تشارلي، ولم أجد حلًّا أبدًا لتلك المعضلة، كان صياحهما يرن في أذني كصياح مشجعين في الاستاد، ولم أكن لآمل حقًّا أن أجدهما نائمين سويًّا في مكتب خالٍ أمامي فور لحظة ولوجنا للمخزن، التفت لرفيقيَّ الاثنين وهمست: هوبل، خذ الفتاة، فينلاي خذ الفتى، ضعا أيديكما على فميهما نحن

لا نريد أي صوت، وعودا بهما للسيارة، وهوبل، عليك بالبقاء معهما في السيارة، فينلاي عد بأسرع ما أوتيت من قدرة بعدها.

استللت صقر الصحراء من غمدي، في حين تسللا هما للمكتب، وقد تسللا بالشكل الصحيح، ببطء وهما منبطحان، ودلفا للمكتب.. وضعا أيديهما على فمي الطفلين وحملوهما، استيقظ الطفلان وهما يصارعان ما يحدث، واستقرت عيونهما المحدقة عليَّ، خرج بهما فينلاي وهوبل وعادا إليَّ عدوًا وأنا أتلفَّتُ حولي بالسلاح، وفور أن خرجا من سُلَّم الحريق صوبتُ سلاحي ناحية العراء لأؤمن خروجهم ووصولهم للسيارة، وظللت أراقبهم حتى اختفوا في قلب الليل.

استرخيت وخفضت المسدس، واستمعت بحرص بحثًا عن أي ضوضاء أو أصوات قادمة من المخزن دون أن أجد شيئًا، تسللت للمكتب، وزحفت للنافذة، ثم رفعت رأسي ببطء ونظرت للأسفل، فرأيت مشهدًا لن أنساه ما حييت.

أسفل الأضواء الساطعة للمخزن رأيت جبلًا من الدولارات، جبلًا شاهقًا وغزيرًا، تيل كان يجلس فوق كوم من الدولارات وهو يصوب بندقيته، وأعلاه جلس كلاينر فوق قمة الجبل النقدي يصوب بندقيته بدوره، كانا يصوبان البنادق لروسكو وتشارلي، المرأتان كانتا تعملان دون توقف، روسكو تمسك بمجراف وتكوم الأموال

صوب تشارلي التي كانت تعبئها في صناديق مكيفات الهواء، عدت بناظري لتيل، أيجلس هو فوق فئة معينة من الدولارات، وكلاينر فوق فئة أخرى، كترتيب هرمي؟ أم أنها كلها من ذات الفئة الواحدة، واصلت روسكو نقل الأموال لتشارلي التي كانت تعبئها في الصناديق بلا توقف، المشهد حقًّا كان لا يصدق، ورأيت شاحنة كلاينر السوداء مركونة جوار الباب الرئيسي، وجوارها سيارة تيل، الكاديلاك البيضاء، وقد بدت السيارة والشاحنة كنقاط ضئيلة مقارنة بجبل المال، كأنهما سيارتا لعبة بين يدي طفل، شعرت أني أنظر لمشهد خيالي من حكاية خرافية، لقد قال هوبل من قبل إن ملايين الدولارات من ذات الفئة الواحدة مشهد مهيب، لكني لم أتخيل أنه سيكون بتلك الدرجة، وروسكو وتشارلي يعملان كعمال منجم، بدا لي كل شيء خيالي جِدًّا في تلك اللحظة، هذا المخزن الكبير يحتوي على أربعين مليون دولار نقدي من فئة الدولار الواحد، كلتا المرأتين كانتا تعملان بإجهاد وآلية شديدة وهما شبه نائمتين بينما أيديهما تصرخ طلبًا للراحة، بينما كل من كلاينر وتيل يجلسان كالإقطاعيين يراقبان ما يحدث في المهمة المستحيلة التي أوكلاها للمرأتين بتكديس كل تلك الأموال في الصناديق، فيما يبدو أن انتهاء حملة خفر السواحل قد فاجأ كلاينر على كل حال وهو لم يكن مستعدًا كليًّا لعملية الشحن والتوريد بعدُ، أو ربما تدخلُنا في عمله واستنزافنا لعمالته البشرية هو السبب الحقيقي، التفت ولمحت فينلاي يدخل من باب سلم

الحريق فذهبت إليه.

همس لي: هوبل مع الأطفال في السيارة، ما الذي يحدث هنا؟

- تيل وكلاينر بالأسفل، ومعهما روسكو وتشارلي، هما يبدوان بخير نوعًا ما ولم يتعرضا لإيذاء بالغ.

حدق فينلاي مِن حوله ولمعت عيناه وسط الأضواء الساطعة وهو يسأل: ما الذي يفعلونه هناك بحق الجحيم؟

- اذهب وألقي نظرة ولكن احرص على أن تكتم أنفاسك.

زحفنا سويًّا للنافذة وببطء رفعنا رأسينا، ونظر فينلاي للمشهد المبهر بالطابق الأول، ظل ينظر مشدوهًا لما يحدث لفترة طويلة، وغمغم: يا للمسيح..!!

وكرر بينما نحن نعود أدراجنا: يا للمسيح.. هل تصدق هذا؟

هززت رأسي نفيًا وقلت: كلا، لا أستطيع تصديق عيني.

- وما الذي سنفعله؟

أشرت له أن ينتظر وذهبت حبوًا مجددًا للنافذة واختلست نظرة حيث يجلس تيل أمام الباب الداخلي للمكتب، وموضع جلوس كلاينر، وخمنت المكان الذي ستذهب إليه روسكو وتشارلي، حسبت كل الزوايا والاحتمالات، ثم عدت بالاستنتاج الحتمي وهو أننا

نواجه مشكلة شنيعة، كلاينر هو الأقرب إلينا، وتيل في موضع ناءٍ وخطر في الركن البعيد من المخزن بينما روسكو وتشارلي في المنتصف، ومن موقعهما هذين فلسوف يصوبان بنادقهما ويطلقان الرصاص فور ظهوري من المكان الوحيد المتاح ألا وهو السلم الأمامي، وزاوية إطلاقهم واضحة للغاية، ولسوف يردونني قتيلًا على الفور.

بالأخص كلاينر، زاوية تصويبه ستون درجة لأعلى، كأنه صائد بط، وتيل سيطلق من زاوية ولسوف يصيب تشارلي أو روسكو أثناء ملحمة إطلاق النار، بزاوية خمس عشرة أو عشرين درجة، ربما يصيب فينلاي كذلك، لكنه بالتأكيد سيصيب المرأتين، عندما يراني تيل فلسوف تكون تلك لحظة موت روسكو وتشارلي.

زحفت عائدًا لفينلاي عند مدخل سلم الحريق، وأخرجت زجاجة الوقود البلاستيكية، أعطيتها إياه مع أعواد الثقاب، وانحنيت وهمست له بما يجب فعله، وتبادلنا همسًا طويلًا وبطيئًا، ثم زحفت مجددًا للمكتب، وأنا أمسك بصقر الصحراء، وانتظرت أسفل النافذة، مرت ثلاث دقائق، وأنا أحدق وأنتظر، تيل يجلس، روسكو وتشارلي تعبئان، كلاينر يصوب سلاحه نحوهما، مرت ست دقائق، سبع.. ثم رأيت الوقود ينسكب، بلا توقف على جبل النقود، واصلا هم العمل بالأسفل ولم يلاحظ أحد الوقود الذي يغرق طن الدولارات، زحفت لباب المكتب وأدرت المقبض بحرص بطيء، كنت متخوفًا

من أن يشم تيل أو كلاينر رائحة الوقود، تلك هي نقطة الضعف في خطتنا، ولكن رائحة النقود العطبة قد غطت على رائحة الوقود وقد شممتها فور فتحي لباب المكتب المؤدي للسلم الأمامي، الرائحة العطبة نفسها التي شممتها في مرآب ستولر، رائحة أموال مستخدمة، ثم رأيت اللهب.

لقد ألقى فينلاي بعود الثقاب، واشتعل اللهب الأزرق، وتسارع في خط مستقيم صوب جبل النقود، رأيت تيل يرفع رأسه وينظر للنيران في رعب.

في اللحظة نفسها التي خرجتُ فيها من المكتب وصوبت صقر الصحراء لرأس تيل قبل أن أُطلق رصاصة فجرت رأسه بالكامل.

بعد ذلك حدث كل شيء بشكل خاطئ..

رأيت كل ما يحدث في عقلي بالتصوير البطيء، لقد قفز كلاينر في الاتجاه المعاكس تاركًا سلاحه ومخالفًا كل توقعاتي، وعدا لموقع تيل وأخذ سلاحه، الآن أصبح كلاينر يشكل التهديد الخطر نفسه الذي كان يمثله تيل، في اللحظة نفسها انفتح باب المخزن ودخل بيكارد كعملاق غاضب وقد تخلص من سترته.. ورأيت دماءً على قميصه الأبيض، وتقدم بيكارد بخطوات هائلة نحو المرأتين، ومسدسه في يده، في اللحظة نفسها كان كلاينر يصوب بندقية تيل.

وأمام عيني رأيت النيران المشتعلة تتصاعد وروسكو

تدير رأسها لتنظر باتجاهي، بينما تشارلي تنظر لجثة تيل وتبدأ بالصراخ، ويديها ترتفعان على وجهها في صدمة وفزع، واختلط صراخها بدوِيِّ رصاص صقر الصحراء، قفزت للخلف وكسرت زجاج النافذة وأخرجت رأسي وذراعي منه وأنا أطلق الرصاص صوب بيكارد، بينما هو يصوب سلاحه عيار الـ٣٨، ويبادلني إطلاق الرصاص، أصابته إحدى رصاصاتي في كتفه الأيمن، قبل أن يطلق رصاصة من مسدسه صوب رأسي، وسقط بيكارد للخلف فوجهت سلاحي بسرعة ناحية كلاينر، عقلي كان يحاول حساب الاحتمالية الأخيرة بسرعة فائقة وأنا أصوب المسدس باتجاه كلاينر، سأطلق الرصاصة، لكنه سيطلق الأول قنبلة من بندقيته ستقطع رأسي روسكو وتشارلي ثم تصيبني بعدها الشظايا، أخبرني عقلي أن أطلق رصاصة سريعة على بندقيته لأغير اتجاه تصويبه؛ لأن إصبعه تعتصر الزناد بالفعل، ثم كف عقلي عن العمل بعدما أعطاني تلك المعلومات، فقط تراجع ونظر لي بسخرية ليرى محاولتي البائسة، كان سريعًا رهيبًا بالحركة البطيئة بيني وبين كلاينر، وأنا أنحني من النافذة، ومن على بعد مئة متر كلاينر يرفع بندقيته، وبدت لي أن تلك اللحظة سوف تستمر للأبد، بينما لهيب النيران ينتشر في كل صوب، ويحرق أموال كلاينر..

كان هناك ابتسامة ثعلبية على شفتي كلاينر وهو يعلم أنه سيقتلنا جميعًا بطلقة واحدة، تشارلي كانت تصرخ، روسكو

تندفع صوب تشارلي، وسلاح وبندقية كلاينر يواصلان رحلتهما في تلك الثواني المعدودة، وفازت يدي في هذا السباق، أطلقت رصاصتين، الأولى أطاحت بالبندقية، والثانية اخترقت صدر كلاينر، وانطلقت الرصاصة من بندقيته في الهواء، وأصابت رزمة من الدولارات المحترقة التي تطايرت في الهواء حول كلاينر، عدوت بعدها وسط النيران والدخان صوب تشارلي وروسكو، وأحطتهما بذراعيَّ وأنا أسحبهما بعيدًا عن اللهب نحو السلم، وشعرنا باختناق شديد بسبب نقص الأكسجين ونحن نحاول الوصول للسلم، ورأيت بيكارد أمامي في تلك اللحظة، يقع كمانع هائل بيننا وبين السلم، وهناك غضب رهيب على وجهه، الدماء تنزف من كتفه، لكنه كان بلا سلاح، هنا وجدت نفسي أطير للخلف أسقط بعدما لكمني بيكارد بيده اليسرى، كنت أسمع صراخ تشارلي الهستيري وأنا أتلقى لكمة أخرى ليطير مني صقر الصحراء بعيدًا، كان بيكارد يطوح ذراعه للخلف وهو يتراقص بقدميه كملاكم ليلكمني آخرة مرة لكني اندفعت نحوه بعد أن قفزت واقفًا وضربته في عنقه بكوعي، لم يحدث هذا أي تأثير، فقط لكمني مرة أخرى ليرتج رأسي وأسقط أرضًا بالقرب من النيران، كنت أتنفس دخانًا في تلك اللحظة، حاولت الزحف للخلف لكن بيكارد كان يقترب، وهو يقف غير مبالٍ وسط كومة من الدولارات المحترقة، وركلني في صدري، شعرت كأن شاحنة سريعة قد اصطدمت بي، واشتعلت النيران في سترتي، فخلعتها بسرعة ورميت السترة

المشتعلة صوب بيكارد لكنه تلقاها وألقاها بعيدًا كأنها لا شيء، ورفع قدمه عاليًا استعدادًا ليهوي بها على رأسي ويهشمه، سيقتلني بيكارد الآن، ثم ارتج جسد بيكارد وتصلب كأن أحدهم يضربه بمطرقة من الخلف، ورأيت فينلاي يقف خلفه وهو يفرغ رصاصات مسدسه في ظهر بيكارد، أطلق فينلاي رصاصاته الست التي استقرت في جسد بيكارد، ببطء التفت بيكارد صوب فينلاي، نظر إليه ثم تقدم خطوتين باتجاهه، وأطلق مسدس فينلاي تكة معدنية معلنًا عن نفاد الرصاص، تقدم بيكارد بثبات صوب فينلاي المذهول، بينما كنت أبحث أنا كالمحموم عن صقر الصحراء فوجدته وأطلقت رصاصة فجرت مؤخرة رأس بيكارد، وبدأ جسده في التساقط أرضًا، أفرغت باقي رصاصات الصحراء في جسده وهو يسقط.

أمسك فينلاي بتشارلي وجذبها بعيدًا عن النيران، وفعلت أنا مثله مع روسكو وصعدنا عدوًا على السلم ومنه هربنا من مخرج الحريق، بينما النيران تحرق المخزن كله من خلفنا، عدونا نحو السياج ومررنا من الفجوة، ومن خلفنا بدأ المخزن في التساقط مع النيران التي تأكله بلا توقف، شعرنا بحرارة النيران تكاد تصل إلينا ونحن خارج السياج، ظللنا نعدو بلا توقف نحو الشجرة حيث السيارة، وصلنا للسيارة حيث كان هوبل يقف ينتظرنا وهرع لمقعد السائق وأدار المحرك بينما كنا ندلف جميعًا للبنتلي.

كان الأطفال في الأمام مع بول وجميعنا في الخلف،

انطلق هوبل بالسيارة، كانت تشارلي تصرخ، وكذلك روسكو، ولاحظت بفضول محايد أني أنا أيضًا كنت أصرخ!

بعدما ابتعدنا أوقف هوبل السيارة وخرج منها، واحتضن تشارلي وأطفاله وبكوا جميعًا وهم يتبادلون الأحضان والقبلات، وفعلت أنا المثل مع فينلاي وروسكو، بعدها ظل فينلاي يضحك ويرقص بسعادة ويغني بجنون، لقد تخلى عن وقار خريج هارفارد في تلك اللحظة، وارتمت روسكو في أحضاني وأنا انظر للنيران التي تكاد تصل للسماء وللمخزن المتساقط، التفتوا جميعًا ليشاهدوا الجحيم الماثل أمامنا، ووقفنا نحن السبعة على حافة الطريق نشاهد النيران.

- يا إلهي، هل نحن من فعل هذا؟

- أنت الذي فعل هذا، أنت من رمى عود الثقاب.

ضحكنا وتبادلنا حضنًا طويلًا ثم رقصنا سويًّا، بعدها حملنا الطفلين عاليًا وقبلناهما، ثم فوجئت بهوبل يقفز عَلَيَّ ليحتضني، وتشارلي تفعل المثل، ضحكت ثم حملت روسكو عاليًا واحتضنتها بقوة، ولفت ذراعيها حول خاصرتي وأحكمت هي ذراعيها خلف ظهري، وتبادلنا القبلات بحرارة كأننا سنموت لو توقفنا.

قدت السيارة بعدها بعدما تكدس فينلاي وروسكو جواري، بينما عائلة هوبل في الخلف ووصلنا لمارجرايف،

حيث تجمع أهل البلدة أمام مخفر الشرطة المحترق، يشاهدون ما يحدث دون أن يفعل أحدهم شيئًا.

زدت من سرعة السيارة وابتعدت عنهم وعن المخفر، وقدت السيارة عبر شوارع مارجرايف لشارع بيكمان، توقفت بالسيارة للحظة أمام تمثال كاسبر تيل، ثم واصلت القيادة ومررت بجانب الكنيسة، ثم ركنت السيارة أمام بيت بول وتشارلي هوبل.

خرجت العائلة ودخل الجميع بيتهم فانطلقت بالسيارة وأوقفتها أمام منزل فينلاي.

- اخرج يا فينلاي.

ضحك وخرج من السيارة، انطلقت بعدها لبيت روسكو، واندفعنا سويًا داخل المنزل، والتحمنا سويًا متناسيين أمر العالم بأسره.

***

الفصل الرابع والثلاثون

لم تفلح الأمور بيني وبين روسكو، لم يكن لَدَيَّ فرصة حقيقية في إنشاء علاقة طويلة الأجل معها، كان هناك الكثير من العوائق والمشاكل، ظللنا سوية لأربع وعشرين ساعة، وبعدها كنت أتنقل على الطريق مرة أخرى، كانت الخامسة صباحًا من يوم الأحد عندما دلفنا لبيتها سويًّا، كنا مرهقين والأدرينالين يتدفق بغزارة في أجسادنا، لذا لم نستطع النوم فقضينا الوقت جالسين نتحدث، وكلما تحدثنا كلما ازدادت الأمور سوءًا، أخبرتني أنهم لم يمسوها بسوء إبان فترة خطفها لكنهم جعلوها تعمل كالعبيد، وحكت لي أن يوم الخميس بعدما أخذها بيكارد بسيارته ولوحت لهما أنا بيدي، أخبرت هي بيكارد بكل المستجدات، وفور أن انتهت استل بيكارد سلاحه وصوبه تجاهها ثم أخذ سلاحها، وقيدها بالأصفاد، ثم ذهب بها للمخزن، ووجدت نفسها تخزن الأموال مع تشارلي هوبل، ومنذ ذاك الحين والاثنان يعملان دون توقف بالمهمة نفسها، في الوقت الذي كنت أجلس أنا فيه في الطريق السريع أراقب المخزن، وكانت روسكو نفسها هي التي أفرغت محتويات الشاحنة الحمراء التي جلبها ابن كلاينر للمخزن، الشاحنة التي تتبعتها للفندق واكتشفت أنها خالية بينما الفتى كان نائمًا في غرفته.

أخبرتني روسكو أن تشارلي كانت مختطفة منذ خمسة أيام ونصف، منذ مساء يوم الاثنين، لقد أخذ بيكارد

عائلة هوبل فورًا للمخزن، وجعل كلاينر تشارلي تعمل على تخزين النقود، لم يناموا سوى ساعات قليلة في الليل، ينامون فوق أطنان الدولارات، وهم مقيدون الأذرع بالسلم.

أخبرتني أن بعد اختفاء ابن كلاينر ورفاقه جن جنون كلاينر، لقد أصبح بلا عمالة بشرية، ومنذ ذلك الحين أضحت كل من روسكو وتشارلي تعملان بلا نوم ولا توقف.

لقد قضت روسكو الأيام تعمل كالعبيد؛ خوفًا على حياتها في حالة إعياء وإرهاق رهيبة، قلت لها إن كل هذا هو خطئي أنا، وظلت تؤكد لي أنه ما حدث ليس خطئي، ظللت أعتذر لها وهي تؤكد أنه لا ذنب لي فيما حدث لها.

لكني ظللت مقتنعًا في قرارة نفسي أن ما حدث لها هو غلطتي أنا، ولم أكن حقًّا متأكدًا أنها لم تعتقد ذلك أيضًا رغم نفيها للفكرة، وكانت تلك أول علامة على المشاكل بيننا.

استحممنا بعدها سويًّا، ظللنا أسفل الماء الساخن لمدة ساعة كاملة والصابون يغطي أجسادنا دون أن نتوقف عن الكلام، حكيت لها ما حدث ليلة الجمعة، الفخ في بيت هوبل، وقتلي لكلاينر ورفاقه، الذين اقتحموا بيتها وقتلوا زوجة ماريسون، كنت أعتقد أنها ستكون سعيدة لمعرفة ما حدث لهم، كانت تلك ثاني مشكلة، رد فعلها، لم يكن

هناك صدمة، أو عدم موافقة لما فعلته لكني لمحت نبرة «ألا تعتقد أنك تماديت قليلًا؟» في صوتها.

شعرت أني فعلت كل ما فعلته من أجلها ومن أجل جو، لم أفعله لأني أردت فعله، لقد كانت مارجرايف بلدتها، والعداء مع كلاينر بدأه مع جو، لقد فعلت ما فعلته لأني رأيت رعبها بعد أن اقتحموا منزلها، ومن أجل جو ومولي، في الوقت نفسه شعرت أني لم أكن في حاجة لتبرير لكل ما فعلته، لكني كنت أحاول تبرير أفعالي من أجل روسكو.

بعدما استحممنا ذهبنا تحت الأغطية واستلقينا على الفراش، وعندما استيقظنا في الصباح بدا لي اليوم جديدًا ومبهجًا، ولو أخبرني أحد أني سأرتحل على الطريق مرة أخرى في صباح اليوم التالي لاتهمته بالجنون.

قلت لنفسي إنه لا توجد مشاكل بيني وبينها، أنا كنت أتخيلها فحسب، ولو كان هناك مشاكل فلا بد أن هناك سببًا حقيقيًّا لها، ربما هو تأثير ما حدث والضغط والأدرينالين، ولأنها كانت رهينة، ربما هذا هو رد فعل الرهائن، ممزوجًا بتأنيب الضمير الذي أشعر به لما حدث لها، ربما هو خليط من عدة أشياء، لكني كنت واثقًا من أني سوف أستيقظ وأنا سعيد وواثق بأني سأظل مع روسكو للأبد.

لكننا لم نكن سعداء عندما أستيقظنا، وقضينا عدة

ساعات دون كلام، ثم حاولنا كسر هذا الصمت وتمازحنا ومارسنا الحب، وذهبت روسكو بالبنتلي لمطعم إينو لتحضر الطعام، غابت لساعة كاملة ثم عادت ومعها أخبار، أخبرتني أن فينلاي قال لها توقعاته بشأن ما سيحدث الآن، وتلك كانت المشكلة الكبيرة مقارنة بكل المشاكل الأخرى.

- عليك رؤية مخفر الشرطة، لم يتبقَّ منه شيء.

قالتها وهي تخرج علبة من الدجاج المقلي وتضعها على منضدة الطعام، ثم أردفت: والمخازن كلها احترقت. كذلك، المبانى الأربعة، وشرطة الولاية تدخلت في الأمر..

- حقًّا؟

ضحكت روسكو وقالت: كل السلطات ستتدخل في الأمر عما قريب.. ما حدث لم يكن هينًا.. لقد تواصل رئيس الإطفاء مع فرق المفرقعات تخوفًا من تورط الإرهاب في الأمر، وفرق المفرقعات لن تتحرك دون إخطار المكتب الفيدرالي الذي تدخل بدوره، والحرس الوطني كذلك..

- ولماذا الحرس الوطني؟

- هذا هو الجزء المضحك في الأمر، الانفجارات والرياح أطارت ملايين الدولارات المحترقة في الهواء لكن بعضها لم يكن محترقًا، وسقطت الأموال على الطريق السريع

وخرجت الحشود من البشر لجمعها واضطر الحرس الوطني للتدخل لإنهاء تلك الفوضى.

أكلتُ الدجاج، وفكرتُ فيما تقوله ثم سألتها: الحاكم اتصل بالحرس الوطني أليس كذلك؟

أومأت برأسها بفم ممتلئ بأجنحة الدجاج.. ثم قالت روسكو بعدما ابتلعت طعامها: الحاكم هنا في مارجرايف الآن، وفينلاي اتصل بوزارة المالية كذلك، وهم سيرسلون فريقًا إلى البلدة، لقد أخبرتك، كل السلطات ستتدخل في الأمر، وفينلاي أخبرني أن نصف أهل البلدة يتظاهرون بأنهم لم يعرفوا بأمر نشاط مؤسسة كلاينر غير القانوني، في حين أن النصف الآخر غاضب للغاية لأنهم فقدوا الدجاجة التي تبيض لهم ذهبًا، كان عليك رؤية إينو في المطعم وأنا آخذ الطعام، لقد كان غاضبًا للغاية.

- هل فينلاي قلق؟

- كلا هو بخير، مشغول للغاية، لم يعد هناك سواي أنا، وفينلاي، وستيفينسون، وشرطي الاستقبال في البلدة، وفينلاي يقول: إننا نحتاج أضعاف هذا العدد من أفراد الشرطة بسبب الأزمة الحالية، لكن العدد الحالي هو ضعف ما نستطيع تحمله ماليًّا لأن مؤسسة كلاينر ومواردها المالية قد انقطعت، مارجرايف تحولت من بلدة ثرية لبلدة فقيرة فجأة، كما أننا لا نستطيع توظيف أحد جديد، نحن لا نمتلك عمدة ليوظف أحدًا على أية حال.

جلست ألوك الطعام وأفكر، لقد انهالت المشاكل دفعة واحدة، لم أفكر في كل هذا من قبل، وأنا بحاجة لتوجيه لسؤال لروسكو، والحصول على رد عفوي منها دون أي فرصة للتفكير

- روسكو.

نظرت إليَّ منتظرة.

- ما الذي ستفعلينه؟

نظرت لي بتعجب، كان سؤالًا غريبًا، وقالت: سأعمل ليلًا ونهارًا بالطبع، سيكون هناك أطنان العمل تنتظرني، سنعيد بناء مارجرايف، وأنا أستطيع لعب دور محوري في عملية إعادة البناء، أنا متحمسة للغاية، وأترقب ما الذي سيحدث، تلك هي بلدتي، وسأفعل قصارى جهدي من أجلها، ربما أترشح لمنصب العمدة ذات يوم، ألن يكون هذا أمرًا رائعًا؟ العمدة روسكو بدلًا من تيل.

نظرت إليها، كانت إجابة رائعة لكنها الإجابة الخاطئة، خاطئة بالنسبة لي، لم أحاول أن أقنعها بشيء، ولا أضغط عليها؛ لذا سألتها هذا السؤال بشكل مباشر قبل أن أخبرها بما يجب عَلَيَّ فعله، أردت منها الإجابة الصادقة أولًا، الإجابة العفوية والطبيعية، وما قالته كان أمرًا منطقيًّا وطبيعيًّا، تلك هي بلدتها، ولو أن هناك من يستطيع إصلاح مارجرايف فلسوف تكون روسكو بلا ريب، لو يستطيع أحد العمل ليلًا ونهارًا فبالتأكيد روسكو ستكون هي

الإجابة.

لكن إجابتها كانت خاطئة بالنسبة إليَّ؛ لأني قد عرفت في تلك اللحظة أنه يجب عَلَيَّ الرحيل، وبسرعة، الأمر كله لم يعد خاصًّا ولم يعد متعلقًا بجو، لقد أصبح أمرًا عامًّا ومعلنًا، وروسكو قد ذكرت الحرس الوطني، ووزارة المالية، والحاكم، وشرطة الولاية، والمكتب الفيدرالي، ومحققي مكاتب الإطفاء، وفرق المفرقعات، كل تلك الوكالات الحكومية ستحقق بشأن ما حدث في مارجرايف، ولسوف يحققون بعناية وحرص وجهد، وستدعو الصحف كلاينر بلقلب «مزور القرن»، سيبحثون عن بيكارد، ورجال الشرطة المختفين، ستتدخل شرطة «الإنتربول» بسبب العلاقة بالتزوير في فنزويلا، كل هؤلاء سيبحثون عن إجابات، وعاجلًا أم آجلًا ستتوصل إحدى الوكالات لي لو بقيت في مارجرايف.

أنا غريب في المكان الخاطئ والوقت الخاطئ، لن يستغرقوا دقيقة لاكتشاف أني أخو جو، وسيفكر أحدهم، رجل الجيش السابق أراد الانتقام، لن يدينوني فأنا لم أترك أي أدلة خلفي، لقد كنت حريصًا طيلة الوقت، وأنا أعرف كيف أراوغ السلطات جَيِّدًا، بإمكانهم استجوابي لحين أُطلق لحية بيضاء طويلة، ولن يحصلوا مني على أية معلومة مفيدة، لكنهم سيحاولون، ولسوف يحاولون بجنون، ربما يحتفظون بي لعامين في سجن واربيرتون، في طابق الحجز، عامين من حياتي، وتلك مشكلة، لن أتحمل

هذا، أنا قد خرجت للحياة بعد ست وثلاثين سنة من الحياة العسكرية، ولم أحظَ سوى بستة أشهر من الحرية وقد كانوا أفضل ستة أشهر في حياتي، لم أكن لأخاطر بعامين في السجن.

ولذا كان عَلَيَّ الرحيل، قبل أن يعرف أي أحد أني كنت هنا من الأساس، لقد اتخذت قراري، عَلَيَّ أن أكون خفيًّا مرة أخرى، والابتعاد عن مارجرايف في الحال، وهذا يعني أن كل أحلامي في مستقبل مع روسكو قد انتهت من قبل أن تبدأ، وهذا أيضًا يعني أني سأخبر روسكو أنها لم تكن تستحق بأن أقامر بعامين من حياتي من أجلها.

وهكذا تحدثنا عن الأمر طيلة الليلة الثانية، لم نتشاجر، فقط تحدثنا، وهي كانت تعرف أني سأفعل الشيء الصحيح من أجلي، عرضت عليها أن تأتي معي، وفكرت هي كثيرًا في الأمر، لكنها أخبرتني: كلا، ولم تزد حرفًا.

تحدثنا بعدها عن أشياء أخرى، عما سأفعله في حياتي، وعما ستفعله هي في حياتها، وأدركت ببطء أن البقاء هنا سيمزق روحي مثلما ستفعل فكرة رحيلها؛ لأني لم أُرد فعل الأشياء التي تريد فعلها هي هنا، لم أُرد انتخابات وترشحًا لمنصب عمدة، وضرائبَ، وتخطيطًا دقيقًا للمستقبل، لم أُرد حياة مملة ورتيبة ومتوقعة، ولم أُرد هذا الشعور الخفي بتأنيب الضمير من ناحيتي والتأنيب من ناحيتها، أنا أردت حياة حرة، طريقًا سريعًا ورحيلًا وتنقلًا، أردت ألا

أمتلك أي فكرة عما سأفعله بالغد، جلسنا نتحدث ببؤس حتى الغسق، طلبت منها أن تفعل شيئًا واحدًا من أجلي وهو ترتيب جنازة ودفن لجو، وأني أردت حضور فينلاي وعائلة هوبل في الجنازة، وطلبت منها أن تدعو أخت الحلاق لحضور الجنازة كذلك، وأن تغني من أجل جو، أن تغني وهي تعزف على جيتار بلايك الأعمى.

بعد ذلك أوصلتني روسكو في الصباح لمايكون في السيارة البنتلي، لم أنم على الإطلاق في الليلة السابقة، واستغرقت الرحلة ساعة لموقف الحافلات، جلست في الخلف، لم أُرد من أحد رؤيتي، وألقيت نظرة أخيرة على مارجرايف قبل رحيلي، البلدة كانت مكتظة بالوافدين، مختلف السيارات والهيئات الحكومية.

سيارات إطفاء وشرطة الولاية، قادت روسكو السيارة عبر شوارع البلدة، ونظرت لمحل الحلاقة، لم يكن الرجلان هناك، وشعرت أني سوف أفتقدهما بالتأكيد، وسأفتقد فينلاي كذلك، وفكرت: حظًّا سعيدًا يا خريج هارفارد..

وتمنيت لروسكو حظًّا سعيدًا في قرارة نفسي كذلك، هي تستحقه بلا ريب، وهي وفينلاي أمامهما رحلة شاقة وطويلة في مارجرايف توشك على البدء.

وصلنا لموقف الحافلات في مايكون، أعطتني روسكو مظروفًا أبيضَ وطلبتْ مني ألا أفتحه إلا بعدما تتحرك الحافلة، احتضنتها ورحلت، سرت نحو الحافلة ولم ألتفت،

سمعت صوت السيارة تبتعد، صعدت على متن الحافلة التي تحركت بعد وهلة، كانت هناك دموع في عيني لقرابة المئة ميل بعد تحرك الحافلة، ثم فتحت المظروف، احتوى على صورة جو، كانت روسكو قد أخذتها من مقتنيات مولي بيث، وأخرجت الصورة من الإطار ووضعتها في المظروف، وقصصتها لتناسب حجم جيبي، وعلى خلف الصورة، كانت روسكو قد كتبت رقم هاتفها، لكني لم أكن في حاجة لهذا، أنا بالفعل أحفظ رقم هاتفها عن ظهر قلب.

***

النهاية

(1) الأكاديمية العسكرية الأمريكية

(2) يشير فينلاي هنا لشيرلوك هولمز وصديقه واطسون

(3) كلمة لاتينية تعني تصلب الدم أو الوذمة، ألا وهي تجمع سوائل زائد عن قدرة أنسجة الجسم

(4) زقاق أعمى هو تعبير أمريكي يقصد به طريقًا مسدودًا.

(5) عندما يتم اكتشاف جثة ذكر مجهول الهوية يكون اسمه المؤقت «جون دو».

(6) تختلف التوقيتات الزمنية بين الولايات في أمريكا كفارق التوقيت بين الدول، حيث أنه هناك ست توقيتات زمنية مختلفة هناك.

(7) quick ride – care

(8) لقب زوجة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

(9) تعبير أمريكي معناه المحامي أو الصحفي أو المحقق الخاص الذي ينتظر في أماكن استقبال الحدث كأقسام الشرطة والمستشفيات ليعرض خدماته للعمل في القضية التي وقعت للتو.

(10) باللغة الإنجليزية.

(11) المخابرات السوفيتية.

(12) في حقبة الخمسينيات والستينيات كانت هناك الكثير من القوانين العنصرية ضد السود في الولايات المتحدة مثل المذكور أعلاه، وعدم قدرة السود على دخول مطاعم بها أصحاب البشرة البيضاء.. إلخ.

طابـق مخصـص للقتـــل

• الرواية الأولى في سلسلة "جاك ريتشر" الشهيرة، والأكثر مبيعًا على مستوى العالم.
• شخصية جاك ريتشر من أهم الشخصيات التي تحولت إلى سلسلة أفلام سينمائية في هوليوود.

تخيل أن تكون المحقق الأفضل على الإطلاق، وأنت المتهم في نفس الوقت!

تُهمة غير عادية تلتصق باسم البطل "جاك ريتشر"، لكنه الرجل الوحيد الذي يمكنه التحقيق فيها.. يواجه ريتشر تفاصيل جريمة غامضة.. فمنذ اللحظة الأولى التي تخطو فيها قدماه حدود بلدة صغيرة يفاجأ بملاحقة الشرطة له، والقبض عليه للاشتباه به في جريمة قتل رجل مجهول الهوية، وبعدما يذهب ريتشر للسجن تتطور الأحداث؛ ليظهر رجل بريء يعترف بالجريمة خوفًا من مصير مؤلم!

تلك هي قضايا ريتشر المفضلة، لكن الرابط الذي يربطه بالجريمة يبدو أقوى مما يظن..

تُرى هل يتمكن رجل بذكائه من حل اللغز رغم التفاصيل الدرامية والإنسانية التي به؟

ما سر تلك البلدة الغريبة؟ وإلى أي مدى ستصل خطورة الامر؟

رحلة من التشويق والإثارة، يحاول فيها بطل الرواية العثور على القاتل الحقيقي الذي ملأ حياته وحياة سكان البلدة بأكملها رأسًا على عقب.

لـي تشايلـد

"جيم غرانت" كاتب بريطاني من مواليد 1954، اشتُهر باسم "لي تشايلد"، وبسلسلة رواياته العالمية "جاك ريتشر" التي حققت أعلى المبيعات على مستوى العالم، كما كتب أكثر من 25 رواية وقصة قصيرة مذهلة، وتميز بقدرته على خلق حبكات سينمائية مثيرة وغامضة ونهايات درامية مفاجئة، حتى صار المؤلف الأكثر مبيعًا في مجال الجريمة والتشويق والإثارة.

تصميم الغلاف: كريم

9 789778 063400

ضاد
t.me/twinkling4

دون